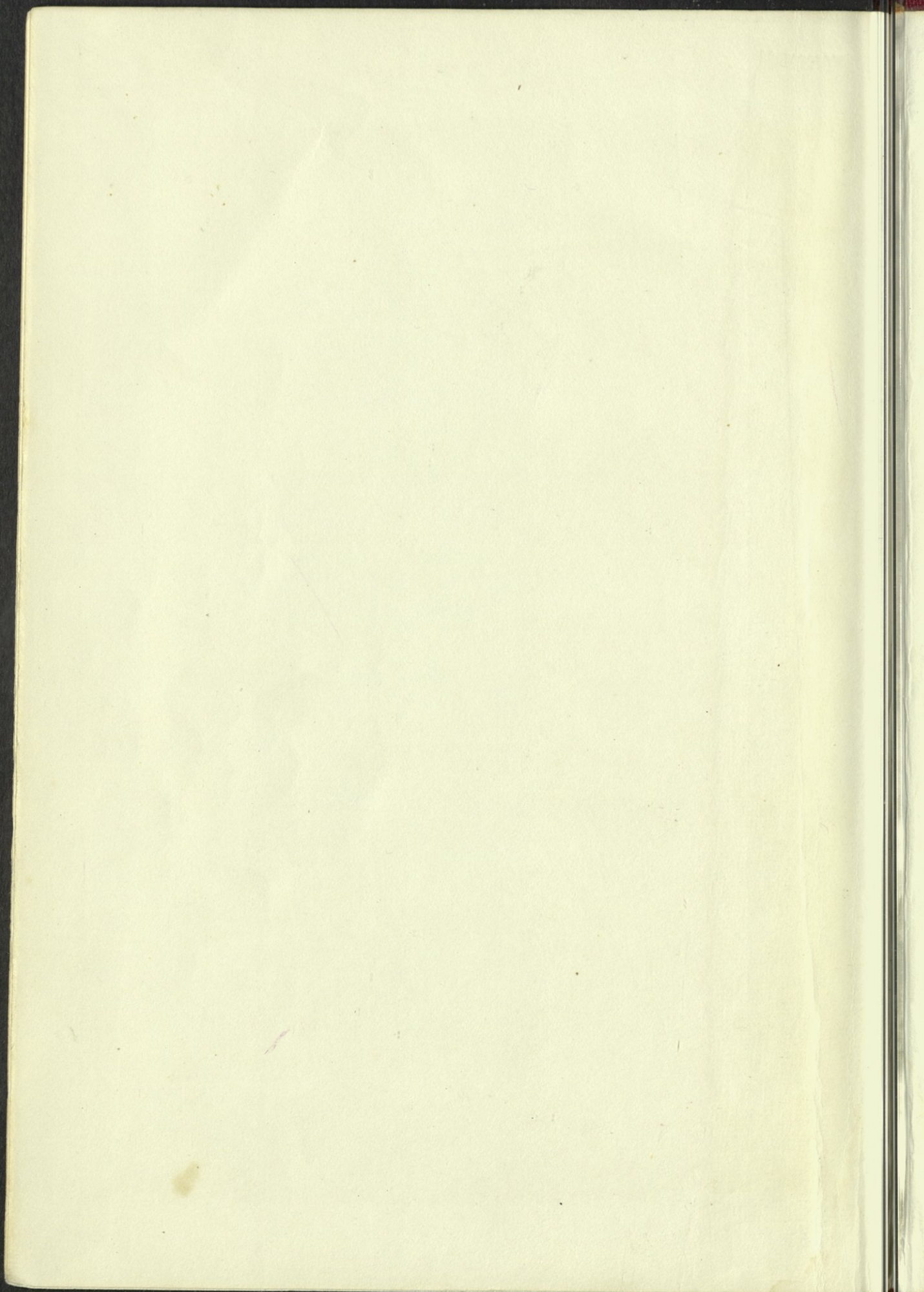
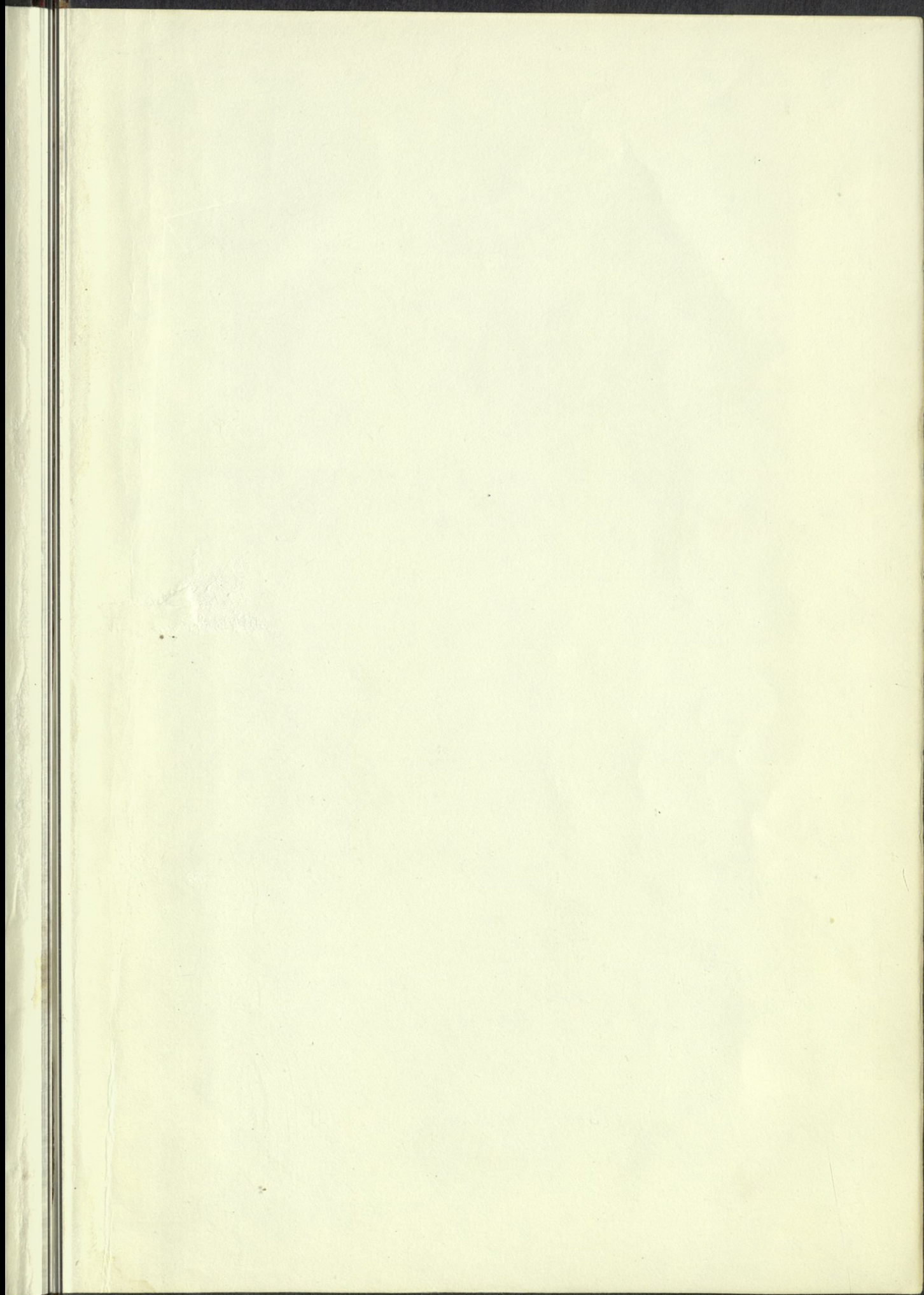


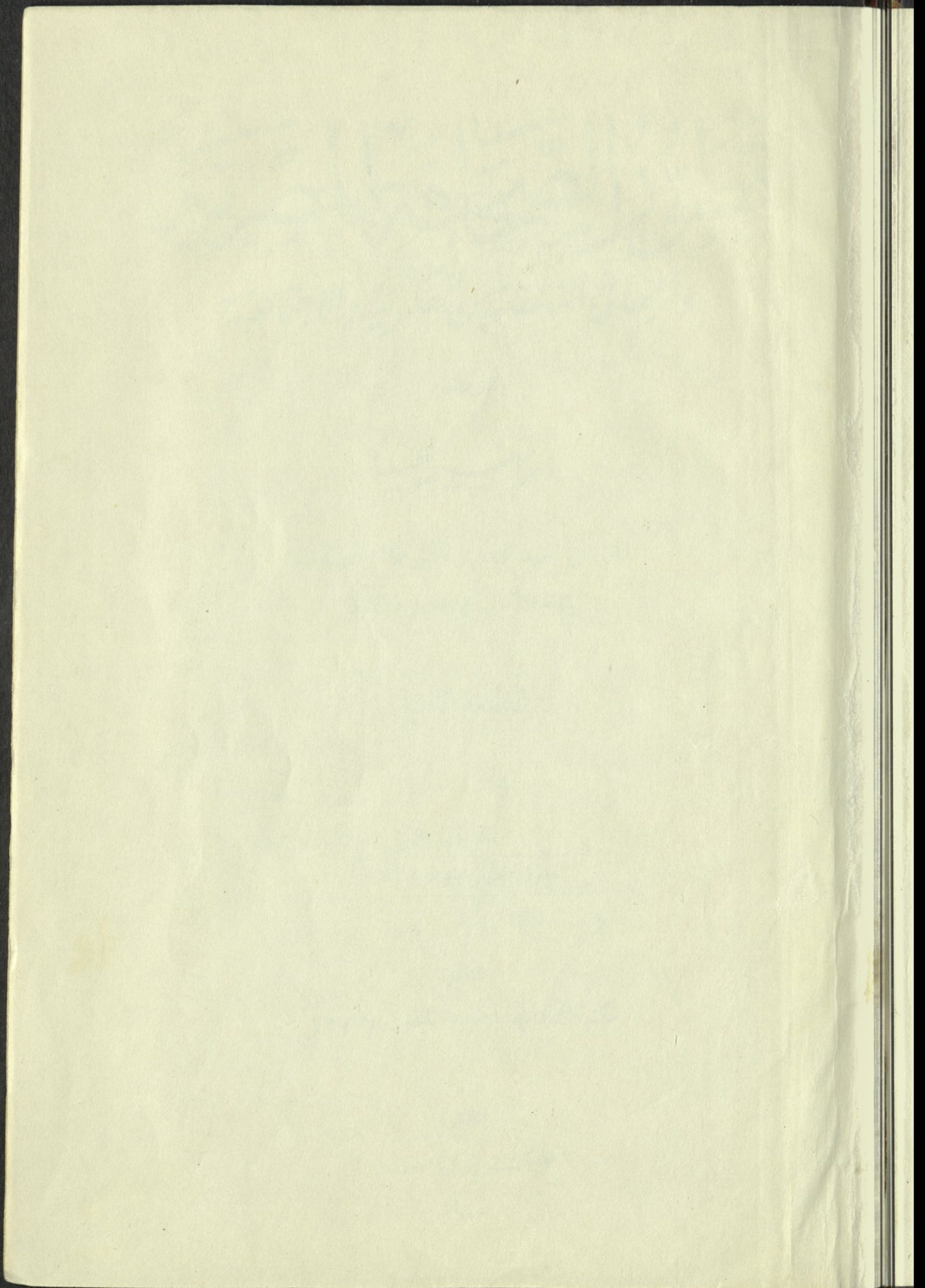
١٠٣
ص

✓

A. U. B. LIBRARY







9.6

321

079.62

A13tA

079.6

A13tA



تَطَوُّرُ الصَّحَافَةِ الْمَصْرِيَّةِ

وأثرها في النهضة الفكرية والاجتماعية

للدكتور

ابراهيم عبده

المدرس بمعهد التحرير والترجمة والصحافة

بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

الطبعة الثانية

68664

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الناشر

مكتبة الآداب بالجمايز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة

مطبعة التوكل بمصر

١٩٤٥

الاهـداء

لقد كان ظهور هذا الكتاب في طبعته الأولى بعض
فضلها ، وكان استقبالها له يوم صدوره استقبال الكريم
الذي يقدر للمجتهد اجتهاده ، وقد أسعدني يومئذ
أن أقدم لها تلك الطبعة عرفاناً بالجميل لصاحبة اليد التي لن
أنسى عطفها أو أنكر مودتها

وبعد فإن للسيدة الفضلى قوت القلوب هانم الدمرداشية
مكاناً في نفسي يفرض على أن أحسن ذكرها ، وأفضل
ماعندي من الذكرى أن أقدم لها كتابي مرة أخرى هدية
ملؤها التقدير والاكبار

ابراهيم عبده

للمؤلف

١٩٣٣		الحياة الثانية	٥٠
١٩٣٤		في المصايف	٥١
١٩٣٦		في السودان	٥٢
١٩٤١	}	تاريخ الطباعة والصحافة في مصر	٥٣
		خلال الحملة الفرنسية	٥٤
١٩٤٢	طبعة بولاق	تاريخ الوقائع المصرية	٥٥
١٩٤٢	الطبعة الثانية	تاريخ الوقائع المصرية	٥٦
١٩٤٤	}	تطور الصحافة المصرية وأثرها في	٥٧
		النهضتين الفكرية والاجتماعية	٥٨
١٩٤٤		أعلام الصحافة العربية	٥٩
١٩٤٤	الطبعة الثانية	الحياة الثانية	٦٠
١٩٤٥	}	تطور النهضة النسائية في مصر	٦١
		بالاشتراك مع الدكتورة درية شفيق	٦٢
١٩٤٥	}	تذكار طلعت حرب بالاشتراك مع	٦٣
		الأستاذ علي عبد العظيم المحامي	٦٤
١٩٤٥	}	تطور الصحافة المصرية وأثرها في	٦٥
		النهضتين الفكرية والاجتماعية	٦٦
	الطبعة الثانية		٦٧
			٦٨
			٦٩

فهرس الكتاب

صفحة	
٥	فصل في مراجع البحث
١٣	مقدمة تاريخية
٢٥	نشأة الصحافة الرسمية
٤٢	تطور الصحافة الرسمية
٥٩	نشأة الصحافة الشعبية
٧٤	تطور الصحافة الشعبية
١٠٣	الصحافة المصرية خلال الثورة العراقية
١٣٣	الصحافة المصرية منذ الاحتلال إلى الاتفاق الودى
١٦٥	الصحافة المصرية منذ الاتفاق الودى الى الحرب العظمى
٢٠٥	الصحافة المصرية المعاصرة
٢١٦	تاريخ الصحافة الفرنجية في مصر
٢٣٣	تاريخ الصحافة المصرية في الخارج
٢٥٢	تاريخ التشريع الخاص بالمطبوعات في مصر
٢٧٧	مراجع البحث
٢٨٣	الصحف العربية التي صدرت في القطر المصرى
٢٩٦	الصحف الفرنجية التي صدرت في القطر المصرى
٣٠٢	قاموس الأعلام

فصل في مراجع البحث

نجحت المحاولة التي حاولها المنشئون في تاريخ الصحافة الأجنبية ، ذلك أنه كلما طال عهد أمة من الأمم بالصحافة والصحف استطاع المؤرخ أن يجود في تاريخ صحافة هذه الأمة ، وقد اقترح أستاذي الجليل محمد شفيق غربال بك أن أحاول هذه المحاولة في مصر وكان ذلك في سنة ١٩٣٥ ، وقد نجحت المحاولة كما يخيل إلى في ناحية من نواحي هذا التاريخ وتمكنت على قدر من تاريخ الصحافة المصرية في عهد الحملة الفرنسية وتاريخ أم الصحف العربية في الشرق كله وهي الوقائع المصرية وأجزت في ذلك امتحان الماجستير . وقد أطمعني عطف الأساتذة الممتحنين وأغرائني احتفاء الحكومة بنشر مؤلف عن صحيفتها (الوقائع المصرية) فمت بوضعه وأشرفت على إخراجها ، وشجعتني الأستاذ الجليل صاحب الاقتراح أن أمضي فيما بدأت ، وأكمل البحث بأصوله وفروعه ، ولقيت من عناية أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن عميد كلية الآداب السابق ما دفعني إلى تحقيق الاقتراح والوصول إلى غاية في تاريخ الصحافة المصرية ، كما أذكر بجزيل الشكر والتقدير ما قدمه لي أستاذي الدكتور محمود عزمي من رعاية في تبويب وتنقيح فصول هذا البحث وتعتبر دراسة هذا التاريخ دراسة لتاريخ مصر الحديث في أوضح صورته ، دراسة الرأي وتطوره ، والفكرة وتعددتها ، والمزاج وتباينه والغرض والاختلاف من أجله ، أي بمعنى أوضح مصاحبة الكيان المصري بمثلها في نظم الحكم والحكومات

المتعاقبة والجماعات الظاهرة والأفراد المفقون ، منذ نشأ هذا السكيان على عهد الفرنسيين وحملتهم إلى أيامنا الحاضرة ؛ وهذا وضع من شأنه أن يفرض علينا الرجوع إلى مطولات الكتب والمحفوظات العربية والفرنجية ، والبحث فيما خلفته لنا الأجيال من الوثائق الرسمية والفردية سواء كانت عربية أو تركية أو فرنجية ، ثم تطبيق ذلك كله على ما جاء في الصحف جيلًا بعد جيل ، ومن هذا المزاج خلاصنا إلى تاريخ الصحافة المصرية قسمناه إلى فصول وعرضناه هذا العرض الذي أرجو أن أكون قد وفقت إليه .

أما الكتب العربية التي رجعنا إليها في هذا البحث فليس فيها كتاب يشمله أو ينصب عليه وحده ، وإن كانت هناك كتب عنيت بالصحافة المصرية ككتاب فيليب دي طرازي عن « تاريخ الصحافة العربية » وهو مؤلف عرض فيه صاحبه في أجزائه الأربعة لتاريخ الصحافة عامة في الشرق والغرب ، وقد نثر في الجزأين الأول والثاني كثيرا من أخبار الصحافة المصرية ورجالها في نشأتها الأولى ، فنجح في ذكر بعض الحقائق التي لا تقوم تاريخا وإن كانت من مواده الأولية ، ثم أخطأ في كثير من الحوادث وحمل الصحف أو صافا لم تكن لها وميز الصحفيين المصريين الذين عرض لهم بمزايا لم تؤثر عنهم ، وهو بذلك يعتمد على نشاطه الشخصي وتقديره الذاتي للحوادث والأخبار ، غير أن الجزء الرابع في تاريخه جاء أقرب إلى الركام من أجزائه الثلاثة الأخرى ، فقد نشر فيه أسماء الصحف المصرية ومواعيد صدورها منذ عرفت الصحافة في مصر إلى سنة ١٩٢٩ وقد حرص على ذكر الصحف العربية وحدها ، كما أنه ظن في مراجعته لوثائق إدارة المطبوعات المصرية أن الأمر بترخيص الجريدة أو الموافقة على إصدارها معناه ظهور الجريدة في مصر ، وهذا غير صحيح . لأن كثيرا من الصحف المرخصة لم تصدر ولم تعرف المطبعة اسمه . ثم إنه أراد أن يكمل نقص إدارة المطبوعات فعاد إلى دار الكتب

المصرية ؛ وهنا اعتمد على البيان الذي قدم إليه من الدار المذكورة ؛ وهو بيان ناقص لأن بعض الصحف القديمة التي اشترتها الدار لم يكن قد رصد بعد في سجلاتها كما أتني وجدت صحفا في دار الـكتـب بالمصادفة أو بأيجاء من أصحاب التجارب القدماء . وقد اكتفى طرازي بهذا الجهد ؛ وأغفل مكتبة طلعت حرب باشا ومكتبة ✓ المجمع العلمي ، حيث تحفظ بعض الصحف القديمة التي خلت من نظير لها دار الـكتـب وأغفلتها سجلات إدارة المطبوعات . وقد حاول غير فيليب دي طرازي التخصص في بحث هذا التاريخ أو علاج أمره فـكتـب الياس عطارة الحلبي كتابين ✓ أحدهما « تكوين الصحف في العالم » سنة ١٩٢٦ والثاني « تاريخ تكوين الصحف المصرية » سنة ١٩٢٨ ، فأما الـكتـب الأول فقد احتفل بأقوال العظماء وأحاديثهم عن الصحافة وقدرها في حياة الشعوب ، وعنى الثاني بالصحافة المصرية عناية تشبه في الإيجاز والتفصيل ما كتبه طرازي في جزأيه الأولين ، غير أن عطارة الحلبي أرخ للصحافة المصرية المعاصرة لزمته تاريخاً لحمته الغرض وسداه الإيجاء . ثم نشر كاتبان مؤلفا « في الصحافة » هما يوسف محمد دسوقي « من حملة شهادات التربية ✓ العالية » ومحمد كامل دسوقي من المحامين . وقد عرضا لمعاونات الصحافة عامة ومعاوناتها في مصر خاصة . كالمطبعة ومكتبة الصحيفة ثم ذكرا تاريخاً موجزاً لنشاطها والمحاولات التي بذلت في سبيل النقابات الصحفية . وأشارا إلى بعض الصحفيين المعاصرين والصحف التي عالجوا فيها سياستهم . وقد اعتمدا على الاجتهاد الذاتي والملاحظات الشخصية .

ثم إذا فرغنا من المؤلفات التي اتصلت بالصحافة اتصالاً مباشراً على الصورة التي شرحناها رجعنا إلى الـكتـب الكـثيرة المتباينة التي كتبت باللغة العربية أو عربت عن مصر وتطور حياتها السياسية والفكرية . وقد نشرت في آخر البحث ثبناً لبعض منها . وهي كتب إن صدقت في تقرير الوقائع والحوادث فقلما كانت تعرض للصحافة المصرية عرضاً عميقاً أو تمسها مسأ أصيلاً ، وإنما كانت تذكرها عابرة

ولا تقف عندها أو تعنى بتفصيل لها . ومن خير الكتب التي رجعنا إليها من وجهة نظر وطنية كتب عبد الرحمن الراجحي بك فقد حرص المؤلف في تاريخه عن الحركة القومية على الإشارة إلى الصحافة في كل جزء من هذا التاريخ . وهي وإن كانت إشارات خفيفة لم يقف الراجحي عندها طويلاً إلا أن فيها تقريراً صادقاً لبعض حوادثها . وقد اعتمد الكاتب على الصحف نفسها في تقرير وشرح هذه الحوادث وقد لاحظنا أن عنايته بالصحافة المصرية أخذت في الوضوح منذ عالج التاريخ السياسي لمصر في عهد إسماعيل إلى أيام مصطفى كامل ومحمد فريد . أما الكتب العربية الأخرى التي رجعنا إليها فقد كانت عنايتها بالصحافة دون عناية الراجحي بها وإن كان بينها كتاب سليم خليل نقاش « مصر للمصريين » الذي عنى بحوادثها ومحاكماتها خلال الثورة العراقية وبعدها . وكتاب محمود رشيد رضا عن « تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده » في ثلاثة أجزاء حفلت بكثير من الوقائع التي تمس الصحافة المصرية من قريب كلما عرض المؤلف للأستاذ الإمام في المطبوعات أو في الوقائع أو في المنفى في باريس . هذا إلى الكتب القليلة التي ذكرت بعض الفصول عن شؤون الصحافة وهي تعرض للقوانين واللوائح ككتاب أحمد محمد حسن بك وإيزيدور فلدمان عن « مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها في مصر » وقد رجعنا إلى ما كتبه المعاصرون أو المعنيون بهذه الشؤون في الصحف والمجلات المصرية عن الصحافة وتاريخها ، ومن أهم هذه الدوريات مجلة الهلال التي عنت في سنواتها الأولى بتاريخ بعض جوانب الصحافة المصرية في أعدادها الأولى ، كذلك نشرت مجلة الأجيال لميخائيل بن أنطون بحثاً في سنة ١٨٩٧ عن « الصحافة في القطر المصري » وهو بحث ناقص ويشوبه كثير من الأخطاء التاريخية ثم أرخت مجلة الشباب سنة ١٩٣٦ في مقالات متتابعة للأستاذ أمين عبده المحامى حوادث الصحف والصحفيين المصريين منذ بدأ الاحتلال البريطاني

لمصر وهي من أهم المقالات التي صورت صحافة ذلك الوقت من الناحيتين السياسية والاجتماعية .

أما الكتيب الفرنجية التي بحثت موضوعنا في شيء من التفصيل فمن أهمها كتاب عن

Le Journal, Origines, Evolution et Rôle de la Presse Périodique

لمؤلفه G. Weill وهو من أحسن المؤلفات التي بحثت نشأة الصحافة الأجنبية

وتطورها، وأفادتنا في المقدمة التي صدرنا بها هذا البحث، ثم عرض Munier

في كتابه La Presse En Egypte (1799-1900) صورة حية للصحافة الفرنجية

المصرية في الفترة التي بحثها، وهو من أدق الكتيب لأن مؤلفه صاحب أهم عهود

هذه الصحف وخبرها بنفسه وعمل في بعضها وإن لم يعالج الصحف العربية إلا

بإيجاز لا يغني الباحث في هذه الناحية. وقد نشر الدكتور محمد صبري مؤلفاً عن

La Genèse de L'Esprit National Egyptien وهو يعني فيه بتاريخ الصحافة

المصرية وخاصة في عصر الخديو اسماعيل، وهو لا يصورها أو يشير إليها فقط

بل يعتمد اعتماداً كاملاً في تحقيقه العلمي على ما نشرته هذه الصحف وهو فيما نعلم أول

مؤرخ لناحية من نواحي النشاط المصري يجعل من الصحافة الشعبية مرجعاً له وحيطة

يعتمد عليها، فقد كان العهد بالاعتماد على الصحف وقفا على الوقائع المصرية وحدها

وإذا كان الدكتور صبري قد نشر ملخصاً لا بأس به عن نشأة الصحافة الشعبية وأقر

وجودها في الحياة المصرية سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية فأن Baignières

أرخ للصحافة الهزلية المصرية أجمل تاريخ في كتابه «L'Egypte Satirique» وهو

يكتب صحيفة يعقوب بن صنوع صاحب مجلة (أبو نظارة) في مصر وباريس وهو

خير ما كتب عن يعقوب وخير ما كتب عن الصحافة الهزلية، بل خير ما كتب

عن الصحافة المصرية في جانب من أهم جوانبها. ثم يعرض هارتمان في كتابه

«The Arabic Press of Egypt» للصحافة العربية المصرية متأثراً الطرق العلمية

الصحيحة، غير أن الحقائق في بحثه كانت غير كاملة، كما أنه قرر في غير تحفظ أن

النصيب الأوفر في نشأتها يعود إلى المتمصرين وليس للمصريين حظ مماثل حظهم

من الدأب والاجتهاد فى جميع مراحل نشاطها ، وقد وقف بنا إلى نهاية القرن التاسع عشر وقفة بدأ التاريخ الصحفى المصرى يأخذ بعدها صورة واضحة ملأت نشاط المصريين فى جوانب الحياة المصرية جميعاً ، ثم يؤرخ قرياقص ميخائيل فى كتابه «Copts and Moslems Under British Control» للصحافة المصرية ونصيبها فى الخلاف القبطى الإسلامى ، وهو يصور هذا الجانب تصويراً بديعاً حقاً وإن كان الغرض فيه ظاهراً والغاية فيه معروفة ، فهو شديد الميل إلى الصحافة القبطية بالطبع ، يزرى بالصحف المصرية الأخرى سواء كانت صحفاً إسلامية أو صحفاً تميل إلى الجانب الإسلامى ، ومن السكتب التى راقى فيها جهد صاحبها كتاب كمال الدين جلال وهو رسالة تقدم بها إلى إحدى جامعات المانيا عن « Entstehung Und Entwicklung der Tagespresse in Egypten » ويمتاز هذا السكتب باعتماد صاحبه على الطرائق العلمية الحديثة ، وقد وفق فى فصله الأول عن الصحافة خلال الحملة الفرنسية ، غير أن اعتماد ه فى تأريخ الصحافة المصرية كان قائماً على السكتب العربية والفرنجية التى أشارت إليها إشارات خاطفة ، وهنا نخلو تاريخه من حقيقته المنشورة فى الصحف نفسها أو فى الوثائق المعروضة هنا وهناك .

وتخصص اثنان من المصريين فى علاج شؤون الصحافة من وجهة النظر القانونية فتقدم أولهما - محمد فؤاد - إلى جامعة باريس برسالة عن « Le Régime de de La Presse En Egypte » وهى بحث سطحى غالب فيه العنصر الذاتى القواعد العلمية الصحيحة ، وأنكر فيه كاتبه كثيراً من الوثائق والقوانين واللوائح التى تمس الصحافة منذ عرفت فى مصر إلى سنة ١٩١٢ ، ولم يعن إلا بعودة قانون المطبوعات فى سنة ١٩٠٩ . ومع ذلك فقد خلعت هذه العناية من العمق الذى رأيناه فى رسالة زميله عبد المجيد صادق رمضان التى نال بها درجة الدكتوراه من جامعة باريس فى سنة ١٩٣٥ عن « Evolution de La Législation Sur La Presse En Egypte » وهو هنا أفضل المراجع التى عدنا إليها فى دراسة تطور التشريع الخاص بالمطبوعات فى مصر ، وخاصة الفترة التى بدأت بصدر قانون المطبوعات

المصرى فى سنة ١٨٨١ إلى سنة تقديم رسالته ، أما الفترة السابقة على هذا التشريع المصرى فيعتورها شئ من النقص مرجعه فيما نعتقد امتناع الوثائق عليه ، وهى الوثائق التى يحتفظ بها قسم المحفوظات التاريخية بسراى عابدين ، وفيما خلا هذه السكتب التى عرضنا لها عدنا إلى السكتب الفرنجية المختلفة التى كتبت عن مصر من وجهة نظر أجنبية ، وهذه كتب عرضت عرضاً خفيفاً للصحافة المصرية والتزاماتها ومتاعبها ، وتكاد هذه السكتب تجمع - والسكتب الانجليزية بالذات - على نقد الصحافة نقداً لاذعاً ويمثل هذه المؤلفات Cromer فى كتابه «Modern Egypt» ، أما المراجع الأجنبية الأخرى فقلما كانت تعنى بهذا التاريخ ، ولم تذكر حوادثه إلا عرضاً .

وإذا كانت السكتب التى نشرت عن مصر الحديثة باللغات الأجنبية قد أشارت فى غير تفصيل وفى غير احتفاء إلى الصحافة المصرية فان الوثائق الرسمية وخاصة مكاتبات القناصل عنيت بأمور هذه الصحافة وأحداثها ، وكان أقل القناصل اعتناء بشئون الصحافة المصرية القنصل الأمريكى وإن اعتمد على لومونيتور أجيبسيان ونظيراتها من الصحف الشبه رسمية ، وكذلك كان شأن القنصلين الانجليزى والفرنسى فى السكتب الزرقاء والصفراء «Livres Jaunes و The Blue Books» غير أن المعتمد البريطانى بعد الاحتلال الانجليزى أفرد لنا فى تقاريره لحكومته فصولاً قصيرة وطويلة ، تصور حياتها من وجهة نظر انجليزية ، وإن أصاب كاتبها أحياناً فى تقرير بعض مسائلها .

وقد عرض بعض المؤرخين للصحافة المصرية فى المجالات العلمية كيعقوب أرتين باشا فى مجلة المجمع العلمى سنة ١٩٠٥ حيث نشر بحثاً لا بأس به عنوانه «Etude Statistique Sur La Presse Egyptienne» غير أن معظم ما كتب فى المجالات العلمية عن صحافة مصر كان خاصاً بالصحف الرسمية وقد أشرنا إلى ذلك فى ثبت المراجع ، وأخيراً رجعنا فى تاريخ الصحافة المصرية الى الوثائق التركية والعربية ، وخاصة إذا اتصل البحث بالصحف الرسمية ، وباغفال هذه الوثائق ما كان للبحث أن يستقيم منذ نشأت الصحافة المصرية فى كنف الحكومة فى عهد محمد على

إلى أيام الخديو اسماعيل ؛ وعن هذه الوثائق وضح لنا شيء كثير من جهد الحكومة وتقديرها للصحافة والصحفيين ، وظهر لنا مدى العلاقة التي كانت تربط الدولة بالمطبوعات والصحف خاصة في عهدي سعيد وإسماعيل ، وقد أشرنا إلى هذه الوثائق في هوامش المتن كلها أعوزنا البرهان أو الدليل .

عرضت السكتب صورة للعصر وللتاريخ إجمالاً ، وحددت الوثائق العربية والفرنجية والتركية جانباً كبيراً من البحث ، وخاصة ما اتصل منه بالصحافة الرسمية ، ثم عدنا في آخر الأمر إلى الصحف نفسها ، عربية وفرنجية . لنستكمل الحقائق من مصادرهما الأولى ، ولنؤرخ لهذا الموضوع من جدول الأصيل ، ولنزوج بين الحقائق العلمية المنشورة في السكتب والوثائق الرسمية وبين الاتجاهات الصحفية المتباينة ، ثم نستخرج من هذا كله الصورة الصادقة لتطور الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى اليوم ، وقد نشرنا ثبوتاً في نهاية هذا البحث يشتمل على أسماء الصحف التي صدرت أو صدر بها الترخيص ، واعتمدنا على الصحف الهامة منها في تصوير هذا التاريخ ، وأشرنا إلى ذلك في مكانه .

ونختتم هذا الفصل القصير بذكر الدور التي قصدها لتطبيق بحثنا ، وفي مقدمتها دار المحفوظات بالقلعة والمحفوظات التاريخية بسراي عابدين ودار السكتب المصرية والمجمع العلمي المصري ومكتبة جامعة فؤاد الأول ومكتبة وزارة الخارجية وإدارة المطبوعات المصرية ومكتبة طلعت حرب باشا ، وكذلك وجب التنويه بالمساعدات القيمة التي تفضل بها المشرفون على هذه الدور فكان حرصهم على إبراز الحقائق لهذا البحث حرص العارف بقدر العلم ، وهو حرص يشكرون عليه ويستوجب مني التقدير والاعتراف بالجميل .

مقدمة

لا يستطيع شعب من الشعوب المتحضرة أن يمضى حياته اليومية من غير صحف، هذه ظاهرة اجتماعية حديثة لا يمتري فيها أحد، والصحافة في ذاتها وسيلة لا غاية، اهتمت بها الحكومات الحديثة كما حرصت عليها شعوبها مهما تختلف هذه الحكومات ومهما تتفاوت هذه الشعوب في إدراك حياتها السياسية وتناول شؤونها الاجتماعية، فالحكومة النازية أو الفاشية تحرص كما تحرص الحكومة الديمقراطية على هذه الوسيلة وتعمل على التمسك بها لأن وراءها غايات قد تشعب وماآرب قد تتباين، أما الوسيلة نفسها فقد فرضت وجودها على المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية جميعا بلا استثناء. وحظ مصر من هذه الوسيلة كحظ غيرها من الجماعات المتحضرة، وكما دعت الحاجة إلى نشأة الصحف في أورور بامندعدة قرون، كذلك أملت النظم الجديدة على مصر الحديثة أن تنشئ صحفاً تعددت أغراضها وتباينت أهدافها وان يكن عمرها لا يتجاوز قرنا وبعض قرن من الزمان للظروف السياسية والاجتماعية التي حالت دون النشاط الصحفي وأخرته عن أوربازها ثلاثه قرون.

وقد عرفت الصحف في أوربا بعد أن ظهرت الطباعة بفترة طويلة إذاقتصر فن جو تنبرج خلال قرن على طبع أوراق الدفاتر وكراسات الأعمال التجارية وما إلى ذلك من الأشياء التي تمت إلى الحياة العملية ولا ترتبط بالصحافة والصحف، غير أنه قد لوحظ في تلك الفترة أن من بين الكراسيات التي طبعتها المطبعة في صدر عمرها كراسيات تحمل الأنباء للناس، والأنباء كما نعلم أهم عناصر الصحيفة، وقد سبقت إذاعة الأنباء فن الطباعة، فكانت تلقى في أول الأمر مشافهة ثم مضى أصحابها

ينسخونها ، فلما عرفت الطباعة صارت تزداد بعد طبعها في كراسات خاصة (١) ولم تكن إذاعة الأخبار المخطوطة من وظائف الحكومات بل تخصص بعض الأفراد لنسخ الأخبار الهامة ليقف على مضمونها النبلاء ، وكان لهذه الطريقة أهمية خاصة في غضون القرن الخامس عشر في إيطاليا ، وقد ساعدت الحياة الفكرية والتجارية والاجتماعية على نشاط هذه الطريقة الإخبارية ، فإيطاليا في ذلك الوقت شعب راجت تجارته وزكت علومه ومعارفه وسيطر تفكيره على معظم أرجاء أوروبا فكان طبعياً أن يتحسس نبلاؤه وأغنيائه ومفكروه أخبار دويلات أوروبا والبلاد الأجنبية خارج القارة بما يحمله التجار وما تنقله السفن من أحداث وروايات ، فوجد أشخاص يحققون لهم هذه الرغبة ، وكان هؤلاء يدفعون ثمنها بسخاء ، وكانت البندقية قطب الدائرة ، دائرة العلوم والتجارة ودائرة الأخبار المنسوخة أيضاً ولم يكن نشاط تجار الأخبار المخطوطة يقف عند البندقية بل كان لهم عملاء وحرفاء في المدن الإيطالية والألمانية من التجار ورجال المال ، وقلد الألمان وغيرهم الإيطاليين في هذه الصناعة الجديدة

وفي القرن السادس عشر ظهر الخبر المطبوع فلم يقض على الخبر المنسوخ وذلك لندرة المطابع أولاً وهي في أكثرها محتكرة من الحكومة أو رجال الدين ، كما أن ناشري الأخبار المخطوطة كانوا قلة قادرة صقلتها المرانة فتمسكت بمستواها العالي في أخبارها وأساليبها ، وتبع ذلك تمسكها بعمالها وحرفائها ، ولما انتشرت الطباعة وأصبح الخبر المطبوع سهل النشر يسير التناول هبط مستواه ولم يعد يليق إلا بالعامية ، كما أن المطبوعات جميعاً كانت موضع رقابة خاصة من السلطات كما كانت موضع شكوكها وتضييقها ففضل العظماء الأخبار المنسوخة وهي أخبار لا تخضع لرقابة رقيب ولا يعينها أكلن في الحكم سلطة استبدادية أم سلطة عادلة ،

(١) عرض لهذا الموضوع Georges Weill في كتابه

لذلك كانت أخبارها أصدق وأقرب إلى الحقيقة ، ولهذه الصحف المخطوطة آثار في المكتبة الأهلية بفيينا وبعضها الآخر في مكتبة الفاتيكان .

ولقد لقي مذيعو الأخبار من البابوات والحكومات المختلفة ضيقا وحرجا شديدين فصدورت أموالهم وبترت أيديهم وقطعت ألسنتهم ونصبت المخانق لكثير منهم ، ولم يوهن نشاط مذيعي الأخبار المخطوطة والمطبوعة أو يفتر بالرغم من هذه القسوة التي ذكرنا بعض أمثلتها ، واضطرت السلطات آخر الأمر إلى الرجوع عن هذه القسوة ، بل جعلت تترضى بعض المخبرين المحترفين وتكلفهم العمل لحسابها فنفتت سوق هذه التجارة في أوروبا عامة وروما خاصة .

لكن الخبر المنسوخ لم يعمر طويلا بل أخذ يتقهقر أمام الخبر المطبوع ، بانتشار الطباعة وتوسط ثمنه وتساهل الحكومات وتنازلها عن رقابته ، فتلونت الأخبار وتباينت ، وظهرت شعراً ونثراً ، ولم تعد الأخبار ووفقاً على الحوادث العادية المتواضعة بل كان للحروب والحوادث الطبيعية والمشاكل الدولية أثر في ترويج هذه الصناعة بما كانت تذيعه المطابع من الأنباء المثيرة ، كما عمدت بعض الأوراق الخبرية إلى نشر فيض من الحوادث المنقولة عن أوراق دول أخرى . وقد كبرت أوراق الخبر رويداً ثم حيثياً ، فإذا هي دوريات تظهر كل ستة أشهر ثم دوريات تظهر كل شهر ثم كل أسبوع ثم كل يوم ، وقد شهد القرن السابع عشر مولد هذه الدوريات جميعاً في فرنسا وإنجلترا ، وفي غيرها من البلاد الأوربية ومضت هذه النهضة قدما وعبرت البحار إلى أمريكا الشمالية ، بينما مضى الشرق على عزله وتزمت ، فلم يعرف الطباعة إلا بعد أن غرقت أوروبا في السكتب المطبوعة والصحف السيارة في المدن والمقاطعات المختلفة .

وكان من الأمور الغربية حقاً ألا تشارك مصر دويلات أوروبا في تقدير الطباعة وتسكريم الصحافة ، وألا تمر بها الأدوار الصحفية التي مرت بأوروبا ، وأن تكون آخر بلاد الشرق الأدنى معرفة بالمطباعة وأقلها احتفالا بها ، ذلك لأن مصر أبتقت على تراث فكري كاديندر بسقوط الدولة العربية وتفرق كلمتها وقد حملت

عام النهضة ولم يقف نشاطها في العلوم والفنون بالرغم من غشاوات الجهل التي أعمت
بعض حكامها وبالرغم من نوبات القمور التي مست الحياة الفكرية المصرية آنا بعد
آن منذ عهد الفاطميين إلى أيام المماليك البحرية والبرجية (الشراكسة) وقد
ظهر فيها كثير من العلماء والأدباء والمؤرخين كالقلمشندى وابن هشام وابن خلدون
وابن تغرى بردى وغيرهم من فطاحل العلم والتاريخ . وقد اتصلت مصر في عصورها
الوسطى بممالك البحر الأبيض المتوسط وجنوب أوروبا وجمهوريات الهامة للتجارة
معها ، وكانت مصر واسطة العقد بين الشرق والغرب وكان يرجى لها التوفيق إلى كل
جديد تعرفه أوروبا في ذلك الوقت ، غير أن جمهورية البندقية وغيرها من البلاد
الأوروبية كانت تتبها لاستقبال النهضة الحديثة ، وفي هذه الفترة عرفت الطباعة في مدن
إيطاليا والمدن الحرة الأخرى . وكان الأمل واسعاً في أن يستفيد أعظم عملاء
أوروبا من هذا الحدث الجديد لو استمر الاتصال قائماً وعرف المصريون قدره ، غير
أن مركز مصر قد تدهور بعد كشف رأس الرجاء وسلوك التجارة سبيلها عن طريقه ،
فانقطعت الصلة بين مصر وعملائها إلى حد بعيد ، وأقفلت الأبواب دون الاحساس
بخطر المطبعة زهاء ثلاثة قرون كانت مصر قد بلغت فيها من التقهقر والاضطراب
مبلغاً تقوضت فيه دعائم الحياة السياسية والاقتصادية ، وانطفأت الذبالة الباقية من
حضارة الأوس ، وشغلت بنزوات حكمها وقاست من جهلهم وعسفهم ما قاست
حتى انقطع ما بينها وبين كل جديد من أسباب ، وأهمل شأن المدارس والتعليم
وبيعت الكتب وانتهبت ، وتخربت دور الفن وعماراته ، وكانت مصر آخر من
عرف المطبعة بين دويلات السلطنة الهامة .

وإلى أوروبا يرجع الفضل في صناعة الحروف الشرقية والعربية ، عنوا في أول
الأمر باللغة العبرية وحروفها لأنها لغة الإنجيل والتوراة ، وقاموا بنشرهما في إيطاليا ،
ثم مضوا ينشرون كتباً دينية مختلفة ، ثم اتجهوا إلى العلم فنشروا باللغة العربية بعض
كتبه . وفي مستهل القرن السابع عشر احتدمت المنافسة بين روما وباريس وليدن

ولسندن على طبع الكتب العبرية والعربية ، وأحس الشرق هذه المنافسة فجلب اليه الطباعة من الغرب ليقوم هو أو يساهم على الأقل في نشر آثاره وتعاليمه ، وقد أوحى بذلك أيضاً الفكرة الدينية ، لذلك بدأت المطبعة في الشرق أول ما بدأت تنشر كتباً دينية باللغة العبرية ثم كتباً أخرى باللغة العربية ، وتخلصت أخيراً من الاتجاه الديني ، ومضت تذيب المؤلفات والتراجم العلمية والأدبية .

ولقد سبقت الآستانة جميع بلاد الشرق في معرفة الطباعة ، وإلى اليهود يعود الفضل في نشر هذه الصناعة ، فقد أنشأ أحدهم مطبعة عبرية في عاصمة الخلافة لتنتشر كتبهم وتعاليمهم الدينية ولتغنيهم عن المخطوطات التي كانت تكلفهم أجراً كبيراً وجهداً عسيراً ، وكان ينشر هذا اليهودي بين آت وآخر كتباً في التاريخ والعلوم بجانب كتب الدين اليهودي وتعاليمه ، وقد بدأ عمله هذا في أواخر القرن الخامس عشر (١) . ولم تعرف الآستانة الحروف العربية إلا في أواخر القرن الثامن عشر أي بعد أن قطعت المطبعة العبرية من وجودها في الشرق زهاء قرنين من الزمان ، وقد نشط اليهود في بلدان الشرق الأخرى فأنشأوا المطابع هنا وهناك أخذت الطباعة تنتشر في بلاد الشرق الأدنى ، وقد بدأت كما رأينا في الآستانة وحروفها عبرية ، غير أن هذا الشرق ولغته الفضلى اللغة العربية ، عنى عناية خاصة بحروفها ، فأنشأ أحد البطارقة مطبعة عربية في حلب في أوائل القرن الثامن عشر حوالي سنة ١٧٠٢ وقيل إن حروفها من بخارست (٢) وهي أول مطبعة عربية في الشرق ، ثم أنشئت في الآستانة المطبعة العربية الثانية ، وقد لقي إنشاؤها عنقا شديداً من الحكومة ورجال الدين فقد أفتى العلماء بأن المطبعة رجس من عمل الشيطان ! إلى أن قيض الله لها بعض المصلحين ، واستطاع المصدر الأعظم بمعاوضة بعض هؤلاء العلماء أن يستصدر من السلطان فرماناً عالياً موقعاً عليه بالخط الشريف في

(١) مجلة المشرق السنة الثالثة عدد ٤ ص ١٧٥ وعدد ٦ ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(٢) Schnurrer . المطبوعات العربية ص ٢٧٠

سنة ١٧١٢ بالأذن لسعيد أفندي (وقد صار صدرأ أعظم فيما بعد) بإنشاء المطبعة وطبع جميع أنواع الكتب إلا كتب التفسير والحديث والفقهاء والكلام (١). ثم عرفت الطباعة العربية في قرية الشوير من أعمال لبنان في دير من أديرتها المعروفة حوالي سنة ١٧٣٢ (٢). وقد نافس الأرثوذكس أصحاب الشوير من الكاثوليك وأنشأوا بيروت مطبعة عربية قلدوا فيها حروف مطبعة الشوير سنة ١٧٥٠.

في أصغر القرى عرف بعض أمم الشرق المطبعة على حين جهل المصريون هذا الفن، إلى أن جاءت الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨ فعرضت بين بضاعتها مطابعها العربية واليونانية والفرنسية؛ وقد ناسب نشاط المطبعة الفرنسية قدر الحملة، فلم تعمل مطابع الفرنسيين على غرار المطابع الشرقية الأخرى بحيث يكون جهدها منصبا على نشر الكتب والتعاليم الدينية وحدها بل كان الاحتلال الفرنسي يرمي إلى أشياء هامة من وراء مطابعه، فقد بدأت عملها قبل أن يبدأ الجيش عمله، نشطت وهي في البحر والحملة في طريقها إلى مصر، فأعدت المنشورات العربية وأذاعت أوامر القائد العام، ففيها إذن جزء للدعاية وجزء آخر للأوامر الإدارية والحكومية، حتى إذا استقرت في مصر فتحت صدرها للكتب المؤلفة والمترجمة لعلماء الحملة وأدبائها، ثم أضافت إلى ذلك شيئا جديدا لم تعرفه مطابع الشرق الأدنى، وتفردت به مصر أول الأمر، وكانت بمعرفته سبابة لبلاد الشرق جميعا، ذلك إخراج الصحف، فعن طريق هذه المطابع عرفت مصر الصحيفة، أو الدورية في صورتها الكاملة، ومنذ ذلك الوقت يستطيع المؤرخ أن يحدد نشأة الصحافة في مصر (٣).

أنشأ الفرنسيون صحيفتين في مصر، إحداهما يقال لها لوكورييه دوليجيت
Le Courrier De L' Egypte والثانية يقال لها لاديكاد أجيبسين La Décade

(١) تاريخ جودت ام ٨١ - ٨٤

(٢) De La Ropue - Voyage au Liban et Syrie . Paris 1719

(٣) راجع تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية للمؤلف - القاهرة ١٩٤١

Egyptienne ، فتاريخ إنشاء الصحف في مصر إذن يجب أن يحدد بالحملة الفرنسية ولا يجوز للمؤرخ أن يحدد تاريخ الصحافة المصرية بإنشاء هاتين الصحيفتين ، لأنهما صحيفتان أجنبيتان وإن ظهرتا في مصر ، وإذا كان لكل صحيفة فكرة ولكل جريدة هدف وغاية ، فأهداف هاتين الدورتين تجعلنا نقرر



الجنرال بونابرت أول من أنشأ صحفًا في مصر

أنهما ليستا من الصحافة المصرية في شيء اللهم إلا المكان الذي صدرتا فيه وهو القاهرة صدرت جريدة لو كورييه بعد الاستيلاء على القاهرة مباشرة في ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٨ (فريكتيدور سنة ٦ جمهورية) في حجم كتاب وسيط باللغة الفرنسية وتقطع اللغة التي صدرت بها لو كورييه الصلة التي بينها وبين المصريين ، فالمصريون في ذلك الوقت لم يكن لهم بهذه اللغة ولا بأصحابها عهد موصول لأسباب لا تغيب عن دارس هذه الحقبة من التاريخ المصري ، حملت هذه الصحيفة أخبار مصر الداخلية وهي الأخبار المحلية في القاهرة والأقاليم ، وكان القصد من نشر هذه الأخبار أن يعرف الفرنسيون في القاهرة ما يجري لدى زملائهم في ريف مصر وأقاليمه حيث توزعت فصائل الجيش الفرنسي ، وفي ذلك يقول الجبرتي إن «القوم

كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأما كن أحكامهم

COURIER DE L'EGYPTE.

N. G. 49437

N.º 1.º

Le 13

LE 12 FRUCTIDOR, VI.º ANNÉE DE LA RÉPUBLIQUE.

NOUVELLES.

Corfou, 27 messidor an 6. Le vaisseau de guerre *le Stengel* est arrivé d'Ancone dans ce port, escortant un convoi de trois mille Français qui sont venus pour renforcer la garnison des îles Ioniennes.

La prise de Malte par la France a fait ici une joie universelle. Les départements d'Ithaque, de Corcyre et de la mer Egée sont dans la situation la plus satisfaisante; il y règne le plus grand enthousiasme pour la liberté, et le plus grand attachement à la mère patrie.

De Jannina, le 15 messidor. Notre Pacha est toujours sous les murs de Widin, commandant en second l'armée du grand seigneur sous le capitain-pacha, qui est destinée à faire la guerre à Passawan Oglou qui reprend toujours de nouvelles forces. Après le combat malheureux où notre armée a perdu 700 hommes, et a été obligée d'abandonner le champ de bataille, l'armée de ce rebelle est encore augmentée.

Il y a quelques jours, est arrivé ici l'ambassadeur général Rose qui a eu une audience de cérémonie du fils du pacha, l'issue de laquelle il a été expédié un courrier sur un dromadaire, portant au pacha une dépêche extraordinaire.

Malte, 25 messid. La fête du 14 juillet

s'est célébrée ici avec la plus grande pompe. Les bienfaits de la liberté se font sentir dans toutes les classes; il n'est pas un seul Maltais qui ne bénisse l'heureux changement qui a eu lieu.

Trois frégates anglaises bloquaient notre port. Le vaisseau de guerre *le Dejo* et la frégate *la Carthaginoise* sont sortis pour leur donner chasse.

Le vice roi de Sicile avait refusé de nous donner des vivres; mais sur les instances de notre ambassadeur à Naples, il vient de permettre l'exportation de la Sicile. Au reste nous avons du bled pour la garnison et les habitants pour dix-huit mois.

Tripoli, 28 messidor. Le pacha de Tripoli, dès l'instant qu'il a eu reçu la demande du Général en Chef, de mettre en liberté tous les esclaves maltais (le Général en Chef lui avait envoyé une grande quantité de Tripolitains et autres esclaves turks) les a envoyés par un bâtiment à Malte, avec une grande quantité de bleds et de fruits, et quatre superbes chevaux de race dont il a fait présent au général commandant à Malte.

Alexandrie. La ville est encombrée de matelots et d'équipages de nos vaisseaux, provenant de Pescadre. Tous les prisonniers ont été rendus.



ثم يجمعون المتفرق في ملخص يرفع في سجلهم بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة .
يوزعونها في جميع الجيش حتى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الأرياف
فتجد أخبار الأمم معلومة للجليل والحقير منهم » (١) . فهدف لو كوربيه إذن
هو الجنود الفرنسيون أو الجالية الفرنسية التي ينبغي أن تتعرف عن طريقها أخبار
مصر وشؤونها فقد انقطعت الصلة بين فرنسا و جنودها في مصر ، وهذه حقيقة
يعلمها قادة الحملة وأعلامها ، لذلك هيأوا هذه الصحيفة لجنودهم ، على أن تنشر بين
آن وآن أخبار فرنسا التي تجيئها خلسة بالرغم من حصار الأسطول الانجليزي
للسواطيء المصرية (٢) كما أنها لم تغفل أبناء سورية وفلسطين وأخبار أوروبا مطولة
أو مختصرة . على أنها في هذه الأنباء جميعا كانت تخضع لامتحان من الرقابة
الشديدة (٣) . وأضافت هذه الصحيفة كثيراً من القصص الغربية عن مصر ترفيهاً
لقرائها وتسليمة لهم ، وكانت اعلاناتها جميعا بلا استثناء اعلانات تهم الفرنسيين
وحدهم .

وصدرت لاديكاد اجيبسين في أول أكتوبر سنة ١٧٩٨ (فانديمير ٧ جمهورية)
وحمل العدد الأول منها افتتاحيته ، وهي تقرر اتجاه الصحيفة وهدفها ، فهي صحيفة
علمية لدراسة شؤون مصر ، ونشر المسائل الخاصة بالحياة المصرية ، اجتماعية وأدبية
واقصادية ، وهي صحيفة المجمع العلمي المصري ، وهو جماعة من علماء الحملة
الفرنسيين ليس بينهم مصري ، فهي بمعنى أوضح وثيقة رسمية أو سجل لنشاط الحملة
العلمي ، تصدر في القاهرة للفرنسيين المقيمين فيها الذين يعينهم من شؤون الأدب
والاقتصاد أكثر مما يعينهم من شؤون الحرب أو أخبار المدن والأقاليم وصور الحياة
المصرية العارضة .

ويستطيع المؤرخ للصحافة المصرية أن يحكم في اطمئنان بأن الجريدتين

(١) الجبتي - عجائب الآثار ج ٣ ص ٢٥٤

(٢) Canivet, Bull de L'Inst, Egypt.1909. p, 15, 16

(٣) Charles - Roux, Bon.Gouverneur d'Egypte. Paris 1936 p 145

الفرنسيين اللتين صدرتا في القاهرة خلال الحملة الفرنسية لا تمثلان الصحافة المصرية في شيء، ولا تعتبران دعامة لها، وقد شرحنا مبلغ ما في تقرير هذه الحقيقة من قوة

LA DECADE
EGYPTIENNE,
JOURNAL LITTÉRAIRE
ET
D'ÉCONOMIE POLITIQUE.

FORMATION de l'Institut d'Égypte.

LE Général en Chef BONAPARTE, par un arrêté en date du 3 fructidor an 6, a ordonné qu'il serait établi au Kaire un Institut pour les Sciences et les Arts. Cet établissement doit principalement s'occuper :

- 1.º Du progrès et de la propagation des lumières en Égypte ;
- 2.º De la recherche, de l'étude et de la publication des faits naturels, industriels et historiques de l'Égypte.

L'Institut d'Égypte est divisé en quatre sections qui sont celles de Mathématiques, de Physique, de Littérature et beaux Arts, et d'Économie politique. Chaque section est composée de douze membres. Dans le moment actuel, celle de Mathématiques est la seule qui soit complète. Il y a deux places vacantes dans celle de Physique, six dans celle d'Économie politique, et quatre dans celle de Littérature et beaux Arts.

N.º 1. 1.º trimestre, AN 7.

B

وصدق ، وإنما هما صحيفتان أنشأتهما الظروف وحدها ، وهي ظروف بعضها طارىء كما حدث في إصدار لو كورييه ، وبعضها عرف عن تصميم سابق أدلته هذه الجماعة الضخمة من العلماء والأدباء والشعراء التي صحبت الحملة لتبحث وتنقب وتدرس وتقرر وتثبت هذا كله في مجلة حتى لا يفوت بونابرت فضل غزو الحياة المصرية بدراسة تاريخها وآثارها وأمراضها وإنتاجها كما كان يرجو غزو مصر وتثبيت العلم الفرنسي فيها ، وقد نجح في الأولى وأخفق في الثانية .

ولم يحاول بونابرت إنشاء صحيفة عربية في الوقت الذي أنشأ فيه الصحيفتين الفرنجيتين ، وهي أجدى عليه وعلى صحبه من جنود ومدنيين وعلى فرنسا نفسها في توجيه المصريين وتعميم الحضارة الجديدة التي حملها معه إلى وادى النيل ، وهو يكاد يؤمن بهذة الفكرة ، ففكرة الصحيفة العربية فقد جعل من المطابع العربية إحدى الوسائل التي تصله بالمصريين بما كان يذيعه من منشورات على الجماهير المصرية ، في مفارق الطرق ورؤس العطف وأبواب المساجد ، (١) ، ولم تساعد المطبعة العربية في الاتصال بالمصريين وحدهم ، بل كثيراً ما طبع للأمراء الحج وزعماء العرب وغيرهم في الشرق الأدنى المنشورات والكتيب ليكشفوا عن قتاله ويصلوه بالود والمعروف (٢) وقد كان يستطيع أن يستغنى عن هذا كله بصحيفة ينشرها في مصر فيقرؤها المصريون ويوزعها في البلاد الشرقية ويضمن بها داعيه لا ينكر أثره ، وأكبر الظن أن ظروفه الحربية وافتقاده المعاونين من المصريين ، حال كل ذلك دون تحقيق هذه الفكرة الجميلة . فلما تولى الجنرال منو مكانه ، وكان قد أشهر إسلامه وأذاعه بين المصريين خيل إليه أن أمور مصر قد استقرت له ، وأن عليه أن يقارب بين أفكار المصريين والفرنسيين ، وقد رأى دعاة السوء يحاولون إفساد ما يعمل له من تمكين الصلة بين الشعبين ، فاستوضح من صديقه دجننت (Desgenettes) كبير أطباء الحملة أمر الاضطراب الذي يسود العلاقات المصرية الفرنسية فاقترح عليه هذا

(١) الجبرتي - عجائب الآثار - ج ٣ ص ١٩

(٢) الجبرتي عجائب الآثار - ج ٣ ص ٤٩

إنشاء جريدة عربية تكون لسان الحكومة ويشرف عليها جماعة من الفرنسيين
المستشرقين وبعض سراة المصريين ، وتوظف هذه الجريدة في تنوير عقول العامة
الذين يعدون الإصلاح الفرنسي في مصر خرافة من الخرافات . فأمر منو
بإصدار جريدة التنبيه (L, Avertissement) في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٠٠ (فريمير سنة
٩ جمهورية) على أن توزع في جميع أنحاء القطر المصري وفي بلاد اليمن والشام وداخل
أفريقيه ، وتقوم المطبعة الأهلية بنشرها ، ويجوز أمور النشر فيها علماء الديوان حتى
لا ينشر ما قد يفسد الغاية منها أو يسيء إلى التقاليد والعادات المتبعة في مصر ، على
أن يشرف على تحريرها الشيخ الحشاش أحد أعلام الأدب في ذلك الوقت وسكرتير
الديوان ، فنكون صحيفة إخبارية تنشر أنباء الحكومة وحوادث الديوان
المصري ، وتذيع بعض الحوادث الأوربية والأسبوعية العامة كما تعنى بالأدب والفنون
والعلوم ، ويكون مراقبها العام رئيس إدارة العدل في مصر



الجنرال منو أول من فكر في إنشاء صحيفة عربية في مصر
ويعتدنا من أمر هذه الجريدة أنها لو صدرت لكانت بحق أم الصحف المصرية جميعها
غير أن الأمل المعقود بظهورها لم يتحقق لأن الظروف المحيطة بمصر إذ ذاك
لم تسمح باخراجها فبقى مرسوم إنشائها معطلا ولم يعمل به (١)

(١) تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية للمؤلف ص ٩٧ - ١٠٨

الفصل الأول

نشأة الصحافة الرسمية

ولى محمد على شئون مصر فى سنة ١٨٠٥ فى جو لم يعرف الولاية العثمانية له شئياً من قبل . فقد كان للشعب المصرى دخل فى هذه التولية فهو الذى طلبها وألح فى طلبها وأقر السلطان هذه الرغبة الشعبية فأذنت هذه الحالة الجديده بكتابة صحفة جديدة فى تاريخ مصر ؛ ومضى الولى الجديد يرتب أموره على هذه الحقيقة التاريخية أى أنه ربط مستقبله وحياته بمستقبل مصر وحياتها ، ولم تستطع أساليب الدس فى الآستانة ولا مشاكل الارنامود فى القاهرة أن تحول دون ولاية محمد على لمصر سنة بعد أخرى . ثم قامت الأزمات بن السلطان وواليه وتدخلت الدول العظمى لتصفية الأزمة المصرية التركية تصفية نهائية فى سنة ١٨٤٠ وقررت لمحمد على ما أقره المصريون من قبل وجعلت له ملك مصر مدى حياته على أن يليه من بعده أعقابها جيلاً بعد جيل

شهدت مصر قبل ولاية محمد على احتلالاً أجنبياً مهما يكن أمره فقد برق فى حياة المصريين وشغلهم بجديد لم يكن يعرفه الشعب المصرى سواء فى الإدارة العامة أو فى تفاصيل الحياة المصرية المتباينة وأصبحت البلاد فى مفترق الطرق بعد هذا الاحتلال ، يعوزها الاستقرار حتى تتبين ما كان ينوى الفرنسيون صنعه ، لذلك لم تختلف كثيراً الأساليب التى اتبعها محمد على عن الأساليب التى فرضها الاحتلال الفرنسى ومن هنا نشأت حاجته إلى الفرنسيين فاستعان بهم لإنشاء مصر الحديثة

وقد قطعت الحوادث التاريخية فى عهد محمد على بأنه كان مجدداً لمصر فى جميع

ما صنع في إدارته لها ، وأنه كان يدعم نظامه الجديد بما يمكنه من التقدم ويهيئ له أسباب
النضج والاستواء فقد رأى تنظيم مصر إدارياً في سنة ١٨١٣ فقسم كل مديرية إلى
أقسام وعين لكل قسم ناظراً ولكل مديرية أو مديريتين مأموراً أو متصرفاً (١)
وذلك توطئة للعناية بأهم المصالح المصرية وهي الزراعة فأنشأ ديوانها بعد التنظيم الإداري
بستين (٢) واستتبع ذلك حفر الترعة (٣) وإنشاء الفاريقات (٤) . فالتنظيم
الإداري تدفع إليه رغبة « تسهيل عمارة القطر وتقديم زراعته » (٥) ولم يكن الباشا
يرحم عاملاً أو موظفاً يسيء إلى مصالح الإدارة أو الزراعة ولا يقبل تعسفاً أو اعتذاراً
بل يدفن المهمل حياً في الأرض التي أهملها أو في المصنع الذي أساء إليه ليكون عبرة
لأقرانه الأحياء . فهو يريد بذلك أن تنظم حسابات الأقاليم والمصالح وشؤونها الإدارية
بحيث يقدم إليه ملخص عنها في نهاية كل شهر أو في نهاية كل سنة ، أو في فترات أقل
من الشهر والسنة ، وهي طريقة جديدة في نظام مصر الإداري والمالي ، يعرف بها
الباشا حال البلاد آناً بعد آناً ، وكان هذا الملخص يقدم له كتابة في صورة تقرير يقال
له (الجرنال) . وقد رأى محمد علي نأمة الشهر والعام قد تخفى عليه ما يجب أن يظهر ،
وقد تجعل هذه المدة قصرت أو طالت مجالاً للعب عماله وتكاسلهم (٦) فأصدر أمراً
بأنه « في اليوم الأخير من كل أسبوع ترد إلى جنابه العالي كشوف الأقاليم البحرية
والقبلية بمقدار المال المتحصل وكميات الغلال والأصناف الأخرى حيث يعلم منها
نشاط المأمورين أو تكاسلهم » وتبين له بعدئذ أن من الأمور ما لا يحتمل الانتظار

• (١) و (٢) امين سامي باشا . تقويم النيل ج ٢ ص ٢٤٦ وص ٢٥٧

(٣) تقويم النيل ج ٢ ص ٢٦١

(٤) محفوظات عابدين دفتر ٣ معيه تركي أمر رقم ١٧٢ في ٥ ربيع الاول عام ١٢٣٤ هـ

(٥) محفوظات عابدين دفتر رقم ٣ معيه تركي أمر رقم ٣٢٠ في ١٣ جمادى الآخرة لعام ١٢٣٤ هـ

جهات القطر المصري بتفسير قسمة القطر إلى أقسام

(٦) محفوظات عابدين دفتر ٧٤٧ خديوي تركي وثيقة رقم ٣٦ نمرة ١٢٤٤ هـ من الحساب

العالي إلى حبيب افندي مأمور ديوان الخديو .

سبعة أيام ، فأصدر أمره بجواز عرض « الجرنالات يومياً أوفى أى ساعة إلى الباشا
للنظر فى الشؤون المستعجلة » (١)

وهذه التقارير التى كانت ترفع إليه فى كل عشرة أيام أو فى الفترات الأخرى التى
عينها وحددها كانت تطبع فى مطبعة القلعة وتقدم إليه بعد طبعها ، وقد أنشأ لذلك
« ورشة مخصوصة بطرفه كما عين كتاباً مخصوصين » (٢) ويضم هذا الديوان الكبير
نخبة من الكتاب الذين يجيدون اللغتين العربية والتركية (٣) وكان محمود أفندى
« جرنال ناظرى » أى ناظر التقارير التى ترفع للوالى يستقبل تقارير الأقاليم ويعدها
للعرض على الباشا حيث يقضى فيها بأمر ما (٤) وكان للمدن المصرية الكبيرة دواوين
على غرار الديوان الرئيسى فى القاهرة ، يرأسها ناظران عامان للتقازير ، أحدهما فى
الوجه القبلى والثانى فى الوجه البحرى يتلقيان أخبار المدن والأقاليم ، كل فيما يخصه
ثم يرسلانها إلى القاهرة (٥) ، وفى القاهرة يتولى ديوان الجرنال العام بحبها وتبويبها
وعرضها على الباشا ، ثم يبلغ قرار الوالى إلى المجالس وما إليها (٦)

انتظمت أمور الجرنال وتشعبت مواده ، بعد أن قامت المطبعة مقام النسخ ،
لذلك حرص عليه الباشا حرصاً شديداً ، فكان إذا رأى تهاوناً فى إصداره أو تكاسلاً
فى إخراجه اعتبر ذلك خلافاً « للمصلحة » إذ « أن فائدة الجرائل هى مطالعتها وتحرير

(١) محفوظات عابدين . أمر كريم فى ٩ شوال عام ١٢٥١ هـ ص ٦ مجموع ترتيبات ووظائف

(٢) أمر من محمد على فى ٢٤ المحرم سنة ١٢٥٢ هـ

(٣) محفوظات عابدين دفتر رقم ٧٤٠ ديوان خديوى تركى وثيقة رقم ٣١ فى ٦ رمضان عام

١٢٤٣ من ديوان الخديوى إلى ناظر التقارير .

(٤) محفوظات عابدين دفتر رقم ٣٠ معية تركى وثيقة رقم ٢ فى ٣ رمضان عام ١٢٤٣ هـ

من الجناب العالى إلى محمود أفندى

(٥) محفوظات عابدين دفتر ٧٤٨ خديوى تركى وثيقة رقم ٢١٥ فى ٤ جمادى الثانية ١٢٤٤ هـ

(٦) محفوظات عابدين دفتر ٧٤٠ ديوان خديوى تركى وثيقة رقم ١٢٢ فى ٨ ذى القعدة عام

١٢٤٣ هـ من ديوان الخديوى إلى الافتدى ناظر التقارير

الاستعلامات بما يلزم للاجابة عنها في وقته » لذلك يعاقب الباشا موظفي الجرنال المهملين منهم فيجازيهم « كمنص القانون بالضرب ٣٠٠ نبوت » إذ أن اضطراب نظام الجرنال « قد أوجب اغبرار خاطره » ثم يقول في حاشية أمره « ان عدم تقديمهم الجرنال حال بينه وبين معرفة معاملتهم للعباد وأن لا يليق تأخير المصالح لأجل راحة أنفسهم وبقاء عباد الله في التعب فيلزم المبادرة لترك برزخ الاستراحة وإرسال الجرانيل في أوقاتها المقررة » (١)

استمرت الأقاليم والدواوين ترسل إلى ديوان الخديو أخبارها وملخصاً وافيًا عن أحوال البلاد الزراعية والإدارية الأخرى ، وقد يبدو من هذا العرض لماهية « الجرنال » وديوانه أنه كان وقفاً على الوالى دون حكومته وأن مطبعة القلعة كانت تقوم بخدمة هذا التقرير الخاص بمحمد على وحده ، بيد أن فورنى سكرتير بروكى فى مطبعة بولاق يحدثنا عن هذا الديوان ويوضح لنا قيمة تقريره ، ويعرض صورة له لعلها أفضل الصور التى وصل إليها جرنال الخديو قبيل إنشاء الوقائع المصرية (٢)

يذكر فورنى أنه كان يطبع منه كل يوم مائة نسخة باللغتين العربية والتركية متضمنًا الأخبار الرسمية الحكومية وبعض قصص من ألف ليلة وليلة . وكان هذا التقرير الذى يمكن تسميته بالجريدة الرسمية مع شىء من التجاوز يرسل الى رجالات الدولة ومأموريها الذين يعينهم أن يقفوا على أحوال البلاد والنظام الجديد فيها ، وفى ذلك تقول الوقائع المصرية فى افتتاحية العدد الأول « ووضع ديوان الجرنال قاصداً من وضعه أن ترد الأمور الحادثة الناتج منها النفع والضرر إلى الديوان المذكور وأن ينتخب ويتنقح فيه منها ما منه ينتج النفع والإفادة حتى إذا ظهر عند المأمورين نوعا النفع والضرر ينتخب مامنه تصدر المنفعة ويحتنب مامنه يحصل الضرر ، وهذه

(١) أمر من محمد على فى ٢٤ المحرم سنة ١٢٥٢ - تقويم النيل ج ٢ ص ٤٦٧

(٢) F. Bono La. Int d, Egypte Octobre 1905, P. 151 Rev.....

الارادة الصالحة الصادرة من حضرة سعادة ولي النعم وإن كانت قد جرت في ديوان
الجرنال إلى الآن إلا أنها لم تكن عمومية » (١)

تتفق مقدمة الوقائع كما رأينا مع تقرير فورني ، فليس جرنال الخديو تقارير
خاصة بالوالي تقدم اليه كما كان الأصل في انشاء الديوان وجرناله ، بل تطور هذا
الجرنال الخاص فأصبح هاديا للمأمورين بما يذاع فيه من أخبار البلاد ، خيرها
وشرها ، حتى يرى هؤلاء المأمورون أوامر الوالي وإرشاداته فيقبلوا على تنفيذ
ما يرى تنفيذه ويحتملوا ما نهت عنه أوامره ، هو خلاصة النشاط الحكومة وأعمال
الموظفين واجتهاد العمال ، ينشر في مائة نسخة توزع على رجال الدولة المسؤلين في
انتظام ، لذلك بقيت هذه الجريدة التي ارتبط تاريخها بانشاء النظم الجديدة وقفا
على المأمورين وخدمهم ، لأن نشاط الحياة المصرية كله كان موزعا بين الوالي



محمد علي الكبير منشىء الوقائع المصرية

(١) الوقائع المصرية العدد الاول في ٢٥ جادى الاول عام ١٤٤٣ هـ

وموظفيه فقط ، وهي أقدم الصحف المصرية على الإطلاق ، سجلت نشاط
الحكومة في نشأتها الحديثة الأولى وأدت وظيفتها على أحسن ما تؤدي الوظائف
في الصحف الرسمية .

أنفق محمد علي زهاء ربع قرن في حكم مصر باذلا أقصى جهده في تنظيم الحكومة
المصرية ، فعنى بترتيب البلاد إداريا ورعاية « مصالح الزراعة والحراثة وباقي أنواع
الصنایع التي باستعمالها يتأق الرخاء والتميسير » ثم فكر « في نظام القرى والبلدان
رفاهية سكانها وراحتهم » فاذا نجح في ذلك كله « وضع ديوان الجرنال » على الصورة
التي شرحناها وللغاية التي بينهاها ، ثم وجد الباشا في نهاية الامر أن جرنال الخديو
قد أدى وظيفته ، وأن القواعد والنظم التي وضعها الحكومة قد أثرت في المصريين
ومست حياتهم مساهمة عميقا وأن وقف الأخبار على مأموريه ورجال دولته دون شعبه
ليس من أصالة الرأي في شيء ، فلما « لاح هذا الشيء في ضمير الذات السنية » أمر
بطبع شئون الحكومة والمحكومين معاً في جريدة تنشر « عموماً وقد سميت واشتهرت
بالوقائع المصرية » وتقول الوقائع المصرية في خطتها التي أذاعتها افتتاحية العدد الأول
« أراد ولي النعم أن الأخبار التي ترد إلى الديوان المذكور - ديوان الجرنال -
تتمقح وينتخب منها ما هو مفيد وتنشر عموماً مع بعض الأمور التي ترد من مجلس
المذاكرة السامى والأمور المنظور بها في ديوان الخديو ، والأخبار التي تأتي من أقطار
الحجاز والسودان ومن بعض جهات أخرى » فكان ديوان الجرنال باق وإن سمي
بعد إنشاء الجريدة قلم الوقائع (١) بيد أن اختصاصاته قد توسعت ، فقد كان جرنال
الخديو يعنى بالتقارير التي تأتي من الأقاليم ، أما المجالس العليا كديوان الخديو
ومجلس المذاكرة السامى - وهي من آثار التنظيم الجديد للحكومة سنة ١٨٢٦ -
فأخبارها شيء لا يتصل بشئون الجرنال وديوانه ، وهذه المجالس تبلغ من الأهمية
مكانا يجعل قراراتها وأخبارها متصلة بالشعب وحياته ، فيها تقرر مصائره وعنها تصدر

(١) محفوظات القلعة - كراسات ملخصات الاوامر العلية - كراسة رقم ٩ ص ١٧٢ هـ

كافة القرارات التي لها قوة القانون ، فاذا نشرت على المصريين أخبارها كان ذلك عملاً له خطره في إذاعة حوادث الدولة السكبار

وقد يجد مؤرخو الصحافة المصرية كثيراً من النتائج في نشر الوقائع المصرية ، وخاصة بعد أن أذاعت افتتاحيتها بمحمل ماستحتوى عليه أعدادها ، وهي موضوعات طيبة حقاً ، بالإضافة إلى تقريرها حقيقة هامة وهي أنها ستشعر لكافة الناس ، فوزعت على العلماء (١) وعلى تلاميذ المدارس (٢) والذوات المملكية والجهادية (٣) وأرسلت إلى كريت والشام وبلاد العرب والسودان (٤) وقرأها المبعوثون في أوروبا (٥) ولكن هؤلاء جميعاً لم يتجاوز عددهم ستمائة قارئ (٦) ، وذلك في أعظم أوقات الحكومة خطراً ، يوم كانت جيوشها تحارب في الشام وهي في أشد الحاجة إلى الدعاية والإعلان . ومصدر هذه القلة في عدد قراء الوقائع أسباب كثيرة من أهمها أن مجال الاشتراك فيها لم يبح على إطلاقه بل قرر الباشا أن من له حق الاشتراك فيها من بلغ مرتبه في كل شهر ألف قرش فأكثر (٧) ومن الثابت أن كثيرين ممن كانوا يتقاضون مرتباً أقل من ألف قرش كان في استطاعتهم قراءتها والاستفادة منها. وقد تحدد عدد المشتركين في الوقائع أو القارئ لها ، ولم يطلق

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣ دفتر ٩٣ مدارس عربي ص ٤٨ في ٦ شوال عام ١٢٦٣ هـ

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣٨٠ دفتر ٩٣ مدارس عربي ص ١١١ و ١١٨ في ١٩ شوال عام ١٢٦٣ هـ من ديوان المدارس إلى ديوان المالية

(٣) محفوظات القلعة كراسات ملخصات الاوامر العلية . كراسة رقم ٩ ص ١٧٢

(٤) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٧٦ و ٢١٦ في ٢٩ صفر عام ١٢٤٩ هـ دفتر ٧٨٧ ديوان خديوي توكي

(٥) تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨ — ١٩٤٢ الطبعة الثانية ص ٣٨ — ١٠٦

(٦) Dowin. La Mission Du Baron De Boislecomte. L, Egypte et La Syrie En 1833. P. 139

(٧) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٢٧ دفتر رقم ٩ مدارس عربي في ذى القعدة عام ١٢٦٠ هـ من ديوان المدارس الى المطبعة

توزيعها على الصورة التي اتبعت مع مثيلاتها من الصحف الرسمية في الدول الأخرى
كذلك تحددت أخبارها ، فإن إشارة افتتاحية الوقائع إلى « بعض الأمور التي ترد من
مجلس المذاكرة السامي والأمور المنظورة بها في ديوان الخديو » يدلنا على أنه
ليس كل ما يدور في هذه المجالس يصبح حقاً مباحاً لقراءها ، بل تقتصر على نشر ما
من شأنه ألا يخل بسرية هذه المجالس ، وكذلك كان الشأن في الأخبار العادية
الأخرى التي درجت الجريدة الرسمية على نشرها فهذه أيضاً كانت لا تنشر إلا بعد
امتحان قاس من ديوان الخديو وبمراقبة عنيفة من الحكومة ومحمد علي نفسه (١)

كانت النظم الجديدة من أهم الأسباب التي دعت إلى إصدار الوقائع كجريدة
للحكومة المصرية ، فإن الوالي كان يريد أن يرى المصريون أو خاصة المصريين بمعنى
أوضح المثل التي رسمها لسياسته العامة ، فهو قد احتكر الأرض وأصبح التاجر الأول



الشيخ رفاعة الطهطاوي محرر الوقائع المصرية

(١) تاريخ الوقائع المصرية ص ٥٥ وما بعدها

والصانع الأول في مصر ، ومعظم هذا النظام غريب على المصريين ، له حسناته وله سوءاته ، وقد فرض على الدولة فرضا ، فلا أقل من إذاعة النتائج الطيبة التي سببتجها فعلا هذا النظام ، والوقائع المصرية وسيلته عند الراضين والساخطين على السواء . وهو ينشئ القناطر والجسور ويشق الترعة وهذا يكلف الناس جهداً فوق طاقتهم ، ويتخلله شيء من ظلم الجماهير بتسخيرها في الحفر والشق وتعميد الطرق ، فلا أقل من أن تكتب المقالات تصف كفاح الحكومة من أجل عمران مصر . ثم هو ينشئ مصانع النسيج ومعامل الغزل ودور الصناعات الحربية بجانب المدارس على اختلاف أنواعها ويرسل البعوث هنا وهناك ويهيئ أحواض السفن لبناء أسطوله التجاري والحربي فيربط مصر بأوروبا بعد أن انقطعت الصلات عدة قرون ، ثم يأمر فينشر هذا كله في صحيفته وهي الميدان الفسيح لمدحه والثناء عليه وهكذا تعطى الوقائع المصرية بمقالاتها وأخبارها صورة للحكومة العادلة القادرة المجددة .



نوم
يوم الثلاثاء

١٩١٨

وقائع مصرية

في ٢٥ جاذي الاول - ١٣٤٤ سنة

بشواهر تحييد خداناروز ذرا هر نصلبة سلطان انبیا باار قلند ندر نسكره
معان اوله كه حفته مطبوعه عاقله منتشره صفوف مطبورا اولان نوع نى
آدمك بالشم عقدت واجتماع واللاف واخلاق ملاذدن نشنشا بدن حر كات
وسكات وكبد بكرة احتياج اقتضاسه وانع اولان معاشرات
ومعاملاتك تعالی وقائع وصالی مواضعى ضبط ونحررا به بانه لانه
الجدده بارى الامم والسلمة والسلام على سبه العرب والجمجم اماجده
نار نحررا لا مورا الواضحة من اجتماع جنس ن اثم المتدينين فى صحيفه
هذا العالم ومن التلامه وسركا نهم وسكونهم ومعالما نهم ومعاشراتهم
التي حصلت من احتياج بعضهم بعضا هي تسعة الانبیا والقرصا والتدبير
والاخبار والظهار الغيرة العمومية وسبب فطال منه بطلمون على كنية

رأس أول عدد من الوقائع المصرية

وهو يريد أن يرى الناس جزاء المجد أو المهمل فيأمر بنشر أخبار الموظفين ،
ترقيتهم وعزلهم ، ثم يأمر بنشر القضايا الهامة التي تتصل بالشرع والعرف مع ذكر
الحكم والقصاص ، ثم يؤكد على المحرر بأن يذيع بين آن وأن ما رمم من المساجد
وما أنشئ من المؤسسات الخيرية إلى غير ذلك من الأخبار التي تتصل بالزرع

والحيوان (١) ثم لا يغيب عن صفحاتها بعض الأدب وأخبار السياسة الخارجية وشئون الدول الاجتماعية لعل فيها عظة وعبرة لقراءها. ويعين لخدمتها بعض رجالات العصر كرفاعة رافع الطمطاوى وأدم بك مدير المدارس غير بعض السوريين الذين ولاهم شئونهم الصغرى فى التحرير والإدارة كأحمد فارس الشدياق والسيد شهاب الدين باشمصح مطبعة بولاق (٢). وقد اقتسمتها اللغتان التركية والعربية، وتغلبت الأولى مرة والثانية مرة أخرى إلى أن صدرت كل منهما فى صورة منفصلة.

وعلى هذا النحو نشرت أقدم الصحف المصرية ومضت قدما كأول مثال للصحيفة المصرية بالمعنى المفهوم، وهى سجل للحكومة وصدى لنشاط رجالها، وان اختلفت أشد الاختلاف مع نظائرها من الصحف الرسمية فى أوربا التى تخصصت للأوامر الرسمية والقوانين واللوائح. فحسب.

ارتبط تاريخ الصحافة الرسمية فى مصر بالانظم الجديدة التى قررها ولى النعم، فقد شاهدنا كيف أنتج نظامه الإدارى الأول الجرنال وديوانه، وهو نظام يفضل بالطبع نظام الممالك، وكيف تطور هذا الجرنال فأصبح جريدة رسمية يومية لكبار موظفيه ومأموريه. ثم رأى الباشا أن يعدل نظمه ويؤسس حكومته من جديد، واستلهم فى ذلك القواعد الفرنسية التى اتبعت فى مصر خلال الاحتلال الفرنسى، فأسس فى سنة ١٨٢٦ مجانس الدولة وأنشأ الوزارات فى صورة دواوين وعدل التقسيم الإدارى، كما أنشأ مع نظامه هذا المدارس، وأخذت مطبعة بولاق تزدهم فى تلك الفترة بكتبتها فى كثير من العلوم والفنون. كما عقب على نشاطه الإدارى والتعليمى بتنظيم زراعى لا بأس به (٣). وقد تبع إنشاء النظام الجديد كثير من

(١) محفوظات عابدين ونبقة ٦٥ فى غرة صفر ١٢٥٨ هـ دفر ٢٨٦ شورى المعاونة

(٢) تاريخ الوقائم المصرية المؤلف ص ٩٩ وما بعدها

(٣) الوقائم المصرية عدد ١١٣ فى ٢٨ شعبان عام ١٢٥٤ هـ.

التغيير والتبديل في مصالح الحكومة واختصاصاتها ، وبذلك أنشأ محمد على أول نظام ثابت لحكومة مصر وكانت قد حرمت النظام والاستقرار عدة قرون ، وارتبط إنشاء الوقائع المصرية بهذا النظام وأصبحت لسانا له وصدى لآماله الكبار .

ولعل أعظم ما بهر المؤرخين وشغلهم في تاريخ محمد على النظم العسكرية التي أدخلها في مصر وكون جيشه بمقتضاها ، فقد كتب المؤرخون عن هذه النظم مجلدات ضخمة أحدثها ما نشره الجنرال فييجان العسكري الفرنسي المعروف (١) . ويتبين لنا قدر هذا الجيش إذا عالجنا خدماته للوالي ، فيه قضى على المماليك وزعمائهم ، وطرد الانجليز في سنة ١٨٠٧ وفتح بلاد العرب وأراح السلطان من الوهابية وسطوتها ، كما استعان به في فتح السودان وكريت واليونان والشام أخيراً ، وهو القوة التي ارتكز عليها في سياسته الخارجية إزاء الباب العالي ودول أوروبا ، فلا غرو إن رأى المؤرخون أن العسكرية المصرية في عهده فرضت النظام على شعبه وخلقت حساً وطنياً لم يكن معروفاً من قبل ووضعت أساس الاستقلال المصري (٢) وأنها في رأى آخر مكنته من « أن يلعب في مصر برغم موارد المحدودة دور أمة قوية السلطان ، (٣) .

هذا رأى بعض المؤرخين في النظام العسكري وآثاره في مصر ، غير أن مؤرخ الصحافة الرسمية لا يعنيه من هذا شيء بقدر ما يعنيه الأثر الذي خلفه الجيش المصري في الصحافة المصرية ، وقد قامت الوقائع بنشر أخبار هذا الجيش (٤) وفسحت صدرها لذكر تقدمه وانتصاراته

(١) كتابه Histoire Militaire de Moh. Aly et des Ses fils, 2 Vols. 1936 وهناك كتاب Vice—Amiral Durand Viel عن Les Campagnes Navales de Moh. Aly et Ibrahim 2 Vols 1937

(٢) Clot. A. B. Apercu général sur L, Egypte 1840

(٣) De Freycinet — La Question d'Egypte. p. 19

(٤) عابدين وثيقة ٣٢١ في ٢٧ جمادى الآخرة ١٢٥٠ هـ وثيقة ٢٤٢ في ٢٦ ربيع الثاني ١٢٤٩ دفتر ٤٩ ميه تركي ووثيقة ٦٦٨ في ٣ جمادى الآخرة ١٢٥١ هـ دفتر ٦٦ ميسة تركي

ولما كان جرنال الخديو لم يعد يحتمل نشاط الدولة بعد اتساعها وتنظيمها الجديد كذلك لم تستطع الوقائع المصرية أن تنفرد وحدها بتسجيل التفاصيل التي تتصل بالجيش وهو يكتب صحيفته الرائعة في حروب الشام ، وهذه التفاصيل من شئونه الخاصة ، لذلك اختص الجيش بجريدة له سميت « الجريدة العسكرية » وإن مضت الوقائع المصرية تنشر تنقلاته وترقيات ضباطه وتصور فعاله المجيدة ، بيد أنها لم تتمكن من أن تلم بكل ما يتصل بحياة جيش يبلغ زهاء ثلاثمائة ألف جندي وضابط (١) وقد طبعت هذه الجريدة العسكرية في مطبعة ديوان الجهادية في مستهل حملة الشام سنة ١٨٤٣ ، وقد أنكرتها الوثائق والمراجع قبل هذا التاريخ ، ولعل حوادث الجيش وجرائم الآلايات لم تكن تحتمل تخصيص صحيفة له قبل تنظيمه وازدياد جنده هذه الزيادة التي قلما تجارى في تلك الظروف ، وقد فصلت إحدى الوثائق قدر هذه الصحيفة حيث قالت إنها « الجريدة الخاصة بنشر الجرائم التي تقع في الآلايات » وأنه يصدر منها « شهريا خمس عشرة نمرة الجارى طبعها في مطبعة ديوان الجهادية . » (٢) وقد شكوا حضرة صاحب الدولة الباشا السر عسكر من التهاون الملحوظ في نشر هذه الجريدة العسكرية ، فقرر مجلس شورى الجهادية التنبية على « أحمد أفندي ناظر مطبعة ديوان الجهادية لأن يبذل جهده حتى لا يقل عدد ما يطبع خاصا بالجرائم العسكرية من خمس عشرة نمرة في كل شهر ، وتكليف « ثابت أفندي كاتب مجلس شورى العسكرية بأن يختار من بين المستخدمين في شورى الجهادية موظفا قديرا ويوليه مهمة تسليم ما يرد إلى المجلس من أعداد الجريدة العسكرية ، وإرسال أعداد هذه الجريدة بالبريد إلى الديوان الخديوي ، ثم يكلف مجلس شورى الجهادية « الأفندي وكيل مأمور الديوان الخديوي » بأن يعنى بإرسال الجريدة إلى الجهات المختصة مرتين في كل أسبوع .

(١) راجع قيودات الأوامر العلية وتحريرات المعية لسنة ١٢٤٩ هـ

(٢) محفوظات هابدين وثيقة رقم ١٣ أصل دفتر ٧٩٨ ديوان خديوص ٢٥ في ٢٨ محرم ١٢٥٠

ولم نوفق إلى الحصول على نسخة من الجريدة العسكرية حتى نصورها في الصورة اللاتقة بها ، لكن في استطاعتنا أن نقرر من تسميه هذه الجريدة أنها كانت تنشر تفاصيل هذه الجرائم والقصاص الذي نزل بمرتكبيها ، وأنها قياسا على ما كان يحدث في أمر توزيع الجرنال والوقائع نرجح أنها كانت توزع على ضباط الجيش ، ولعلها كانت تقرأ على الجنود أو يفسر لهم ما فيها وأكبر الظن أن حياة هذه الجريدة لم تستقم على ما كان يهوى دولة السر عسكر فان الجنود المصرية لم تكن خلال حرب الشام في حالة تسمح باستقرار ينتج صحيفة تصدر خمس عشرة مرة في كل شهر ، لأن الحوادث والجرائم التي تقع في الجيش كان يتعذر نقلها في انتظام إلى مصر من حدود الأناضول أو من أعماق السودان لتنظيم أمور الجريدة وحوادثها ، وفي ذلك شكاً دولة السر عسكر كما رأينا . ونحن نرجح أن عمر هذه الجريدة لم يطل لأن الوثائق التي اتصلت بالجيش ونظامه وحروبه وظفره أنكرتها إنكاراً تاماً فيما خلا تلك الوثيقة التي أشارت إليها ، وعندى أن معاهدة لندن وقد حدثت من نشاط العسكرية في مصر قد حالت دون استمرار الجريدة واضطلاعها بالأعباء التي حدثتنا عنها وثيقة مجلس شورى الجهادية أو لعلها تطورت إلى شيء يشبه الغارثة العسكرية المعروفة بأخبار الترقيات والتنقلات بين صفوف الجيش ، وهو عمل صحفى هادىء تدعو إليه الحاجة وليس له موعد معلوم .

أثبت جرنال الخديو والوقائع المصرية والجريدة العسكرية أن ولى النعم كان يؤمن بقدر الصحافة وخطرها في المسائل العامة التي كان يكرس حياته من أجلها ، وقد أدى جرنال الخديو وظيفته من حيث تمثيله للنظم القسديمة ، كما أدت الوقائع المصرية رسالتها من حيث أنها كانت أكثر عمومية وأوسع إدراكاً لمعنى الجريدة بصفتها الرسمية والعامة كما أنها كانت لساناً طيباً لإصلاحاته وتنظيحاته التي أدخلها في

سنة ١٨٢٦ . وهكذا كان الغرض من الجريدة العسكرية ، فقد ارتبط وجودها باتساع الجيش اتساعاً لم يكن معهوداً من قبل .

وقد يبدو غريباً ألا تكون للشئون الزراعية أو التجارية جريدة مماثلة لصحف النظم الادارية والعسكرية ، مع أن هذه الشئون قد شغلت الدولة كما شغلها الجيش وتجديده ، فقد حفلت محفوظات عابدين بمئات الأوامر واللوائح والقوانين التي تتصل بتقوية جسور النيل وتنظيم البلاد الواقعة على شاطئيه والعناية بالرى وزراعة الأثمار وغرس الأشجار ، ومراقبة مياه المحمودية ، ونظام بيع المحصولات وما إلى ذلك من الموضوعات التي تتصل بالزراعة والتجارة (١)

وأهم الوثائق التي تفتطم أغراض الباشا في التجارة والزراعة تبدو من أمره الخطير بإنشاء بنك في الاسكندرية « مثل بنوكة المالك المتمددة ويكون له امتياز وسلطة في تسعير العملة المصرية والعملة الأجنبية والأوراق وتسعير سائر أصناف الزراعة والتجارة الجاري الأخذ والعطاء فيها سواء كانت بالمزايدات أو بالممارسة أو بالاعلانات ، وفتح اعتمادات وقبول التجاويل والرجع الميرية لما فيه من إزالة الضرر واتساع نطاق التجارة ، (٢)

وفي انتظام شئون الزراعة واتساع المجال في الحياة التجارية كما رأينا ما يبرر إنشاء صحيفة لهما تكون على غرار ما كان للجيش ، ولعل الوالى قد وجد في الوقائع كفاها لهذا بما اعتادت نشره من هذه الأخبار ولعل الفترة التي تخرجت فيها الأمور بينه وبين السلطان ، وهي تقع بين سنتى ١٨٣٣ - ١٨٤٠ ، لم تتمح له الانصراف التام إلى مثل هذه الشئون الجزئية إن صح التعبير ، فقد كان كل شىء فى خدمة الجيش ، فاذا انجملت الأمور عن معاهدة لندن واستقرت الأحوال بين القاهرة والأستانة انصرف جهد الحكومة عن الجيش واتجه إلى الاصلاح الداخلى وفى

(١) محفوظات عابدين - دفتر مجموع زراعة وهو فى ٢٥٠ صفحة من الحجم الكبير

(٢) أمر صادر عن اللائحة المختصة بإنشاء بنك فى الاسكندرية فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٥٨ هـ

مقدمته الزراعة وحياة الفلاح ، وهو ولي نعمته كما يقول هو (١)
وفي ذلك العهد - عهد الهدوء والاستقرار - صدرت لائحة زراعة الأراضي
وقد ضمنها الوالى جملة ذات على القصد منها فقد قال فى مقدمتها « إن رفاهية الأهالى
هى من الزراعة ، (٢) ، ثم توسع فى إنشاء الترع والقناطر وأهمها القناطر الخيرية ،
ولم يكن ابنه وخليفته ابراهيم باشا بأقل منه اهتماما بالزراعة ، فقد توفر عليها رعى
مختلف شئونها (٣) فليس غريبا إذن أن يكون محمد على قد فكر فى إصدار جريدة
للزراعة والتجارة وحال مرضه دون اتمام هذا المشروع ، ومن ثم أخذ ولده ابراهيم
على عاتقه أن يصدر هذه الصحيفة فأمر بانشائها فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ هـ . وجاء
فى أمره : « حيث استنسب عندنا فى هذه الدفعة ترتيب جرنال يحتوى على الاعلانات
الملكية والأخبار التجارية لأجل الحصول على الفوائد العمومية واستصوب أن
يرسل لكل منه كافة البنادر والقرى صورته الآتى نظيرها أدناه ليحصل لكل أحد
فايدة من الجرنال المذكور ، وبما أن الحصول على ذلك كما يجب فهو منوط لإرسال
الافادات والكشوفات والاعلانات المقتضى جلبها لديوان المدارس جمعه بجمعة بدون
توقيف ، (٤) ثم يبدى الوالى ضرورة العناية بهذا الموضوع والغيرة على نجاحه حتى
يطبع فى كل أسبوع ويوزع فى البلاد والقرى كافة . ويشتمل الجرنال ، على
الأشياء التى تباع فى ظرف كل جمعة بساحات وسواحل محروسة مصر واسكندرية
والبنادر الكبار بالأقاليم القبلية والبحرية والوسطا والأسواق المعينة والموالد
الكبار بالأقاليم المذكورة . أعنى يكون مشتملا على الأسعار التجارية فى بيع الغلال
والابزار والأصناف وأجناس الحيوانات المباعة فى المدة التى هى من ابتدى يوم
السبت لغاية يوم الخميس » ثم يفرض نشر أخبار المبيعات التى ترسل إلى البلاد

(١) من أمر محمد على إلى مفتش عموم القابريقات فى غاية جمادى الآخرة عام ١٢٥٢ هـ تقويم النيل

ص ٢٧٤

(٢) أمر محمد على إلى ديوان الجفالك فى ٢٦ ذى القعدة عام ١٢٦٢ هـ تقويم النيل ص ٥٤٠

(٣) تقويم النيل لامين باشا سامى ص ٥٤٣ و ٥٤٤

(٤) محفوظات عابدين دفتر مجموع ترتيبات وظايف . ترتيب وظايف ديوان شورى المعاونة ص ٩ و ٣٠

الخارجية بحراً ، على أن يتولى ديوان المدارس جمع هذه الأخبار بوساطة المديرين
ومن اليهم ألقى أمور الدواوين .
فاذا فرغ من أخبار التجارة وتفصيلها ذكر البند الثاني أنه يجب أن تنشر في
هذا الجرنال . « الاعمال التي تفيد الزراعة وأخبار الأطنان المزروعة زيادة عن العادة
ببذل الجهد أو طرق مخصوصة لتربية الحيوانات أو زراعة تقاوى نظيفة أو زراعة
أنواع النبات التي لم تعرفها مصر أو غرس أشجار نافعة مشمرة أو غير مشمرة » كما
ينبغي الاتقوت الجريدة « مشاهدات أطباء المديريات عن الصحة والأمراض والعلل
النادرة الوقوع والأدوية وأوجه العلاج » ثم يقرر الأمر في بند ثالث الموضوعات
الأخرى التي يجب أن تنشرها الجريدة وهي « أوصاف وفوائد البده في الترع والجسور
والأبنية والعمارات الميرية وعدد الأنفار والصناع وماصرف عليهم وحوادث كسور
القناطر أو قطع السدود والجسور قضاء وقدر أو بفعل فاعل ومعالجة ذلك بالتعمير
وكذلك أخبار الأضرار والخسائر التي تنزل بالغيطنان من طغيان المياه ونشر المجهودات
التي بذلت لاصلاح الحال »

هذا مجمل لأهم ما جاء في أمر ابراهيم باشا بإنشاء الجريدة ، وقد علقنا الوقائع
في ١٢ دى القعدة سنة ١٢٦٤ هـ على ذلك الأمر بقولها « لما كان أمر التجارة والزراعة
أساساً للرفاهية والثروة وقد أراد الجناب الخديوى أن يطبع (جرنال جمعى) في
شأن ذلك بحيث يشتمل على أخبار التجارة والزراعة والاعلانات الملكية وأن ينشر
على البلاد والقرى كافة زيادة على نسخ الوقائع المعتاد نشرها في كل أسبوع لتعلم
أرباب التجارة والزراعة بمطالعة ما يتحصل من الرواج ويكون وسيلة إلى استحصال
الفوائد العامة » ثم ذكرت الوقائع في ٣ ذى الحجة من نفس السنة أنه « بودر
إلى الشروع في طبع الجرنال المذكور من الآن ، طبق مراد الأصفى على الشأن ،
وسينشر في كل يوم جمعة بدون انقطاع ، وقد حررت في هذا الأسبوع أول نسخة
منه وطبعت ، وعلى كافة المديريات نشرت »

ويبدو من الأمر الخديوى أن فكرة انشاء هذه الصحيفة ليست جديدة فقد ذكر

أنه استنسخ عند ابراهيم باشا في « هذه الدفعة » ترتيب هذا الجرنال ، ومعنى هذا كما يدل منطوق أمره أن هناك محاولات قد بذلت مرة على الأقل قبل « تلك الدفعة » التي تقرر فيها إنشاء الجريدة ، وأن هذه المحاولات غالبا ما بذلت في عهد والده محمد علي الذي نرجح أن صحته لم تطأ وعه في المضي نحو تحقيق هذا المشروع الصحفي ، وهكذا نشرت جريدة التجارة والزراعة في عهد خلفه « زيادة على نسخ الوقائع المعتاد نشرها في كل أسبوع » كما تقول الجريدة الرسمية في تعليقها على تلك الصحيفة . وقد وزعت الجريدة على كافة المديرات ، وسمتها الوقائع في كثير من أعدادها « الجرنال الجمعي » كما نقلت عنها بعض محتوياتها ، ولم يطل عهدها فقد كتبت الوقائع عن ذكرها بعد وفاة ابراهيم باشا ، ولم نعث على نسخة منها ، وأكبر الظن أنها نشرت خمس مرات فحسب منذ صدر الأمر بإنشائها إلى يوم وفاة منشئها في ١٤ ذى الحجة

سنة ١٢٦٤ هـ

الفصل الثاني

تطور الصحافة الرسمية

بلغت الصحافة الرسمية مكانة سامية في عهد ابراهيم باشا ، فلما خلفه على شئون مصر عباس الأول تغيرت الحال ، وتغيرت نظم الحكم الداخلية كلها على وجه التقريب ، وأثرت أخلاقه الخاصة فيما صنعه جده العظيم ، فقد كان سيء الظن بالناس شديد التطير عزوفا عن كل جديد ، فأقصى معظم الخبراء الذين استعان بهم محمد علي من فرنجة ومصريين (١) ، وأفضل معظم المدارس بدرجاتها جميعاً بحجة الاقتصاد أو بدافع من طبيعة الحرص فيه ؛ ثم أغلق المصانع والمعامل وهي نتيجة لحاكم لا يؤمن بأثر التعليم ، وأفسد عامداً خير ما صنعه جده لوحة البلاد ، فشاب مصرية الجيش بلون من الجنود الأرناؤود وهم فئة عابثة حاول جده مدة سنوات التخاص منها والقضاء عليها (٢)

هذه العقلية التي أشرنا إلى بعض تصرفاتها في إيجاز لم تحتل بالطبع أية صحافة مهما يكن لونها ، وآية ذلك أن الجريدة التجارية الزراعية اختفت لجأة ولم يعد لها ذكر لا في الوقائع المصرية ولا في الوثائق المختلفة ، والوقائع نفسها لقيت من الضيق في عهد عباس الأول ما حجبتها عن القراء معظم أيام حكمه .

وتدلنا إحدى الوثائق على مدى فهمه لوظيفة الصحيفة الرسمية فهو يأمر بأن

(١) Merruau. L.Egypte Contemporaine. Paris 1840-1857 p. 123 etc

(١) الخطط التوفيقية لعلى مبارك باشا ج ١٤ ص ١٢٦ .

يقتصر توزيع الوقائع على « الحائزين على رتبة فريق ورتبة ميرميران ورتبة ميرلوا ورتبة ميرالاي فقط » (١) ومعنى ذلك أن الستائة نسخة التي كانت توزع على المشتركين من الموظفين والعلماء وتلاميذ المدارس وأعيان المصريين ، قد انخفضت إلى بضعة عشرة نسخة لعدد محدود من كبار ضباط جيشه ، ومصدر هذا كله أن الوالى قد علم أن الجريدة ترسل « لجماعة أمية وسفلة مثل حسن أغا وكيل الخراج وفضل الله أغا الطاهى وموسى اليهودى الآلاتى (المهرج) » ثم يقول فى كتابه إلى مجلس الأحكام « فلما رأيت ذلك خجلت من نفسى ورأيت أن إرسال الجريدة إلى أمثال فضل الله أغا وحسن أغا من الأمية والجهلة الذين لا يعرفون معنى الجريدة ولا سيما موسى اليهودى الآلاتى ، فقد عدت إرسال الجريدة لهم ذلاً زائداً » (٢)

هاله أن تقرأ هذه الطبقة صحيفة الحكومة من أمثال وكيل الخراج وموسى الموسيقى ، وهو اتجاه يجرى فى برج نظامه العام ، ويتفق تماماً مع تفكيره وترفعه عن عامة الناس ، فبينما كان جده يفرضها فرضا ويخاق لها القراء خلقاً ، يأبى هو أن تنحدر إلى أمثال هؤلاء من الأمية والسفلة . . وكانت الصحيفة فى أعدادها القليلة التى صدرت فى عهده تعبر عن قصد الباشا تمام التعبير ، فلم نعد نقرأ فيها مقالاً ذا قيمة أو خبراً فيه طلاوة العبارة أو جدة المعنى .

ولم يكن حظ الوقائع والصحف الرسمية القديمة فى عهد سعيد بأحسن من حظها فى عهد سلفه وإن بدأ سياسته فيها بدأ حسناً فقد ذكر بعد توليه الحكم بثمانية أيام فى أمر له إلى مدير المدارس أنه « لما كان جودت أفندى محرر الوقائع من أهل العلم وأصحاب الاجتهاد كان الواجب المتبع لدينا فى ترقية الموظفين أن نرقى أمثاله فاعلموا أننا منحناه رتبة القائم مقام وقيدوا له مرتب القائم مقامية وجرايتها ابتداء من

(١) محفوظات تابدين وثيقة ٤٩٧ دفتر ٤٨٤ معية تركى فى ٢٣ صفر ١٢٦٩ هـ إدارة

(٢) تابدين وثيقة ٤٨٤ معية تركى فى غرة ذى الحجة ١٢٦٨ من المعية إلى مجلس الاحكام

تاريخ أمرنا وأصرفوهما له كلما استحقهما طبق الأصل ، (١) وهذا الأمر يعني أن والى مصر الجديد سيعنى على القليل بالصحيفة الرسمية ولكنه على عادته المعروفة من التقلب وقف عن تحقيق هذه النهضة الصحفية المرجوة في عهده ، وتاريخه حافل بهذا التقلب الملحوظ فبينما يمنح الفلاحين حق ملكية الأراضي الزراعية ويتجاوز عن الضرائب المتأخرة عليهم ويلغى نظام الاحتكار (٢) نجده يمعن فيما صنعه سلفه من تغليق المدارس وينصرف عن الجيش ويحواله إلى عمال لقنال السويس (٣) بعد أن اهتم به في أول الأمر ، وكان الأمل عظيماً في أن تجنى مصر في عهده كثيراً من نعمة الهدوء والاستقرار ولكنه لا يستقر على اتجاه فلا عجب إذن إن لقيت الصحافة الرسمية في أول عهده تشجيعاً ملحوظاً آتته ترقية محرريها ثم نراه يردّها إلى الجمود المطلق الذي تجاوز في آثاره أسوأ مما صنعه سلفه عباس .

أراد سعيد باشا أن يتخلص من مطبعة بولاق وتكاليفها كما تخلص من المدارس الكثيرة التي أنشئت في عهد والده محمد علي ، وذلك بعد أن أدت واجبتها أحسن الأداء منذ إنشائها متخطية كثيراً من الصعاب ، بيد أنها في عهد سعيد لقيت عناء أثر في نشاطها واضطرت إلى التعطيل فاحتجج جهدها من يوليو سنة ١٨٦١ إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٦٢ ثم عادت إلى الحياة في فتور لتطبع بعض ما كانت الحكومة في حاجة إليه من الكتب والدفاتر ، ثم أنعم بها على صديقه عبد الرحمن رشدي بك مدير الوابورات الميرية وملكه العقار والآلات (٤)

تعطلت الوقائع المصرية سنة كاملة بوقف مطبعة بولاق كما رأينا ثم عادت إلى

(٣) محفوظات عابدين وثيقة ١١٠٩ دفتر ٤٨٤ معية تركي في ٢٨ شوال عام ١٢٧٠ هـ

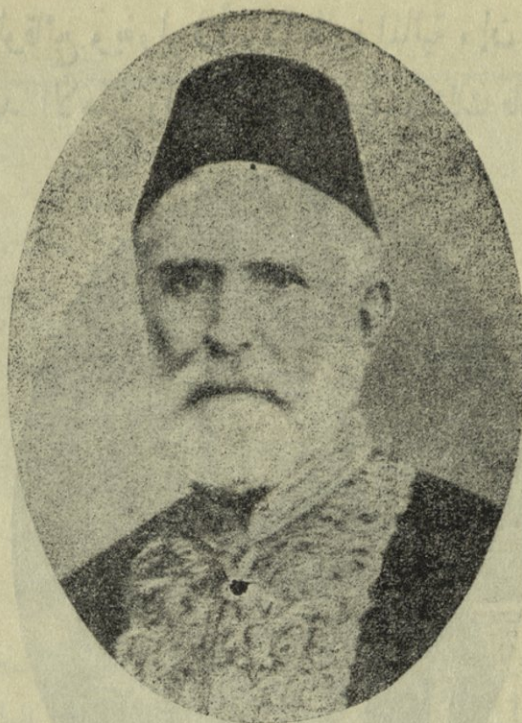
(٢) Merruau. L. Egypte Contemporaine p. 64

(٣) Lettres, Journal et Documents pour servir à L'histoire du

Canal du Suez. F. DeLesseps. T. 4. p. 333.

(٤) أمر عال إلى نظار المالية في ١٣ ربيع الثاني عام ١٢٧٩ هـ دفتر الاوامر العلية الصادرة

للهاية — محفوظات القلعة



عبد الرحمن رشدى بك صاحب مطبعة بولاق

الحياة بعد تملك رشدى بك للمطبعة، وأذن له الخديو اسماعيل - وكان قد تولى الحكم بعد منحة سعيد لرشدى بك بشهرين تقريباً - « بنشر وإعلان الوقائع الرسمية الخاصة بالأهالى والحكومة على أصلها، ثم أعاره لبعض الموظفين القادرين على أداء الخدمة الصحفية فى الجريدة الرسمية (١) » فأطلقت الجريدة من العقال وجالت فى ميدان المقال، وشرعت تنشر الأخبار المصرية والأجنبية لكن فى هيئة غير رسمية (٢)

بقيت الوقائع المصرية فى كنف رشدى بك زهاء ثلاثة أعوام حتى وافت سنة ١٨٦٥ فإذا اسماعيل باشا يشتري المطبعة الأميرية من صاحبها (٣) ويضع للصحافة الرسمية تاريخاً يبرز تاريخها فى عهد أسلافه جميعاً، ويجدد فى مناحيها ويخلق

(١) ارادة لأحمد رشيد بك ناظر المالية فى ٧ شعبان عام ١٢٧٩ هـ ترجمة ص ٤٠ دفتر ٥٢٥

(٢) الوقائع المصرية . من مقالة احمد خيرى بك . العدد الصادر فى ٢٥ نوفمبر عام ١٨٦٥

(٣) تقويم النيل ج ٣ ص ٥٩٨

في أنواعها ، فيبدأ بالوقائع ويقول في أمره لنظارة المالية « إن من المسلم به أن للجرائد منافع ومحسنات عند الأهالي ولدى الحكومة ، ولذلك فاني أرغب في إدخال



الخدو اسماعيل مجدد الوقائع المصرية

جريدة الوقائع المصرية في عداد الجرائد المعتبرة ، ودخلت الوقائع فعلا في عداد الجرائد المعتبرة ، وفاقته في عهده تاريخها السابق فنشرت من الأخبار قديمها وحديثها ونقلت عن الصحف الغربية خير ما فيها ونشطت البرقيات بين صفحاتها ، وعينت بالبلاد الشرقية وأمورها كما خصصت مكاناً رحباً لأخبار الداخل وتفصيلها ، ولم تسقط من حسابها الأمور التجارية والمسائل الاقتصادية والأبواب الاجتماعية والأدبية ، وفتحت صدرها للإعلانات كباب من أبواب رزقها ، كما نصبت نفسها لساناً يدافع عن الحكومة وتصرفاتها ويهاجم خصومها من الصحف الأجنبية في مصر أو الصحف الغربية في بلادها ، ونظم الخديو أمورها وعين لها خيرة العمال والمحررين وبذل لهم في سخاء لم يعهده محرروها من قبل (١)

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٦٤ دفتر ١١٨١ أوامر للمالية في ٣ رجب عام ١٢٨٢



الصورة التركية للوقائع المصرية في عهد اسماعيل

ويشاء الخديو أن يجعل لسنة ١٨٦٥ شرف النهضة الصحفية الرسمية فتصدر الحكومة صحيفتين أخريين ، صدى لنهضة عميقة في الطب والجيش ، فقد أقبل اسماعيل والمدارس مغلقة ودور العلم معطلة فشاء أن يرد إليها الحياة في غير تردد ، وعنى عناية خاصة بمدرسة الطب فيكان تقدمها سريعاً حتى جاوز عدد طلابها المائة ، ولم تكن وقفا على الشعب المصرى وحده بل فتحت صدرها للطلاب من البلاد الشرقية (١) غير من ضمت من طلاب الصيدلة والقابلات المصريات ، وإلى جانبها قامت مدرسة الطب البيطرى يشرف عليها جميعاً فئة من أعلام الطب المصريين والأجانب على السواء .

رأى الخديو اسماعيل أن يكون للنشاط الطبى في مصر أثر يخلد فعاله ويعاونه على نشر أفضل المسائل الطبية كما يكون مجالاً يتبارى فيه الأطباء بإنشاء الموضوعات المفيدة ، فأصدر مجلة يعسوب الطب ، وهى أقدم الصحف الطبية فى الشرق كله ، على أن تشرف عليها الحكومة المصرية ، وتمدها بالمال ، وقد قامت المطبعة الاميرية بطبعها ، ومضى يحررها محمد تلى باشا الحكيم كبير الأطباء المصريين ، وهى ترجو - كما تذكر خطتها - أن تقدم لمطالعيها من رياض الطب وأزهاره ما يغنيهم عن الرجوع إلى مطولات السكتب وشروحها أو المجالات الأجنبية وفصولها الطوال

(١) أمر عال إلى مجلس الصحة فى ٢٤ ربيع الاول عام ١٢٨٢ هـ من ٢١ دقتر ١٩١٣ عربى

كما يجنى اليعسوب وهو أمير النحل في دولته موارد العسل من أزهير الرياض ،
وكان شعار المجلة « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس » .
وكانت موضوعاتها طريفة تغرى بالقراءة حقاً (١) فلم تتعرض للمسائل الصحية
الجافة ، وكانت تعالج الموضوعات العلمية في أسلوب يدركه القارئ العادي ، وقد
ساهم في تحريرها الأطباء المصريون والفرنجة ، ومنح الشيخ إبراهيم الدسوقي علاوة
على راتبه مائة وخمسين قرشاً مقابل قيامه بترجمة فصول الأطباء الأجانب (٢)
ومن أهم ما حملته هذه المجلة الفصول التي كتبها القابلة جليلة تمرهان ، وهي فيما نعلم
أول مصرية تكتب في الصحف موضوعاً ، وموضوعاً فنياً بالذات ، وأكبر الظن
أن المجلة كانت توزع على الأطباء وطلاب الطب في مصر جرياً على ما اتبع مع
مثيلاتها وطلباً لتحقيق الفائدة منها . وكانت يعسوب الطب صدى لنشاط الحكومة
في النواحي الطبية ، وكذلك أصبحت الجريدة العسكرية المصرية الصحيفة الرسمية
الثانية التي أنشأتها حكومة اسماعيل في سنة ١٨٦٥ باستثناء الوقائع المصرية ، ومن
سقط القول أن نقدم لإنشائها بحديث عن النهضة العسكرية في ذلك الوقت ، فذلك
أمر يعرفه كل من درس عصر اسماعيل وألم بأطرافه وعدد المدارس التي أنشئت
لتعليم الفنون العسكرية وما أنشئ معاً لها من المدارس ، غير البعثات الحربية إلى
فرنسا (٣) والبعثة الحربية من فرنسا ، وهيئة أركان حربه من الأمريكيين ، ومطبعة
الجيش ومكتبته ومتحفه .

وإذا استقام أمر الجيش على هذه الصورة التي عرضناها في إيجاز فن الطبيعي
أن تصدر له صحيفة تكون عنوانها « فقد اقتضت مروءته - أي مروءة الخديو -
وتعلقت عنايته بأحداث هذه المجموعة العلمية الدورية المسماة بالجريدة العسكرية
المصرية بحيث تنطبع وتنتشر بوجه الانتظام على طرف حكومته العلمية ، إذ كان
الغرض الأصلي منها أن تنشر بالخصوص على سائر الضباط الجهادية وضباط

(١) احتفظت دار الكتب بأعدادها ابتداء من العدد ٢٤ في ٢٣ محرم عام ١٢٨٥ هـ

(٢) أمر عال إلى مجلس الصحة في ٢٤ ربيع الأول ١٢٨٢ هـ ص ٢١ دفتر ١٩١٣ عربي

(٣) حقائق الأخبار عن دول البحار لاسماعيل سرهنك طبعة ١٣١٢ هـ ج ٢ ص ٣٠٧

الصفوف والعساكر بالجيش المصري وعلى تلامذة المدارس الحربية ، ولا تخصص بالإشتمال على بنود تتعلق بأنواع العلوم والفنون العسكرية المتحصلة عند الملل المتأخرين والأهم المعاصرين فقط ، بل يندرج فيها أيضاً فوائد جلية وإرشادات جميلة مما لا بد منه لكل إنسان متمدن ، ولا بأس به لكل حاذق متفنن من المعارف النافعة والفنون المتنوعة ، مع ما ينضم لذلك من تحلية هذه المجموعة بأدراج يوميات محصل ما يحصل في سائر أقطار الدنيا من الحوادث الكبيرة البوليتميقية أى السياسية والوقائع الشهيرة العسكرية ، ثم تستمر الجريدة في إعلان خطتها وتبيان أغراضها فتعلن أنها ستظهر « في كل شهر مرة ، فهى شهرية قمرية ، فكل من أراد من المستخدمين الميرية وضباط الجيوش المصرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب المناصب العلمية أن يودع فيها فائدة مناسبة من معلوماته ، أو نادرة مقبولة من تأليفاته لمساعد المعينين بها على دوام تحريرها ، ويجاهد مع الرفقاء في سبيل العلم والمصلحة العامة على تمام تسطيرها فليوجه من فضله إلى حضرة ناظر عموم المدارس المصرية ما استنسب إدراجه في ضمن سطورها أو استصوب استيداعها في طى منشورها حيث كان المعول الأعلى على حضرته في عموم إدارة أمورها » (١) . فهى إذن تختلف أشد الاختلاف مع الجريدة العسكرية في عهد محمد على ، إذ كانت الأولى للجرائم العسكرية وحدها . أما جريدتنا هنا فليست جريدة ضيقة المعنى محدودة الغرض ، وهى ليست مقصورة على الشؤون العسكرية بل « يندرج فيها أيضاً فوائد جلية من المعارف النافعة والفنون المتنوعة » وهى تفسح صدرها لكل كاتب غير ضباط الجيوش المصرية من المستخدمين الميرية وغيرهم من أصحاب المعارف الخصوصية وأرباب المناصب العلمية . ولم تشغل الجريدة العسكرية المصرية أقلام الكتاب والضباط المصريين وحدهم بل غنيت صفحاتها بمقالات المعلمين والضباط الأجانب حتى أن معظم أعدادها كان وقفاً على أقلام هؤلاء الأجانب وخاصة « مرشير بك Mircher رئيس الإرسالية العسكرية الفرنسية فى مصر ، وكانت الخرائط التى

(١) من مقدمة الجريدة العسكرية فى غرة جمادى الثانية ١٢٨٢ هـ (٢٢ سبتمبر عام ١٨٦٥)

حرب بعد أن قامت بنشرها فترة طويلة مطبوعة وادى النيل . وجريدة أركان الحرب ليست صحيفة علمية عسكرية فحسب بل فيها من المعاني الوطنية فصول عن وقائع الجيوش المصرية المظفرة في الشام وبلاد العرب وكريت وغيرها كما حفلت أعدادها الكثيرة بألوان من المصورات المختلفة وأحدث الصور لآلات الحرب في ذلك الوقت .

وإذا كانت رعاية اسماعيل للطب والصحة العامة أنتجت يعسوب الطب ، ونهضته في الجيش وأقسامه استحدثت في عالم الصحافة الرسمية جريدتين فإن عنايته بالتعليم وهو من أظهر مفاخر عصره كان قيننا بأن تكون له صحيفة تعبر عن هذا النشاط الذي أخذ يدب في المدارس وقد أغلقها بعض أسلافه ولم يبق إلا على فئة منها لا تغني ولا تثمر ، فأعاد اسماعيل تأليف ديوان المدارس بحيث يضطلع في تنظيمه الجديد بالشئون التي أقيمت على عاتقه .

أنشأ الخديو شتى المدارس التي كان لها فضل النهضة الأدبية والفكرية في عصره وفي عصور خلفائه من بعده ، فشهدت مصر لأول مرة مدرسة الهندسة في سنة ١٨٦٦ وعوض عن مدرسة الحقوق بمدرسة الألسن التي لم يستسغ وجودها عباس الأول وشغل ديوان المدارس بأمر اللغة العربية ، كما لاحظ الخديو نفسه إهمالها في مصالح الحكومة ، فرأى من ناحيته أن يرد لها اعتبارها فأمر بأن « المكاتبات التي تتداول من الآن فصاعداً بكافة الدواوين والمصالح الميرية التي بداخل جهات الحكومة تكون باللغة العربية » (١)

ولما كانت لغة الدواوين في ذلك الوقت ركيكة العبارة ضعيفة الأسلوب شاء الخديو أن يقود أمر اصلاحها في مصر ، دواوينها ومدارسها فأمر بإنشاء مدرسة دار العلوم .

(١) أمر صادر للبالية في ٦ شوال عام ١٢٨٦ هـ دفتر ٩٣٠ ص ٤٦

ولم يقف نشاطه عند هذا الحد من التجديد فأوحى إلى إحدى زوجاته أن تتولى أمر تعليم البنات فأنشأت لمن مدرسة كان عدد طالباتها أربعمئة فتاة (١) ثم افتتحت مدرسة أخرى في العام الثاني ولم يبق من أنواع المدارس نوع إلا أقام الخديو صرحه ، فأسس مدارس للصناعة والمساحة والمحاسبة والزراعة ، هذا بجانب ما أنشئ من المدارس الحرة التي أقيمت عطفه وبره كمدارس الأقباط والمدارس الأوروبية المختلفة .

أتسكون هذه النهضة العلمية الضاربة في كل علم ، الآخذة بكل فن من غير وسيلة تعبر عنها كما عبرت عن جزء منها يعسوب الطب ؟ ما كان يمكن للصحافة الرسمية اكتمال من غير إنشاء الروضة لمدارسها ، وهي مجلة أنشأها على مبارك باشا في سنة ١٨٧٠ في وقت كان يلى فيه شئون التعليم ، فهي صحيفة ديوان المدارس تنفق عليها الحكومة ، وكان الغرض من إنشائها النهوض باللغة العربية وإحياء آدابها ونشر المعارف الحديثة ، وقد أقيمت مقاليد أمورها إلى أستاذ الصحافة الرسمية في القرن التاسع عشر رفاعه رافع الطهطاوى محرر الوقائع في عهد محمد على وناظر قلم الترجمة في عهد إسماعيل ، يعاونه في إصدارها جهايزة العصر في العلوم والآداب والفنون المختلفة .

كانت روضة المدارس ميدانا رحيبا من ميادين الأدب يتبارى فيه أولئك الجهابذة بموضوعاتهم الطريفة وأساليبهم الرفيعة في الأدب والاجتماع والتاريخ والفلك والرياضيات ، وكانت تصدر حافلة بذلك مرتين في كل شهر . وقد أمر إسماعيل بتوزيعها مجاناً على التلاميذ ، فعودتهم ملسكة المطالعه والبحث ، وفتحت صحائفها للتابعين منهم فكان ذلك يشجعهم ويدفع همهم إلى البحوث والمجهودات المستقلة عن دروسهم ، وهي أول صحيفة احتفت بعلم من أعلام الشعر في القرن الماضي فنشرت الشعر الحديث الرقيق والشاب النجيب إسماعيل أفندي صبرى ، (هو إسماعيل باشا صبرى فيما بعد)

(١) الوقائع المصرية العدد ٥١٩ في ٥ أغسطس سنة ١٨٧٣ « وما بعده

وهو أحد تلامذة مدرسة الإدارة وقد أغنتنا افتتاحيتها عن الطواف برياضها لتسجيل غايتها وتبيان أغراضها، فهي تذكر وظيفة مصر في ذلك العصر، عصر اسماعيل المتكفل بسمو درجاتها ونمو بهجتها وتقويم صعدها وتمكين نجلتها، هذا الأمير الذي استحق ثناءها لأنه ردد إلى ديوان المدارس مكاتبه، وهو ديوان كل ما يروجوه واعتماداً على مساعدة العناية الخديوية تعميم العلوم وتعميم المعارف، وانتشار الفنون وإكثار اللصائف، ومداولتها بين جميع أبناء الوطن، وتسويتهم في الورد على مستعذب هذا المشروع الحسن، ثم تضيف المقدمة إلى ذلك أن الإرادة الخديوية أرادت إصدار صحيفة باسم (روضة المدارس) تكون مجالاً لأنفس المواد العلمية « بحيث تكون فيها الفوائد المتنوعة والمسائل المتأصلة والمتفرعة أقرب تناولاً للمطلع المستفيد، وأسهل مأخذاً لمن يعاينها من قريب الفهم والبعيد، بقلم سهل العبارة واضح الإشارة وألفاظ فصيحة غير حوشية ولا متجشمة لصعب التراكيب، ثم تبين لنا الغرض من إنشائها بقولها « إن المرام من ظهورها بهذه الصورة هو أن تنكشف للعامّة مخدرات العلوم وترفع حجبها المستورة وتستضيء بنورها أرباب العقول السليمة وأصحاب الطبائع المستقيمة، وخصوصاً بين أبناء المدارس..... حتى تتسع دائرة معقولهم ومنقولهم..... ويعتشم على ازدياد اهتمامهم إذا علم كل منهم أن ما يظهر من أعماله المستحسنة، ويشهر من أشغاله الدائرة على الأفتدة والألسنة سيقيد بهذه الصحيفة». أما موضوعاتها فهي « رسائل مؤلفة جديدة ونبد مصنفة مفيدة من فنون وعلوم مختلفة ومسامرات من مستحسن الحكايات والأخبار مقتطفة، وبعض تراجم من لغات أجنبية، وسيكون كتابها من خيرة عمال ديوان المدارس، ويصبح تحريره في الروضة من أهم وظائفهم، لذلك « صار كل منهم برسم عضو تأسيس يتشكل به جسم هذه الصحيفة مندوباً من طرف الديوان » وكان أظهر من عمل فيها أبو السعود أفندي الذي اختير لترجمة مقالات الاساتذة الأجانب المنشورة في الروضة وقد عنيت إلى جانب ما ذكرنا بشئون المدرسين، تنقلاتهم وترقياتهم (١) وقد

استغرقت بداية الصيف من كل عام أخبار الامتحانات المدرسية وحفلاتها كما أزدحت بعض أعدادها بروائع من الشعر وقصائد المديح في الخديو اسماعيل ، وشغلت بعض سطورها بالاعلانات ، وهي اعلانات شديدة الصلة بوظيفتها كفتح المدارس وبيع المكتب والحاجة « إلى خوجات » وما إلى ذلك .

هذه هي الروضة التي بلغنا بها آخر مراحل النشاط الصحفي الرسمي في عهد الخديو اسماعيل ، وهي نهاية موفقة كما كان البدء موفقا في الوقائع المصرية ، ويكاد يكون عهد الخديو خاتما لنشاط الصحافة الرسمية في مصر ، فيما خلا مجلة شهرية علمية طبية نشرتها الحكومة في أواخر سنة ١٨٨١ وقد أذاعت الأهرام في محلياتها أن الأطباء الذين درسوا الطب في أوروبا « شرعوا يفكرون في إصدار جرنال طبي وأنهم عرضوا الأمر على رئيس النظارة فسهل لهم وقرر معاوتهم باحالة نفقة (الجرنال) على الحكومة ، وأن أعضاء الجمعية الطبية انتخبوا الرئاسة تحريره الدكتور حسن بك محمود » (١) وإلى أن عين الشيخ محمد عبده محرراً للوقائع لم نشهد جديداً في الوقائع المصرية عما كانت عليه قبل عزل اسماعيل وتولية توفيق ، فاذا أخذ الاستاذ الإمام مكانه في تحريرها في ٩ أكتوبر ١٨٨١ تغير تاريخها كله ، وأبت أن تعطى صورة للصحيفة الرسمية - لولا وظائف محرريها في الدولة ونشرها في مطبعة حكومية - فهي قد تجاوزت وظيفتها وتخطت حدودها وأصبحت صحيفة رأى وفكرة قبل أن تكون صحيفة حكومية تخرج لنشر القوانين وتسجيل الحوادث الرسمية ، فهي في ذلك الوقت من حيث سعادة مصر أو شقاؤها ، طمأنينتها أو قلقها ، تقدمها أو تأخرها ، صورة حية لهذه الآمال والآلام ، فإن كان تاريخ مصر بمجموع حوادث شعب له حياة سياسية وأدبية وعقلية ، فلتغير سير الجريدة الحكومية وتحريرها أيام الشيخ مكان رفيع من تلك الحوادث ومقام سام من ذلك التاريخ فهو قد أحدث للجريدة لائحته رفعت من قدرها وقومت تاريخها ، وبدلت غايتها وسار بها رويداً ثم حثيثاً إلى الصحافة الحرة المعاصرة ، وإن ردها الاحتلال البريطاني إلى رسميتها الأولى ومقامها القديم .

لم تشهد السنوات الأخيرة من عهد اسماعيل صحفا رسمية أخرى ، بل أن الصحف الرسمية بدأ يعثرها الانحلال لعدة أسباب ، فهي قد بدأت في أوائل عهد الخديو يوم أخذت الحكومة على عاتقها شئون الحياة السياسية والاجتماعية وتصويرها في صحف تصدرها هي وتملي عليها اتجاهها وتخضعها لرقابتها . ثم خرجت هذه الشئون في نهاية عصر اسماعيل من يد الحكومة حين ظهر رأى عام لم يعد يحتمل هذه الصحافة المحدودة أو يكتبني بأفقها الضيق ، فنشأت صحف شعبية ملأت الفضاء ، وخنقت بشبابها الصحافة الرسمية القديمة ، ومن هذه الأسباب أيضاً أن حكومة اسماعيل قبضت يدها عن البذل لهذه الصحافة بعد الأزمة المالية التي أخذت بخناق الدولة في جميع دواوينها ومصالحها ، ومن بينها ديوان المدارس وصحيفته والجيش ومجلتاه والطب ويعسوبه

ويجدر بنا ونحن نشيع هذه الجرائد الرسمية ونكتب صحيفتها التاريخية أن نذكر أفضالها على الحياة المصرية في جميع جوانبها ، فأما أقدمها وهي الوقائع المصرية فلم تتعثر في حياتها إلا لماماً ، ولم يعرف في تاريخ الصحف الشرقية جريدة بقيت على الزمن وتخطت أحداث الحياة ومضت قدما كصحيفة الوقائع ، ولم يعرف في تاريخ الصحافة الرسمية جريدة شغلت الحياة الفكرية كالوقائع الرسمية ، فقد كانت معلماً لأدباء الشرق ومفكرى مصر الكثيرين ، تحنو على طلاب العلم ومبعوثى الدولة (١) فتفتح لهم صدرها وتسمح للعامة بنشر مقالاتهم وآرائهم فيها (٢) وإذا كانت الصحافة في عمومها مدرسة للتعليم والتثقيف فإن الوقائع بقيت زهاء أربعين عاماً وهي وحدها هذه المدرسة ، تذيب على المصريين بعض الأدب والاجتماع والسياسة أحياناً ، وكان ظل هذه المدرسة يمتد مرة إلى بلدان أوروبا حيث يقرؤها الطلاب المبعوثون في دولها الكبيرة ، ومرات أخرى على كريت والشام وبلاد العرب والسودان حيث تظالعها الجاليات المصرية من جند وضباط ومدنيين . ولا

(١) الوقائع المصرية في ١٤ بولية ١٨٧٠ (٢) الوقائع في ١٧ ديسمبر ١٨٨١

يذكر تاريخ الصحافة الرسمية في العالم كله جريدة حكومية تنقد الحكومة ورجال الدولة (١) نقداً ينغص عليهم حياتهم كما كانت تنقد المسؤولين في مصر قبيل الثورة العربية نقداً لاذعاً أفاد جوانب الحياة المصرية ويمكن للإصلاح في إدارات الدولة ومصالحها (٢) الأمر الذي نقلها إلى مصاف جرائد الرأي التي تصدر عادة عن الأفراد والجماعات. والوقائع المصرية فوق ما ذكرنا تعتبر مصدراً خطيراً من مصادر التاريخ المصرى الحديث، وكل مؤرخ لنواحى هذا التاريخ لا يعود إلى الوقائع ولا يكمل حقائقه من صفحاتها يعتبر مؤرخاً ناقصاً غير محقق لأنه لم يستق تاريخه من جدولته الأصيل، ويعتبر بحثه - مهما يكن جهده فيه - بحثاً تنقصه الدقة التاريخية وتعوزه الحقيقة الأولى المنشورة في الوقائع المصرية في أسلوب الأوامر والأحكام والقوانين وفي بعض المقالات الهامة التي تصور طبائع الشعب ومثله في الحياة.

ولا يستطيع مؤرخ الصحافة المصرية أن يزعم للصحافة الرسمية أثراً مباشراً في توجيه الرأي العام أو خلقه، بيد أنه يستطيع أن يجزم بأن هذه الصحافة علونت على تهيئة الأفكار وتثقيف العقول وتنوير الأذهان ولفت النظر إن صح التعبير. فجريدة أركان حرب الجيش تذكر كثيراً من مواقف الجيش المصرى المخلة في أيام محمد على وابراهيم، وتصور لضباطها مرقب ضباطه في الذود عن الوطن والدفاع عن حرمة وكيف طرد الانجليز في سنة ١٨٠٧، وهي لا تذكر ذلك اعتباطاً أو لمجرد الذكرى في عددها السادس من المجلد الأول في سنتها الثانية بل تعلق قائلة «وإذا قدر الله بغزو هذه الديار مرة أخرى، فليتكبر ضباط الجيش المصرى غزوة سنة ١٨٠٧، وليسكن كل ضابط مصمماً على المدافعة والذود عن وطنه ولا يرتكب العار في التسليم كما ارتكبه أمين أغا، بل يدافع بنفسه وبمساكره عن كل نقطة يتجه الهجوم إليها، كما فعل على بك السلطانكلى الذى اكتسب الفخر والشرف ومنع العدو وصدده عن الوطن».

(١) تاريخ الامام ج ١ ص ١٧٩

(٢) الاسلام والتجديد في مصر ص ٤٤

وكانت الصحف الرسمية عموماً مدرسة لصحفيي مصر فيما بعد فمن تلاميذها كما ذكرنا رفاعه الطهطاوى ، وهذا له مدرسته التي ضربت بسهم صائب في الصحافة الشعبية كعثمان جلال في نزعة الأفكار وأبى السعود افندى في وادى النيل وولده أنسى في روضة الأخبار وصالح مجدى وعبد الكريم سلمان وأحمد عبد الرحيم فى الوقائع والشيخ محمد عبده فى العروة الوثقى . والصحف الرسمية مهما يكن عدد قرائها قليلاً لها أثر عميق جداً فى مقومات النهضة العلمية الحديثة ، فقد عودنا العهد القديم أن يكون الأزهريون وخدم رجال العلم القارئين له الكاتبين فيه ، ولكن الصحافة الرسمية أشركت معهم بل قدمت عليهم فنه أخرى غير رجال الدين من التلاميذ والموظفين والضباط والمعلمين ، فلم تعد القراءة أو الإنشاء وفقاً على الأزهرين أو احتكاراً لهم ، كما نزع المطبعة فى أوربا احتكار الكنيسة للعلم والمعرفة . وتولت الصحف الرسمية فى كثير من المواقف الدفاع عن الحكومة وشرح موقفها وتعداد أفضالها وما أثرها ، ودحض ما يراه الأجنب من سوء فى سياستها كما حدث يوم تولى الطهطاوى تحرير الوقائع واشتدت المشا كل على مصر قبيل معاهدة لندن وبعدها ، وأعدت الصحيفة الرسمية سيرتها فى أوائل عهد اسماعيل ، بل جعلت سياستها ليس مجرد الدفاع عن الحكومة بل مهاجمة خصومها فى صحافتهم المنشورة فى مصر أو الذائعة فى أوربا .

فهنا وبغيره من مقالات الصحف الرسمية رأت المجموعة القارئة فى ذلك العصر شيئاً جديداً لم تعتده ، كما هيأت للطلاب والكتاب والمدرسين فرصة المنافسة بالاطلاع والإفادة والإنشاء فى غير موضوع واحد ، والإعلان عن الأكفاء والمجودين فى شتى العلوم والفنون وأتاحت الفرصة للشعر والشعراء فى الروضة أو فى الوقائع ، ونشرت فيها الكتب تباعاً ، وهى كتب للعلم أو الحكاية التهذيبية كما ترجمت الفصول الطوال وأرخت بذلك لعصر الترجمة أجمل تأريخ . وبجمل القول فى أسلوب هذه الصحف أنها زحرت بنوع من السجع الذى يزدحم بالفواصل ويشغل بالجناس ، وبعضه يشغل على السمع وينبو عن الفهم ويخرج على آداب اللغة العربية فلا يعد من أساليبها المرضية

✕ وأفضل ما في تاريخ الصحافة المصرية الرسمية أنها نشأت مصرية خالصة ، ليس لغير المصريين فضل في إنشائها أو تقدمها أو ارتقاءها . بل كان لها هي الفضل على البلاد الشرقية بما علمت من رجاله أصول الإنشاء والتحرير ، حتى عادوا بعد قليل يقودون النهضة الصحفية في الشرق ، وفي مقدمتهم أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب التي عظم شأنها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكان لها في تاريخ الشرق وتياراته السياسية أثر ، كما كانت وثيقة الصلة بالخدوي اسماعيل (١) وإذا كانت المطبعة صاحبة فضل على الصحافة الرسمية في مصر فإن الصحافة نفسها تقارضها هذا الفضل وتبادلها هذا المعروف ، فإن إنشاء الوقائع استتبع توسيع مطبعة بولاق في أول الأمر (٢) ثم فرض أخيراً إنشاء مطبعة خاصة بها في عهد محمد علي وقبيل الاحتلال الإنجليزي كما أوحى الصحف العسكرية بإنشاء مطبعة الجهادية وروضة المدارس بالتمسكين لمطبعة الحكومة من التقدم والارتقاء

(١) محفوظات عابدين Dossier 45-2 في سنة ١٨٧٠

(٢) راجع في ذلك كتابنا (تاريخ الوقائع المصرية عام ١٨٢٨-١٩٤٢) طبعة ١٩٤٢

الفصل الثالث

نشأة الصحافة الشعبية

نشأت الصحافة الشعبية في مصر نشأة غريبة عنها ، إذ تولى زمامها رجل دخيل في عهد سعيد باشا ، وقد دعت ميول الوالى الجديد في سياسته الداخلية إلى نشر هذه الصحيفة وهى الميول المعروفة عنه ، الماثورة عن أيامه ، فقد خول سعيد الفلاح حق الملكية العقارية للأراضى الزراعية ، وسن لذلك قانوناً مشهوراً باللائحة السعيدية (١) ثم وجد الوالى شعباً ينوء بالضرائب ، وعليه التزامات حربية ثقيلة أساءت الى النشاط الزراعى ، فعين الضرائب وربطها وألغى المكوس والجمارك الداخلية ، ثم هون الخدمة العسكرية وحفظ للجيش نقاوته من العناصر الأجنبية واحتفظ بطابعه الوطنى (٢) ثم ألغى الوالى متأخرات الضرائب (٣) ومحا فريضة العين واستبدل بها نقداً بعد إلغاء نظام الاحتكار (٤) ، ويعتبر بره بالفلاح انقلاباً اجتماعياً خطيراً ، فقد نال كما رأينا حق الملكية العقارية وأجيزت ملكية الحاصلات ومنح سلطة التصرف في بيعها وتقدير ثمنها ، ولهذا أثره العميق فى شعب كان ولا يزال ملك الأرض عنده مادته الأولى والأخيرة ، فهذأت نفوس الفلاحين واستقرت أمورهم بعد أن كانت حياتهم لا تستقر على حال من القلق ، يهربون من قرية إلى قرية أو من القرى إلى

(١) الاطيان والضرائب لجرجس بك حنين ص ٣٨٨

(٢) Sabry, La Genèse de L. Esprit Nat. Egypt. P,13

(٣) مرو - مصر المعاصرة ٦٤

(٤) الرافعى عصر اسماعيل ج ١ ص ٢٦

الصحراء خوف الإذلال والسكراباج . وقد استبدل سعيد المصريين بالأتراك في
في وظائف الدولة ودوائر أعماله (١) كما حارب بعنف الأرستقراطية التركية
التي كانت تسيطر على الجيش والادارة ، وأسس مجالس لبحث المشروعات التي
تعود على البلاد بالفائدة ، وأنشأ الوزارات المختلفة (٢) كما أنشأ شركات الملاحة
ومد خطاً حديدياً ، وأشاع بين المدن أسلاك البرق الحديثة ، وشرع في شق قناة
السويس كما شق غيرها من القنوات الداخلية (٣)

لم تكن هناك حروب كحروب محمد علي تفرق بين الأسرة وعائلها أو يجند لها
الأفراد السنين الطوال ، وكانت سبل المعيشة هيئة لينة حتى على أفقر الناس وأكثرهم
إملاقاً ، وفي هذا العهد قامت الحرب الأهلية في أمريكا فحالت دون استثمار قطنها
وأفادت مصر من ذلك فائدة عظيمة ، وبلغ ثمن قطنها ثلاثة أمثال الثمن القديم (٤)
فهذه السياسة المشربة بروح العطف من الوالي ، وهذا الرغد - مهما يكن حكم
التاريخ فيه - قد أنعش حياة المصريين الأدبية والمادية ، وإلى جانب هذه اللفتات
من الوالي سعيد يجب أن نذكر أن الموافقة على امتياز قناة السويس في سنة ١٨٥٤
كان عملاً لا يقره السلطان ، إذ لم تؤخذ فيه مشورته ، وهو عمل فيه من استقلال
الرأى وحرية العمل ما يزلزل قواعد التبعية للدولة العثمانية

حقاً لم يكن هناك رأى عام بالمعنى المفهوم ليحس هذه السياسة العليا ، وإن كانت
هناك موجة من الرضا والاطمئنان إلى العيش في ظل هذا الوالي ، لذلك ساءت
سياسة سعيد الداخلية والخارجية الدولة العثمانية ، كما ساءت الأتراك في مصر وملاّت
قلوبهم حقداً عليه ، فكان خصومه أحرص منه على مخاطبة الشعب المصرى عن
طريق الصحف ، فقد أحس الباب العالى أن هيئته في نفوس المصريين قد هون من

(١) صبرى . كتابه السابق ص ١٤

(٢) Bréhier. L, Egypte de 1798-1900 p. 156-158

(٣) المصدر السابق ص ١٥٨-١٥٩

(٤) تاريخ المسألة المصرية لروذشتين تعريب العبادى وبدران الطبعة الثانية ص ٤

شأنها سعيد الذي لفت المصريين إلى جوانب من الحياة قرضية لم يعتادوها من قبل ومن شأنها أن تصرفهم إلى حب واليهام والركون إليه ، وهذا مما يهدد مكانة الدولة العلية في مصر ولم يفكر سعيد في دعم سياسته العامة بتجديد الوقائع والعمل على انتشارها كما فعل أبوه من قبله أو خلفه من بعده وكذلك لم توح الساعاة لفرد من الأفراد بأن يأخذ على عاتقه هذه المهمة ، فبقيت الدوائر الرسمية والشعبية خلوا من صحيفة قد تفيد في الدعاية أو تشير برأى فيما يصنع الوالى أو تبين مواضع الخطأ والصواب في سياسته ، ولما كان الحكومه التركيه على جهلها بقيم الصحافة ومعاييرها لم تفوت الفرصة فأرسلت اسكندر افندى شلهوب إلى مصر فأصدر مجلة السلطنة AlSultana وهي صحيفة أسبوعية كان الغرض من إصدارها باللغة العربية أن تلفت المصريين إلى واجباتهم نحو الباب العالى وما له عليهم من حقوق (١) ، ثم تذييع من وقت لآخر الأخطاء التي ترتكبها الحكومه المصرية (٢) وهي أخبار في رأى الدولة تبين للمصريين أنهم منساقون إلى أمور خطيرة ، كما أن من غايات هذه المجلة أن تنال من هيمة الأسرة العلوية في أسلوب ملتو لا يسىء إساءة علنية .

هذه هي الصحيفة الشعبية الأولى التي شهدت مصر ، وهي كما يدلنا تاريخها لا يستطيع أن ينكرها مؤرخ الصحافة المصرية أو ينكر عليها وجودها كصحيفة شعبية ، وكأول صحيفة تعارض الحكومه . فشلهوب يجوز له أن يكون صحفيا في مصر أو الشام أو الأستانة ويحسب على المكان الذي ينزل فيه ما دام ينتسب بالرعية إلى السلطان كما تفيد اللوائح والقوانين السارية في الدولة العلية وممتلكاتها إذ ذلك ، ولكنها ليست صحيفة مصرية لا في كتابها ولا في اتجاهها وأغراضها ، ومهما يكن أمر هذه الصحيفة فقد أخفقت ولم تبلغ القصد الذي أرادته ، إذ أن الناس في ذلك الوقت لم يكونوا على قدر من التعليم يسمح لها بالبقاء أو الرواج ، فلم يعد لشلهوب ولا

Munier, La Presse En Egypte. p. 1-2.

(١)

Clément Huart « La Littérature Arabe » Paris 1902. p. 428

(٢)

لجريدته أى أثر فى تفكيرهم فاحتجبت بعد بضعة أعداد (١)

ومنذ صدرت مجلة السلطنة فى سنة ١٨٥٧ لم تشهد مصر صحيفة شعبية أخرى إلا بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ ، فقد رأينا الوالى الجديد يهتم بالصحف الرسمية اهتمامه المأثور ، ثم يهتم بالصحف فى خارج مصر ، وخاصة فى باريس والآستانة ، فيدفع لها من ماله ، ويديط يده لها كل البسط (٢) ذلك لأن اسماعيل ووجه فى أول حكمه باتفاقية القناة التى عقدها سلفه فأراد تعديلها ، وقام وزيره نوبار بحملة موفقة فى فرنسا وفى صحفها ضد الاتفاقية ، انتهت بتعديل كثير من الشروط المصحفة (٣)

ثم كانت له حاجات عند السلطان فى وراثة العرش فرشا رجال دولته وصحفيى الآستانة ، فرنجة وأتراكا (٤) وأخذ بره هذا بالصحف والصحفيين ينتقل من باريس إلى عاصمة الدولة ثم مربيلا الشرق الأدنى ، وأخيراً وضح أثره فى صحافته الرسمية على الصورة التى شرحناها فى فصل سابق .

تولى اسماعيل حكم مصر والناس يرون شئونهم العامة والخاصة ملكاً لحاكمهم أو من يوليه تدبير أمورهم وكان شقاؤهم أو سعادتهم موكولين إلى عدله أو ظلمه وليس لأحد منهم رأى يبيده أو إرادة يتقدم بها لعمل ما وكانوا بعيدين عن معرفة حال الأمم الأخرى سواء كانت إسلامية أو أوربية ، ومع كثرة بعوث محمد على لم يشعر الأهالى بشيء من ثمرات الأسفار والبعوث العلمية . ومع أن هذا الرأى صحيح من حيث انطباقه على صدر حكم الخديو فإن اسماعيل أسس لهم مع ذلك مجلساً تشريعياً فى سنة ١٨٦٦ هو مجلس شورى النواب الذى شغل إنشاؤه الصحف

(١) Ramadan. Envolut de La Légis . de La Presse En Eryp. p. 8

(٢) محفوظات عابدين . 1 - 44 Doss.

(٣) راجع محفوظات عابدين فى الوثائق الفرنجية والتركية والعربية وهى أكثر من أن تعدد

(٤) كرايبتس — اسماعيل المفترى عليه — ترجمة صروف ص ٥٣

الأجنبية (١) وكان من حق هذا المجلس أن يعلم حالة المصريين وأن يقرر فيها القرارات وهي في الواقع لا ترفع إلى الخديو على أنها قرارات بل تقدم إليه على أنها رغبات له أن يفصل فيها بالرفض أو القبول. وهذا المجلس لا يستطيع بحكم لائحته أن يؤثر تأثيراً فعلياً في اتجاهات الحكومة والتزاماتها (٢) وذلك لأن حاكم مصر في ذلك الوقت وإن كان قد عمل على نهضة بلاده إلا أنه عاش فيما يختص بالحكم ونظمه بوحى من عصور الأحكام المطلقة لذلك لم توح اللائحة ولا الوالى ولا نفسية الأعضاء بأن يجرؤ المجلس على فهم وظيفة النيابة كماهى الحال في أوربا فبقى أداة طيعة لحاكم مصر لا يقوى على معارضته أو لعله لم يعرف بعد كيف يأخذ المعارضة.

ذكرنا هذه الإمامة بشئون مصر العامة ثم أشرنا إلى مجلس شورى النواب، لأنه حدث جديد غير معروف في مصر، هو شيء يتصل بأبهة الملك وتقليد أوربا فكان غريباً حتى على عقول أعضائه « أولئك العمد الذين يأتون من بلادهم ويختمون على لوائح لا يعرفون ما فيها بل ولم يعرفوا ما عزي اليهم من الأقوال » (٣). وإذا كان المفروض أن يكون في مصر مجلس للشورى يجتمع وينفض على هذا النحو فإن الصحافة الرسمية لا يجوز أن تسكون معبراً عن هذا المجلس الشعبي، ومن هنا بدأ إسماعيل يرى وجوب إنشاء صحيفة شعبية تمثل المجلس أو اتجاه هذا المجلس أو تساير الفكرة في وجود هذا المجلس، فأوحى إلى أبي السعود افندى بأن يصدر جريدة وادى النيل.

قد يظن بعض المؤرخين أن جريدة وادى النيل صحيفة شعبية بالمعنى المفهوم، ففيليب دى طرازي يذكر في تاريخها أنها « مجلة سياسية علمية أدبية أنشأها سنة ١٨٦٦ عبد الله أبو السعود ناظر المدرسة الكلية التي أسسها محمد علي الكبير في القاهرة وهي أول صحيفة عربية تناولت مثل المباحث التي كانت تنشرها في القطر

(١) Douin . His. du Règne du Khed . Ismail. T. I p. 297.

(٢) الرافعى في كتابه « عصر اسماعيل » ص ٢٠ وما بعدها

(٣) الوطن في ديسمبر عام ١٨٧٨

المصري وصدرت مرتين في الأسبوع ، وعبارتها صحيحة وأفكارها سليمة ، وساعدها الخديو اسماعيل لأنها كانت تستخدم أفكاره باخلاص واعتدال دون أن تتعرض للمسائل الدينية ، (١)

فالفكرة إذن في إنشاء هذه الصحيفة هي خدمة الخديو باخلاص وتحقيق سياسته في اعتدال ، وما كان يمكن أن تمش « جريدة وادى النيل » الصحافة الشعبية في غير هذا الحيز الضيق من الحرية ، ذلك لأن صاحبها موظف في الحكومة له مآثر وخدمات في الصحافة الرسمية ، وهو من تلامذة رفاعه رافع رأس هذه الصحافة (٢) فلا غرو أن أوحى إليه اسماعيل باصدار وادى النيل ، فذكرت الوقائع المصرية خبر إنشائها في محلياتها (٣) وحيثما إحدى الصحف الفرنسية المعاصرة في مدينة الاسكندرية قائلة « قد حدثت صحيفة مصرية جديدة بمدينة القاهرة تسمى وادى النيل ، وقد أوضح منشئها وناظرها أبو السعود افندى فيما أورده من بيان الغرض المقصود بإنشائها إنه التزم بأن يذثر فيها الأخبار النافعة للديار المصرية سواء كانت ترد من أوروبا أو من الأقاليم المصرية » (٤) ويبدو من العديدين النادرين اللذين حصلنا عليهما (٥) أن وادى النيل محاولة لا بأس بها كأول صحيفة وطنية في مصر ، وقد ازدحمت معظم صفحاتها بأخبار الخديو ورجال حكومته ، ولولا أنها أعلنت شعبيتها لظن متصفحها أنها صحيفة رسمية ، فهي صورة الوقائع في تفكيرها واتجاهها ، يعرف أسلوبها الأدبي رواية الخبر ويتعاق محررها بالسجع ، فهي تحاكي الوقائع وتخطو على أثرها في الشكل والموضوع معاً .

(١) تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٦٩

(٢) راجع « أعلام الصحافة العربية » للمؤلف

(٣) الوقائع المصرية في ٢٣ ربيع الاول عام ١٢٨٤ هـ

(٤) هذا الخبر منقول عن ذيل العدد العاش من وادى النيل ومعه خبر مماثل تحدثت فيه جريدة

حديقة الاخبار ببيروت عن صحيفة أبي السعود

(٥) هما العددان ١٠ و ١١ وهما يدلان على أن الصحيفة صدرت عام ١٨٦٧ ل ١٨٦٦ كما

روت ذلك معظم كتب التاريخ

وقد سار على درب أبي السعود افندي كاتبان معروفان في عصر اسماعيل بعلو
الهمة وواسع الدراسة، والدراسة الغربية بالذات، وهما ابراهيم المويلحي وعثمان
جلال (١) فأنشأ (مجلة نزهة الأفكار) صحيفة سياسية أسبوعية، وكانا جديدين
حقاً على الصحافة المعاصرة في سنة ١٨٦٩ فصدرت جريدتهما غربية عن الوسط
الصحفي، بعيدة عما يقره الخديو من آراء، فلم يحتفل هذا التجديد في الرأي والمعاني
فهو يريد صحافة حرة ولكن بمقدار، وهذان شابان قد غرتهما مظاهر التجديد
الذي أخذ يدب في الحياة المصرية فظنا أن اقليهما حرية الكتابة على ما يهويان
لكن اسماعيل بإيعاز من ناظر حريته أمر بمصادرة الصحيفة بعد عددها الثاني (٢)

[بدأت الصحافة الحرة في مصر، لاهي شعبية ولاهي رسمية في جريدة وادي النيل
ثم تخلصت من رسميتها وظلت على سجيئها شعبية حرة في نزهة الأفكار،
ووقف دون تقدمها حكم مطلق لا يحول دون بطشه بحرية الرأي حائل، غير أن
هذه الصحافة على قلتها قد غيرت من القول المشاع. بأن الصحف المصرية بدأت
في كنف أهل لبنان وبجهد أبناء الشام. فهاتان الصحيفتان ومحرروهما من علمنا
قد ردتا هذا الرأي وأبطلتا هذا الزعم وأوضحتا أن نشأة الصحافة الشعبية في مصر
كانت بأيدي مصرية خالصاً]

لم يكن اسماعيل في أول الأمر يريد صحافة تعبر عن مصر أكثر مما كان يعبر
عنها مجلس شوري النواب، يريد لها صحافة موالية في جيدها حبل من رقابته مابقيت
يدها ممدودة لنعمته، صحافة هادئة تكون في خدمته تستحق عطفه عليها واحتفائه
بها، وقد كان له أبلغ الأثر في نهضتها، ومساعداته الأدبية والمادية للقائمين عليها

(١) راجع عنهما « أعلام الصحافة العربية » المؤلف والحلي في تكوين الصحف في العالم ص ٦١
والاسلام والتجديد في مصر ص ٢٢ والمنار ج ٢٢ ص ٧١٠ والرافعي عصر اسماعيل ج ١

(٢) الرافعي عصر اسماعيل ج ٢ ص ٢٦٣

غير منكورة، وقد فتح صدره وصدر بلاده للصحفيين السوريين بعد أن جربت
المصرية بجهد المصريين وأقلامهم، فأقبل هؤلاء على اصطناع القلم واتخذوا الصحافة
حرفة لهم حتى كان أكثر أصحاب الصحف من أهل الشام والبلاد المجاورة لها
كصابونجي والنحلة، وحموى وشعاع الكوكب، وتقلا والأهرام. وكان لبعض
هذه الصحف مواقف كريمة أخذت فيها جانب الخديو ودافعت عن استقلال مصر؛
فقد بدأت العلاقات بينه وبين السلطان حين استوزر نوبار باشا وكلفه الدفاع عن
وجهة نظر مصر في بعض المسائل المصرية في أوروبا فاتصل نوبار بالحكومات
الأوربية وتحدث معها في أمر إنشاء المحاكم المختلطة فأذاعت السفارة العثمانية في صحف
فرنسا أنها تحذر المسئولين وعامة الناس من معاملة شخص يدعى نوبار باشا ويدعى
لنفسه لقب وزير الخارجية المصرية لأن مصر كلها ليس لها صفة دولية ولا حق
لها في تعاقد دولي؛ فكان أن ردت الصحف المصرية على السفارة التركية وأخذت
تناقشها الرأي وتؤكد حق مصر في مصالحها الخاصة لأن مصر لا يمكن أن تنزل
إلى مكان الولايات العثمانية الأخرى وقد سبق لها أن مضت عقد قنال السويس
دون تدخل تركية أو وصايتها (١)

ولما كانت الصحافة الشعبية في نشأتها الأولى يقوم على تحريرها جماعة من
السوريين، وهي حقيقة تاريخية لا ينكرها أحد، لذلك وجب علينا أن نبحث - قبل
التاريخ لهذه الصحافة - إلى أي مدى بلغت هذه الحقيقة التاريخية من التقدير
والاعتبار؟ فلويس شيخو يقرر « أنه كان للسوريين في هذه الحركة نصيب عظيم
حتى كان أكثر تلك المنشورات ومنشئها من أهل سورية وزاد عددهم في وادي النيل
بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى أناف على ثلثي المكتبة المصريين
فتقدموا على غيرهم بما عرفوا من النشاط والتفنن والحق يقال إن أكبر مجلات القطر

المصري كالمقنطف وأعظم جرائمه كالأهرام كان يحرقها السوريون ، (١) وهذا القول على ما فيه من صدق لا يخلو من بعض المبالغة ، فالسوريون حقا كان لهم في مصر فضل سبق في فني التمثيل والصحافة وكان نشاطهم ملحوظا في هذين الفنين وله عند المؤرخ واجب التقدير ولكن ليس معنى هذا أن الصحافة المصرية ما كان لها أن تظهر وتستوى لولا وفود هؤلاء إلى مصر فقد ظهرت جريدتا وادي النيل ونزهة الأفيكار في الشق الأول من حكم اسماعيل قبل ظهور أى جريدة سورية في مصر بعدة سنوات فان مصر وحدها هي التي هيأت للسوريين هذه الفرصة ، فقد كان واليها يشترك بمئات النسخ ويقوم موظفو حكومته بمساعدة هذه الصحف في تحصيل اشتراكاتها من الأهالي ومن بينهم من فرضت عليه هذه الاشتراكات مع جهله بالقراءة والكتابة (٢) وأظهر من ساعدتهم اسماعيل أصحاب الأهرام إذ أوحى إلى بعض الأعيان أن يقفوا جهودهم على مساعدتها والدعوة لها .

وللخديو في هذا تاريخ معروف أثبتته الوثائق فقد كان حفيا بالصحف المصرية على اختلاف جنسيات أصحابها وتباين أغراضها وقد أمد بعضها باعانات غير جريدة الأهرام ، فاهتمام الحاكم المصري بالصحافة قد سمح للسوريين بأن يجدوا مجال النشاط والعمل ممهدا في مصر

ولا يمكن لمؤرخ الصحافة المصرية أن يغفل من حسابها في بحث هذه الحقيقة التاريخية الكتاب الوافدين على مصر أو المقيمين فيها من أبنائها المصريين أو تلك الذين ملئوا صحف السوريين وجالوا فيها بأقلامهم وألقوا اليها بما امتازت به عقولهم من عمق وفهم كجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وأبى السعود أفندى وغيرهم ممن له في كل صحيفة من صحفهم ذكر سواء كانت جادة في وطنيتها أو هازلة في مصريتها ولولا هذه البيئة الحرة لما استطاعوا إلى النجاح سبيلا .

وإلى جانب هذه الحقيقة يجب أن نذكر أن الحرية - حرية القول والكتابة -

قد عزت في بلاد الدولة العثمانية جميعاً حيث ضغطت الحكومة على المطبوعات وطبقت قوانينها العنيفة التي أفلتت منها مصر بتشجيع واليها وإهماله لها ، وقد استطاعت صحف الشاميين وغيرهم أن تعيش وتتقدم بمعاوضة بعض الدول الأجنبية مادياً وأدبياً مهما لقيت من عنيت الحاكم أحياناً فقد كان لتدخل قناصل الدول في مصر وحمائيتهم لهذه الصحف أثر كبير في بقائها ونجاحها وهذه ميزة لم تتحقق للمصريين من أصحاب الصحف الشعبية الأولى

فالبيئة المصرية ، والبيئة المصرية وحدها من بلاد السلطنة هي التي كانت تتمتع بحرية منقطعة النظير لا توجد في سوريا ولا لبنان ، والطبيعة المصرية والتفكير المصري سمحا بوجود صحافة تقرأ لأن النهضة المصرية كانت أوسع مدى مما عليه بلاد الشرق جميعاً ، وظروف الحياة المصرية بخديوها وأزماتها واضطراب الأفكار فيها بجديد في شتى الميادين ، كل أولئك جعل مصر تحتل في سعة آدابها وصحفها وسياسة ، وقد فرضت شخصيتها المعنوية المتميزة وجودها على الدولة العلية مستمدة هذا الوجود من تاريخ حافل وذاكرات يحسب لها في مقومات الشعوب الفحساب وقد ثبت أن الصحف الوطنية الخالصة التي ظهرت بجانب الصحف الشامية في مصر لم تكن أقل منها نضجاً أو أثراً في نفوس الناس وتهذيب الرأي العام وأن مصر لو لم يكن في ربوعها الحرية وفي أمرائها الأريحية والتشيط (١) كما يقول شيخو لما قصدتها فرد من هنا أو هناك

وبجمل القول إن مصر كانت في ذلك العهد أمة لها رأى عام مهما يكن أمره فقد كان يفرض وجود صحافة بدأت لينة ثم تطورت مع أحداث الزمن . والصحفيون السوريون مهما يقض التاريخ في مكاتبتهم من الصحافة المصرية لم يكونوا شرأ على البلاد فقد أخصب جهدهم وآتى أكله في الأرض الطيبة التي تغذيهم طبيعتها وتسمو بهم إلى وضع أصبحوا اليوم فيه أكرم الأمثال

الصحف
الصحف المصرية
الصحف السورية

وقد سمح اسماعيل بوجود الصحافة الشعبية للمصريين والسوريين على السواء وأجاز لبعضها البقاء وأغلق من تجاوزت حدودها ، ولم يكن في النصف الأول من حكمه يسمح بصحافة لا تماثل في اتجاهها وتفكيرها الوقائع المصرية فأباح لمحمد أنسى ابن عبد الله أبي السعود في سنة ١٨٧٥ نشر جريدته (روضة الأخبار) في القاهرة على أن تنشر ثلاث مرات في الاسبوع وهي على مثال الجريدة الرسمية ؛ وقد تخصصت للسياسة والعلم والأدب والزراعة والتجارة وأعانها الخديو بالمال (١) وأذن لها بنقل أخبارها من الوقائع المصرية وترجمة موضوعاتها من جريدة ليفانت هيرالد (٢) Levant Herald التي تصدر في القسطنطينية وتعمل لحساب الخديو ثم هي تشغل صفحاتها جميعاً بمدح ولى النعم وإن بحثت قليلا في الشؤون الدولية (٣) وترجمت بعض الكتب التي ألفت عن مصر .

وفي نفس هذه السنة يتقدم سليم تقيلا - وهو شامى نائر وله حظ في قرض الشعر (٤) « يلتمس التصريح إليه بإنشاء مطبعة تسلك الأهرام » كائنة بجهة المنشية باسكندرية يطبع فيها جريدة تسلك الأهرام تشتمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية وكذا بعض كتب كإقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر والأشعار والقصص الأدبية وما يماثل ذلك من الأشياء الجائز طبعا ، وقد رخصت الخارجية بإنشاء جريدة الأهرام على ألا يتعرض صاحبها للدخول مطلقا في المواد البولوتيقية

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١١٥ في ٢١ ذى الحجة ١٢٩١

(٢) لقيت هذه الصحيفة من مساعدات الخديو ووكيله ابراهام بك في القسطنطينية تأييدا قويا راجع محفوظات عابدين في سنة ١٨٧١ وما بعدها وكذلك كرايتس في كتابه اسماعيل المفترى عليه وكان محررها دلال غريب على الخديو فزار مصر وهيا الخديو قطارا خاصا لنقله إلى القاهرة (محفوظات عابدين وثيقة ١٩٠ ص ٥٦ دفتر ١٩٤٩ غير رسمى)

(٣) روضة الأخبار في ٢٧ يونيو ١٨٧٥ (٤) شيخو ج ٢ ص ١٢١ - ١٣٣



سليم تقلا أحد صاحبي الأهرام

وأمثاله لقانون المطبوعات» وصدر الأمر لمحافظ الإسكندرية « بعدم المعارضة للخواجه المذكور في إنشاء المطبعة المحكي عنها » (١)
وقد مثلت روضة الأخبار وجريدة الأهرام الحقبة الثانية من حياة الصحافة الشعبية ، وهي حقبة تتميز بالهدوء الداخلي الذي لم تتعقد أثناءه الأحوال المادية كل التعقيد ، كانت الأولى صحيفة الخديو من غير شك وهي تؤرخ الحياة المصرية من وجهة النظر الرسمية في تلك الفترة وكانت الثانية تمثل اتجاهها آخر فهي جريدة وطنية غير أنها تعطي فرنسا ومثلها مكانا طيبا (٢) وأشاعت عند قرائها هذه المثل في كل عدد من أعدادها تقريبا ويلمح قارئ الأهرام في نشأتها الأولى شيئا من الضيق والتبرم بالسياسة الانجليزية (٣) وقد غنيت بالأخبار الداخلية العادية التي

(١) محفوظات وزارة الداخلية - قلم المحفوظات ١١ - ٢ - ٩٤٦ الجزء الاول

(٢) مونييه . الصحافة في مصر ص ٦

(٣) Martin Hartmann : The Arabic Press at Egypt p. 53

لا توحى باتجاه سياسى خاص وإن ازدحمت بالمقالات الاجتماعية وهى مقالات
استقبلها الخاصة فى مصر بمزيد التقدير والإعجاب (١)

تختم روضة الأخبار والأهرام (٢) الحلقة الثانية من نشاط الصحافة الشعبية
كانت الحلقة الاولى تجربة غير ناضجة تولى شؤونها المصريون وخدمهم فماتت إحدى
الصحف وهى وادى النيل لعوامل يقتضيها الفن الصحفي وكانت خلوا منها ، كجدة
الأخبار وهى فى أخبارها رجع الصدى للصحيفة الرسمية فلم تغر الناس بشرائها أو
التعلق بها ، وقضت نزهة الأفكار لأنها تجاوزت الغرض من ظهورها ورأت الحكومة
أن المباحث التى تطرقها أبعد مما تحتملها الظروف السياسية والاجتماعية فى سنة ١٨٦٩
ومع أن روضة الأخبار سبقت صحيفة الأهرام فى الظهور ولقيت من عطف الخديوى

(١) صبرى . كتابه السابق ص ١١٠

(٢) ظهرت صحف قليلة الأهمية بجانب هاتين الصحيفتين منها (شعاع الكوكب) لسليم حموى
فى سنة ١٨٧٦ وأغلقت بأمر الحكومة وأصدرت الأهرام فى ٩ سبتمبر ١٨٧٦
صدى الأهرام وهى تشبه الأهرام من حيث الموضوع وأصغر منها حجماً وهى (يومية للتجارة
والحوادث والاعلانات) وقد احتفظت مكتبة طلعت حرب باشا ببنك مصر بنسخ منها
وأصدر صاحب الأهرام فى نفس السنة مجلة المنارة نصف شهرية (بهيئة كتاب وتبحث عن الامور
التجارية والصناعية والزراعية والاخبارية والطبية والكجماوية) (راجع محفوظات الداخلية
قلم المحفوظات ١١ — ٤ — ٩٤٦ الجزء الاول) . وتأخر صدورهما إلى سنة ١٨٧٨ حيث
قالت الوطن فى العدد الخامس عشر (قدسنا ما بلغنا من أن صاحب جريدة الأهرام
قصد أن ينشر جريدة علمية تسمى المنارة فنهىه . حضرته على هذا المشروع الحسن) ولا
ندرى أبقي أمر هذه المجلة مشروعا حسنا أو وضع موضع التنفيذ لأننا بحثنا عن هذه المجلة
فلم نجد لها أثراً

ويظهر أن صاحب الأهرام أصدر فى سنة ١٨٧٦ جريدة أخرى من غير اذن ولم يذكر
اسمها . وقال فيها محافظ الاسكندرية لناظر الحقانية والخارجية فى كتابه إن صاحب الأهرام
دأب على نشر جرنال « تلحق للجرنال المذكور » بدون اذن ويطلب اليه منع ذلك (محفوظات
الداخلية ١١ — ٢ — ٩٤٩ جزء أول)

وبره الشيء الكثير وحفلت بالموضوعات الأدبية وترجم لها أبو السعود أفندي
فإن نشاطها حده الجهل بفنون الصحافة وحدته هذه الرسمية التي طغت على صفحاتها ،
ولم يسلم من هذه الأزمات المتوالية للصحافة الشعبية غير جريدة الأهرام فهي شيء
جديد حقا مما حملت من برقيات الأنباء الخارجية التي زخرت بها والموضوعات الأدبية
والاجتماعية الطريفة التي ساهم في كثير منها شيوخ الكتاتبة في ذلك العصر كالشيخ
محمد عبده (١) غير المساعدات الأدبية والمادية والرعاية الظاهرة من الحكومة المصرية
والقنصلية الفرنسية التي حالت دون طغيان الخديو عليها في كثير من المناسبات



بشاره تقلا أحد صاحبي الأهرام

ولم تكن الحكومة راضية كل الرضا عن الأهرام وسياستها في سنة ١٨٧٦ فلقت نظر محررها إلى أنها كثيراً ما خرجت عن جادة الصواب إلا أن محرر الأهرام كان لبقاً في دفاعه إذ أكد لمدير المطبوعات أنه فيما يتعلق بالأخبار الداخلية فإنه ينقلها عن الوقائع والمونيتور وكتابهما رسمية ، أما المقالات السياسية فإنما ينقلها عن الجورنالات الشهيرة الحالية من التعصب والمقبولة من الحكومة كالليفانت هرالد والفار دالكسندري ، ثم هو يؤكد انقياده للحكومة ويذكر مدائحها ودفاعه عما تنشره الجرائد التي تطبع في الخارج كالجريدة التي تطبع في لندن ؟ (١)

ومن كتاب صاحب الأهرام نئين مقدار الحرية التي منحتها الصحافة الشعبية فصاحب الأهرام يكاد يكون لسانا للحكومة وهو مع ذلك لم ينج من المؤاخذه على ما نشر من أنباء حرصت الحكومة على عدم افشائها في الصحف العربية ، لذلك تحظر الحكومة على سليم تكله أفندي بأنه محذور عليه نشر الأخبار والمقالات السياسية بما في ذلك النقل عن الصحف الأجنبية سواء كانت حكومية أو غير حكومية ثم تحرمه حتى من التعليق على الأخبار العادية في الاسكندرية وإلا تعرضت صحيفته ومطبعته للعقوبة الشديدة (٢)

وفي هذا الجو من التضيق على حرية القلم تخطت الأهرام جميع العقبات بلباقة فاقت نزهة الأفكار وباجتهاد لم تبلغه وادى النيل وبذكاء أعوز روضة الأفكار وبحس صحفى نزل بصاحبها يوماً إلى مرتبة العمال وصفا في الحروف لتصدر صحيفتهما في موعدها ولا تختمني عن قرائها (٣)

(١) وزارة الداخلية ١١-٢-٩٤٦ جزء أول . من سليم تقلا إلى عز تلو مدير قلم المطبوعات

الأفغم . الاسكندرية ١٨٧٦

(٢) وزارة الداخلية ١١-٢-٩٤٦ جزء أول في ٦ ديسمبر عام ١٨٧٦

(٣) جورجى زيدان . مشاهير الشرق ج ٢ ص ١٠١ طبعة ١٩٠٣

(من كلام تقلا بك إلى جورجى زيدان)

الفصل الرابع

تطور الصحافة الشعبية

ظهرت الصحافة الشعبية في مصر أول ما ظهرت بمائة من حيث الشكل والموضوع للصحافة الرسمية المعاصرة لها معنية بتافة الأخبار ناشرة لقديم الأدب المحفوظ في بطون الكتب، وكل ما كان يدور بين السلطات المصرية العليا وبين الدولة العلية أو دول أوروبا كان باطنه أكثر من ظاهره، وكان ما يباح نشره من المسائل الهامة يستوجب رقابة الحكومة ويخضع لوجوبها، ولم تكن حالة مصر الاجتماعية والسياسية حتى سنة ١٨٧٦ تسمح بأكثر من هذه الصحف وأهمها صحيفة الأهرام فقد فقدت الصحافة الشعبية منذ إنشائها حتى تلك السنة أهم عناصر الشعبية فيها وهي إبداء الملاحظة وإسداء النصيح، والنقد والمعارضة إذا استوجبت الظروف ذلك.

لم تكن الحياة المصرية تحمل رأيا عاما في تلك الفترة من حكم عاهلها إسماعيل فقد عاشت مصر في عهد محمد علي كما تعيش القرية في كنف شيخ محمك ذكي أرسل البعوث إلى أوروبا فعاد معظمها وتولى مصالح الدولة ودواوينها وبدأت تتكون في مصر طبقة وسطى لم يظهر أثرها في عهده، وبدأت هذه الطبقة تتفوق في الصناعة والزراعة ومنازل الحرب وبيوت العلم في عهد سعيد وخلال حكم إسماعيل وانتقلت مقاليد الأمور في عمومها من الأتراك إلى المصريين وأيقظت هذه الطبقة البلاد يقظة سريعة موفقة، ولم يكن ينقصها إلا التنظيم وشيء من الشجاعة لتستقيم لها الأمور، غير أن الخديو وإن كانت هذه الطبقة أهم أدوات حكمه أبي أن يرفع أحد عقيرته

بنقد الحكومة أو معارضتها وإلا كان نصيبه العقاب الشديد . وفي هذه اللحظة قامت الحرب التركية الروسية وكان لها آثار بعيدة المدى على تفكير الناس واتجاه الصحافة الشعبية ، فقد كانت هذه الحرب أول مسألة خارجية اهتم بها المصريون لأنها تتصل بأمر الدولة صاحبة السيطرة عليهم وهي في كفاح مع دول أخرى ، وكان الأجانب في مصر يتناولون الصحافة الأوربية الواردة من الخارج وفيها من تفاصيل الحرب ودقة الاخبار ما يغرى بقراءتها ، وهؤلاء الأجانب أصحاب مصالح عند خاصة المصريين وعامتهم فكانوا يتحدثون اليهم بهذه التفاصيل ، ولم تجد الصحف الشعبية بدأ من إرواء ظمأ قرائها بنشر تفاصيل هذه الحرب ، فقلدت الصحافة الغربية وانطلقت في إيراد الحوادث ونشرها وظهر من بين السطور ميلها إلى ما كانت تأتي به العساكر الروسية من ضروب الشجاعة ، كما ظهر ازديادها لما كان ينسب إلى الجنود العثمانية من التهاون ، واختلف الناس في أمر هذه الصحف واستقبلوها بين منفر ومحبذ . وقد نشأ عن هذه الحرب ، أن استحدثت صحف لنشر أخبارها ونشطت هذه الصحف الجديدة في رواية الأخبار والتعليق عليها ومعارضة الصحف القديمة في الرأي والمذهب حول هذه الحرب ، واشتدت المنافسة بينها وكانت المجادلات الصحفية في ذلك الوقت أول حدث في تاريخ الصحافة الشعبية وبذلك تغير الاتجاه الصحفي التقليدي في الاقتصار على تافه الأخبار وغثها .

وأهم ما أثر عن هذه الحرب أنها لفتت الصحف المصرية إلى الدول الأجنبية وخاصة ما كان منها متصلا بالسلطان والدولة العثمانية فأخذت تنشر عن أحوال الأمم الأخرى التفاصيل الغربية وتشرح سيرتها السياسية والاجتماعية والمالية وتقارنها بما عليه مصر من سوء الأحوال (١) وقد أخذت جريدة الوطن (٢) وهي من آثار تلك الحرب تملأ صفحاتها الكبيرة بأخبارها شارحة تاريخ الروس وجغرافية بلادهم

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٣٧ - ٣٨ (٢) (٣) صاحبها ميخائيل عبد السيد ومديرها جرجس ميلاد (٤) كليات اللغة (٥)

باحثة أسباب الحرب مشيرة إلى موقف الروس من الدويلات العثمانية في أوروبا الشرقية وأحقية هذه الشعوب بالحرية التي تسعدها والدستور الذي تلح في طلبه والمذاهب السياسية الجديدة التي تقف تركيا دون تحقيقها (١) وقد أصبحت جريدة الوطن سجلا لأطوار الحرب الروسية التركية بما نشرت من مقالات عن أسباب الحرب وأدوارها وختامها والمعاهدات التي تمت في نهايتها وهي بحوت تدل على منتهى العمق والفهم، وقد أثرت هذه الحرب في الأخبار الداخلية فقلت في صفحاتها قلة ملحوظة.

ومما أثر عن هذه الحرب أيضا جريدة « مصر » لأديب اسحق فقد صدرت في ٣٠ يولييه سنة ١٨٧٧ ويبدو من العديدين النادرين اللذين حصلنا عليهما أن عنايتها بالحرب الروسية التركية قد مالت إلى جانب السلطان وهي في أحدهما تتحدث عن الحرب وأطوارها وأمل روسيا في « الحياة » من الدول وموقف الباب العالي من ذلك كله ثم تذكر في ثانيهما خيبة الأمل التي لاحقت جنود الخليفة وتصور هذه الخيبة في ألم وحسرة. (٢)

ولم تسكن الأهرام أقل حماسة لأخبار هذه الحرب فقد انتهزت هذه الحرية التي أباحتها الحكومة وأخذت تندد بآثار الحرب في مصر ثم مضت تدعو المواطنين إلى مساعدة جرحاها من المصريين، وفي هذه المقالات تنشر أعنف الأحاديث عن الظلم والظالمين وحكم الفرد وآثاره حتى تنبهت الحكومة إلى أن هذه الأحاديث تتجه إليها مباشرة ولا تتعلق بالحرب وظروفها فحسب (٣) فأندرت الأهرام وهو الإنذار الوحيد في غضون هذه الحرب واستكتبتها الحكومة تعهدا بالألا « تدرج المواد الموجبة لتبسيط الأفكار الأهلية عن أحوال الحرب الحاضرة »، (٤) ويبدو أن الجهات الرسمية في مصر لم تحاول من ناحيتها عرقله هذه النهضة

(١) الوطن في نهاية عام ١٨٧٧ وأوائل ١٨٧٨ وخاصة العدد السادس عشر

(٢) مصر العدد ١٨٣٠ (٣) الأهرام عدد ٧٣ عام ١٨٧٧ وما بعده

(٤) محفوظات الداخلية ١١-٢-٩٤٦ جزء أول

الصحفية فغضت الطرف عما نشر من آراء أو أذيع من أخبار تمس الدولة العلية وإخفاقها في هذه الحرب ، وذلك لأن الحرب الروسية التركية تتصل بمصر من حيث التزاماتها أمام السلطان . فطلبت الحكومة التركية مساهمة مصر في هذه الحرب وقد ذكر الخديو في مقالته الخديوية لمجلس شورى النواب في ٣٠ أبريل سنة ١٨٧٨ أنه على استعداد لتقديم الجنود ومساعدة السلطان بيد أنه عقب على ذلك في براعة بأن هذه المساعدة معلقة بحال الميزانية ومرتبطة أيضاً برعاية الدين العام (١) ومعنى ذلك أن الخديو لم يكن متحمساً غاية التحمس لاشتراك مصر في هذه الحرب لأن المساعدة المطلقة مرهونة بحال الميزانية ، وميزانية مصر لم تكن تحتل الاشتراك في الحرب ثم إن ارتباط مصر برعاية الدين العام معناه اقتصار المساعدة على صورة ضيقة جداً فلم تشارك إلا ببضعة آلاف من الجنود لم تتجاوز ستة آلاف جندي وهذا عدد يسير جداً إذا علمنا أن سكان البلاد في ذلك الوقت كانوا ستة ملايين نفس .

فلا غرو إذن أن كان موقف الحكومة المصرية مما كانت تنشره الوطن وغيرها موقفاً سلبياً بل موقفاً فيه من التشجيع ما سمح لهذه الصحف بالحديث في أمور «بوليتيكية» ما كان يسمح لها بالخوض فيها من قبل ، ولم يكن للحرب الروسية التركية من فضل في تطور هذه الصحف ونقلها إلى جو من الحرية فحسب بل كان لها فضل آخر وهو أن هذه الصحف أخذت على عاتقها وظيفة الدفاع عن الشؤون المصرية الدولية وبذلك شاركت الصحافة المصرية الحكومة فيما كانت تختص به الحكومة نفسها فقد أتمتحت الحرب الروسية التركية صلح سان استفانو بين الدولتين ثم مؤتمر برلين وما ترتب على ذلك من توضيح المسألة المصرية من غير مبرر واقتسام الإشراف على مالية

• Egyptian Despatch from the consulate general of the U. S. (١)

(١) 30 may 1877 N 173

(٢) ١٧٧٠ / ١٧٧١ / ١٧٧٢ / ١٧٧٣ / ١٧٧٤ / ١٧٧٥ / ١٧٧٦ / ١٧٧٧ / ١٧٧٨ / ١٧٧٩ / ١٧٨٠ / ١٧٨١ / ١٧٨٢ / ١٧٨٣ / ١٧٨٤ / ١٧٨٥ / ١٧٨٦ / ١٧٨٧ / ١٧٨٨ / ١٧٨٩ / ١٧٩٠ / ١٧٩١ / ١٧٩٢ / ١٧٩٣ / ١٧٩٤ / ١٧٩٥ / ١٧٩٦ / ١٧٩٧ / ١٧٩٨ / ١٧٩٩ / ١٨٠٠ / ١٨٠١ / ١٨٠٢ / ١٨٠٣ / ١٨٠٤ / ١٨٠٥ / ١٨٠٦ / ١٨٠٧ / ١٨٠٨ / ١٨٠٩ / ١٨١٠ / ١٨١١ / ١٨١٢ / ١٨١٣ / ١٨١٤ / ١٨١٥ / ١٨١٦ / ١٨١٧ / ١٨١٨ / ١٨١٩ / ١٨٢٠ / ١٨٢١ / ١٨٢٢ / ١٨٢٣ / ١٨٢٤ / ١٨٢٥ / ١٨٢٦ / ١٨٢٧ / ١٨٢٨ / ١٨٢٩ / ١٨٣٠ / ١٨٣١ / ١٨٣٢ / ١٨٣٣ / ١٨٣٤ / ١٨٣٥ / ١٨٣٦ / ١٨٣٧ / ١٨٣٨ / ١٨٣٩ / ١٨٤٠ / ١٨٤١ / ١٨٤٢ / ١٨٤٣ / ١٨٤٤ / ١٨٤٥ / ١٨٤٦ / ١٨٤٧ / ١٨٤٨ / ١٨٤٩ / ١٨٥٠ / ١٨٥١ / ١٨٥٢ / ١٨٥٣ / ١٨٥٤ / ١٨٥٥ / ١٨٥٦ / ١٨٥٧ / ١٨٥٨ / ١٨٥٩ / ١٨٦٠ / ١٨٦١ / ١٨٦٢ / ١٨٦٣ / ١٨٦٤ / ١٨٦٥ / ١٨٦٦ / ١٨٦٧ / ١٨٦٨ / ١٨٦٩ / ١٨٧٠ / ١٨٧١ / ١٨٧٢ / ١٨٧٣ / ١٨٧٤ / ١٨٧٥ / ١٨٧٦ / ١٨٧٧ / ١٨٧٨ / ١٨٧٩ / ١٨٨٠ / ١٨٨١ / ١٨٨٢ / ١٨٨٣ / ١٨٨٤ / ١٨٨٥ / ١٨٨٦ / ١٨٨٧ / ١٨٨٨ / ١٨٨٩ / ١٨٩٠ / ١٨٩١ / ١٨٩٢ / ١٨٩٣ / ١٨٩٤ / ١٨٩٥ / ١٨٩٦ / ١٨٩٧ / ١٨٩٨ / ١٨٩٩ / ١٩٠٠ / ١٩٠١ / ١٩٠٢ / ١٩٠٣ / ١٩٠٤ / ١٩٠٥ / ١٩٠٦ / ١٩٠٧ / ١٩٠٨ / ١٩٠٩ / ١٩١٠ / ١٩١١ / ١٩١٢ / ١٩١٣ / ١٩١٤ / ١٩١٥ / ١٩١٦ / ١٩١٧ / ١٩١٨ / ١٩١٩ / ١٩٢٠ / ١٩٢١ / ١٩٢٢ / ١٩٢٣ / ١٩٢٤ / ١٩٢٥ / ١٩٢٦ / ١٩٢٧ / ١٩٢٨ / ١٩٢٩ / ١٩٣٠ / ١٩٣١ / ١٩٣٢ / ١٩٣٣ / ١٩٣٤ / ١٩٣٥ / ١٩٣٦ / ١٩٣٧ / ١٩٣٨ / ١٩٣٩ / ١٩٤٠ / ١٩٤١ / ١٩٤٢ / ١٩٤٣ / ١٩٤٤ / ١٩٤٥ / ١٩٤٦ / ١٩٤٧ / ١٩٤٨ / ١٩٤٩ / ١٩٥٠ / ١٩٥١ / ١٩٥٢ / ١٩٥٣ / ١٩٥٤ / ١٩٥٥ / ١٩٥٦ / ١٩٥٧ / ١٩٥٨ / ١٩٥٩ / ١٩٦٠ / ١٩٦١ / ١٩٦٢ / ١٩٦٣ / ١٩٦٤ / ١٩٦٥ / ١٩٦٦ / ١٩٦٧ / ١٩٦٨ / ١٩٦٩ / ١٩٧٠ / ١٩٧١ / ١٩٧٢ / ١٩٧٣ / ١٩٧٤ / ١٩٧٥ / ١٩٧٦ / ١٩٧٧ / ١٩٧٨ / ١٩٧٩ / ١٩٨٠ / ١٩٨١ / ١٩٨٢ / ١٩٨٣ / ١٩٨٤ / ١٩٨٥ / ١٩٨٦ / ١٩٨٧ / ١٩٨٨ / ١٩٨٩ / ١٩٩٠ / ١٩٩١ / ١٩٩٢ / ١٩٩٣ / ١٩٩٤ / ١٩٩٥ / ١٩٩٦ / ١٩٩٧ / ١٩٩٨ / ١٩٩٩ / ٢٠٠٠ / ٢٠٠١ / ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣ / ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ / ٢٠١٠ / ٢٠١١ / ٢٠١٢ / ٢٠١٣ / ٢٠١٤ / ٢٠١٥ / ٢٠١٦ / ٢٠١٧ / ٢٠١٨ / ٢٠١٩ / ٢٠٢٠ / ٢٠٢١ / ٢٠٢٢ / ٢٠٢٣ / ٢٠٢٤ / ٢٠٢٥ / ٢٠٢٦ / ٢٠٢٧ / ٢٠٢٨ / ٢٠٢٩ / ٢٠٣٠ / ٢٠٣١ / ٢٠٣٢ / ٢٠٣٣ / ٢٠٣٤ / ٢٠٣٥ / ٢٠٣٦ / ٢٠٣٧ / ٢٠٣٨ / ٢٠٣٩ / ٢٠٤٠ / ٢٠٤١ / ٢٠٤٢ / ٢٠٤٣ / ٢٠٤٤ / ٢٠٤٥ / ٢٠٤٦ / ٢٠٤٧ / ٢٠٤٨ / ٢٠٤٩ / ٢٠٥٠ / ٢٠٥١ / ٢٠٥٢ / ٢٠٥٣ / ٢٠٥٤ / ٢٠٥٥ / ٢٠٥٦ / ٢٠٥٧ / ٢٠٥٨ / ٢٠٥٩ / ٢٠٦٠ / ٢٠٦١ / ٢٠٦٢ / ٢٠٦٣ / ٢٠٦٤ / ٢٠٦٥ / ٢٠٦٦ / ٢٠٦٧ / ٢٠٦٨ / ٢٠٦٩ / ٢٠٧٠ / ٢٠٧١ / ٢٠٧٢ / ٢٠٧٣ / ٢٠٧٤ / ٢٠٧٥ / ٢٠٧٦ / ٢٠٧٧ / ٢٠٧٨ / ٢٠٧٩ / ٢٠٨٠ / ٢٠٨١ / ٢٠٨٢ / ٢٠٨٣ / ٢٠٨٤ / ٢٠٨٥ / ٢٠٨٦ / ٢٠٨٧ / ٢٠٨٨ / ٢٠٨٩ / ٢٠٩٠ / ٢٠٩١ / ٢٠٩٢ / ٢٠٩٣ / ٢٠٩٤ / ٢٠٩٥ / ٢٠٩٦ / ٢٠٩٧ / ٢٠٩٨ / ٢٠٩٩ / ٢١٠٠ / ٢١٠١ / ٢١٠٢ / ٢١٠٣ / ٢١٠٤ / ٢١٠٥ / ٢١٠٦ / ٢١٠٧ / ٢١٠٨ / ٢١٠٩ / ٢١١٠ / ٢١١١ / ٢١١٢ / ٢١١٣ / ٢١١٤ / ٢١١٥ / ٢١١٦ / ٢١١٧ / ٢١١٨ / ٢١١٩ / ٢١٢٠ / ٢١٢١ / ٢١٢٢ / ٢١٢٣ / ٢١٢٤ / ٢١٢٥ / ٢١٢٦ / ٢١٢٧ / ٢١٢٨ / ٢١٢٩ / ٢١٣٠ / ٢١٣١ / ٢١٣٢ / ٢١٣٣ / ٢١٣٤ / ٢١٣٥ / ٢١٣٦ / ٢١٣٧ / ٢١٣٨ / ٢١٣٩ / ٢١٤٠ / ٢١٤١ / ٢١٤٢ / ٢١٤٣ / ٢١٤٤ / ٢١٤٥ / ٢١٤٦ / ٢١٤٧ / ٢١٤٨ / ٢١٤٩ / ٢١٥٠ / ٢١٥١ / ٢١٥٢ / ٢١٥٣ / ٢١٥٤ / ٢١٥٥ / ٢١٥٦ / ٢١٥٧ / ٢١٥٨ / ٢١٥٩ / ٢١٦٠ / ٢١٦١ / ٢١٦٢ / ٢١٦٣ / ٢١٦٤ / ٢١٦٥ / ٢١٦٦ / ٢١٦٧ / ٢١٦٨ / ٢١٦٩ / ٢١٧٠ / ٢١٧١ / ٢١٧٢ / ٢١٧٣ / ٢١٧٤ / ٢١٧٥ / ٢١٧٦ / ٢١٧٧ / ٢١٧٨ / ٢١٧٩ / ٢١٨٠ / ٢١٨١ / ٢١٨٢ / ٢١٨٣ / ٢١٨٤ / ٢١٨٥ / ٢١٨٦ / ٢١٨٧ / ٢١٨٨ / ٢١٨٩ / ٢١٩٠ / ٢١٩١ / ٢١٩٢ / ٢١٩٣ / ٢١٩٤ / ٢١٩٥ / ٢١٩٦ / ٢١٩٧ / ٢١٩٨ / ٢١٩٩ / ٢٢٠٠ / ٢٢٠١ / ٢٢٠٢ / ٢٢٠٣ / ٢٢٠٤ / ٢٢٠٥ / ٢٢٠٦ / ٢٢٠٧ / ٢٢٠٨ / ٢٢٠٩ / ٢٢١٠ / ٢٢١١ / ٢٢١٢ / ٢٢١٣ / ٢٢١٤ / ٢٢١٥ / ٢٢١٦ / ٢٢١٧ / ٢٢١٨ / ٢٢١٩ / ٢٢٢٠ / ٢٢٢١ / ٢٢٢٢ / ٢٢٢٣ / ٢٢٢٤ / ٢٢٢٥ / ٢٢٢٦ / ٢٢٢٧ / ٢٢٢٨ / ٢٢٢٩ / ٢٢٣٠ / ٢٢٣١ / ٢٢٣٢ / ٢٢٣٣ / ٢٢٣٤ / ٢٢٣٥ / ٢٢٣٦ / ٢٢٣٧ / ٢٢٣٨ / ٢٢٣٩ / ٢٢٤٠ / ٢٢٤١ / ٢٢٤٢ / ٢٢٤٣ / ٢٢٤٤ / ٢٢٤٥ / ٢٢٤٦ / ٢٢٤٧ / ٢٢٤٨ / ٢٢٤٩ / ٢٢٥٠ / ٢٢٥١ / ٢٢٥٢ / ٢٢٥٣ / ٢٢٥٤ / ٢٢٥٥ / ٢٢٥٦ / ٢٢٥٧ / ٢٢٥٨ / ٢٢٥٩ / ٢٢٦٠ / ٢٢٦١ / ٢٢٦٢ / ٢٢٦٣ / ٢٢٦٤ / ٢٢٦٥ / ٢٢٦٦ / ٢٢٦٧ / ٢٢٦٨ / ٢٢٦٩ / ٢٢٧٠ / ٢٢٧١ / ٢٢٧٢ / ٢٢٧٣ / ٢٢٧٤ / ٢٢٧٥ / ٢٢٧٦ / ٢٢٧٧ / ٢٢٧٨ / ٢٢٧٩ / ٢٢٨٠ / ٢٢٨١ / ٢٢٨٢ / ٢٢٨٣ / ٢٢٨٤ / ٢٢٨٥ / ٢٢٨٦ / ٢٢٨٧ / ٢٢٨٨ / ٢٢٨٩ / ٢٢٩٠ / ٢٢٩١ / ٢٢٩٢ / ٢٢٩٣ / ٢٢٩٤ / ٢٢٩٥ / ٢٢٩٦ / ٢٢٩٧ / ٢٢٩٨ / ٢٢٩٩ / ٢٣٠٠ / ٢٣٠١ / ٢٣٠٢ / ٢٣٠٣ / ٢٣٠٤ / ٢٣٠٥ / ٢٣٠٦ / ٢٣٠٧ / ٢٣٠٨ / ٢٣٠٩ / ٢٣١٠ / ٢٣١١ / ٢٣١٢ / ٢٣١٣ / ٢٣١٤ / ٢٣١٥ / ٢٣١٦ / ٢٣١٧ / ٢٣١٨ / ٢٣١٩ / ٢٣٢٠ / ٢٣٢١ / ٢٣٢٢ / ٢٣٢٣ / ٢٣٢٤ / ٢٣٢٥ / ٢٣٢٦ / ٢٣٢٧ / ٢٣٢٨ / ٢٣٢٩ / ٢٣٣٠ / ٢٣٣١ / ٢٣٣٢ / ٢٣٣٣ / ٢٣٣٤ / ٢٣٣٥ / ٢٣٣٦ / ٢٣٣٧ / ٢٣٣٨ / ٢٣٣٩ / ٢٣٤٠ / ٢٣٤١ / ٢٣٤٢ / ٢٣٤٣ / ٢٣٤٤ / ٢٣٤٥ / ٢٣٤٦ / ٢٣٤٧ / ٢٣٤٨ / ٢٣٤٩ / ٢٣٥٠ / ٢٣٥١ / ٢٣٥٢ / ٢٣٥٣ / ٢٣٥٤ / ٢٣٥٥ / ٢٣٥٦ / ٢٣٥٧ / ٢٣٥٨ / ٢٣٥٩ / ٢٣٦٠ / ٢٣٦١ / ٢٣٦٢ / ٢٣٦٣ / ٢٣٦٤ / ٢٣٦٥ / ٢٣٦٦ / ٢٣٦٧ / ٢٣٦٨ / ٢٣٦٩ / ٢٣٧٠ / ٢٣٧١ / ٢٣٧٢ / ٢٣٧٣ / ٢٣٧٤ / ٢٣٧٥ / ٢٣٧٦ / ٢٣٧٧ / ٢٣٧٨ / ٢٣٧٩ / ٢٣٨٠ / ٢٣٨١ / ٢٣٨٢ / ٢٣٨٣ / ٢٣٨٤ / ٢٣٨٥ / ٢٣٨٦ / ٢٣٨٧ / ٢٣٨٨ / ٢٣٨٩ / ٢٣٩٠ / ٢٣٩١ / ٢٣٩٢ / ٢٣٩٣ / ٢٣٩٤ / ٢٣٩٥ / ٢٣٩٦ / ٢٣٩٧ / ٢٣٩٨ / ٢٣٩٩ / ٢٤٠٠ / ٢٤٠١ / ٢٤٠٢ / ٢٤٠٣ / ٢٤٠٤ / ٢٤٠٥ / ٢٤٠٦ / ٢٤٠٧ / ٢٤٠٨ / ٢٤٠٩ / ٢٤١٠ / ٢٤١١ / ٢٤١٢ / ٢٤١٣ / ٢٤١٤ / ٢٤١٥ / ٢٤١٦ / ٢٤١٧ / ٢٤١٨ / ٢٤١٩ / ٢٤٢٠ / ٢٤٢١ / ٢٤٢٢ / ٢٤٢٣ / ٢٤٢٤ / ٢٤٢٥ / ٢٤٢٦ / ٢٤٢٧ / ٢٤٢٨ / ٢٤٢٩ / ٢٤٣٠ / ٢٤٣١ / ٢٤٣٢ / ٢٤٣٣ / ٢٤٣٤ / ٢٤٣٥ / ٢٤٣٦ / ٢٤٣٧ / ٢٤٣٨ / ٢٤٣٩ / ٢٤٤٠ / ٢٤٤١ / ٢٤٤٢ / ٢٤٤٣ / ٢٤٤٤ / ٢٤٤٥ / ٢٤٤٦ / ٢٤٤٧ / ٢٤٤٨ / ٢٤٤٩ / ٢٤٥٠ / ٢٤٥١ / ٢٤٥٢ / ٢٤٥٣ / ٢٤٥٤ / ٢٤٥٥ / ٢٤٥٦ / ٢٤٥٧ / ٢٤٥٨ / ٢٤٥٩ / ٢٤٦٠ / ٢٤٦١ / ٢٤٦٢ / ٢٤٦٣ / ٢٤٦٤ / ٢٤٦٥ / ٢٤٦٦ / ٢٤٦٧ / ٢٤٦٨ / ٢٤٦٩ / ٢٤٧٠ / ٢٤٧١ / ٢٤٧٢ / ٢٤٧٣ / ٢٤٧٤ / ٢٤٧٥ / ٢٤٧٦ / ٢٤٧٧ / ٢٤٧٨ / ٢٤٧٩ / ٢٤٨٠ / ٢٤٨١ / ٢٤٨٢ / ٢٤٨٣ / ٢٤٨٤ / ٢٤٨٥ / ٢٤٨٦ / ٢٤٨٧ / ٢٤٨٨ / ٢٤٨٩ / ٢٤٩٠ / ٢٤٩١ / ٢٤٩٢ / ٢٤٩٣ / ٢٤٩٤ / ٢٤٩٥ / ٢٤٩٦ / ٢٤٩٧ / ٢٤٩٨ / ٢٤٩٩ / ٢٥٠٠ / ٢٥٠١ / ٢٥٠٢ / ٢٥٠٣ / ٢٥٠٤ / ٢٥٠٥ / ٢٥٠٦ / ٢٥٠٧ / ٢٥٠٨ / ٢٥٠٩ / ٢٥١٠ / ٢٥١١ / ٢٥١٢ / ٢٥١٣ / ٢٥١٤ / ٢٥١٥ / ٢٥١٦ / ٢٥١٧ / ٢٥١٨ / ٢٥١٩ / ٢٥٢٠ / ٢٥٢١ / ٢٥٢٢ / ٢٥٢٣ / ٢٥٢٤ / ٢٥٢٥ / ٢٥٢٦ / ٢٥٢٧ / ٢٥٢٨ / ٢٥٢٩ / ٢٥٣٠ / ٢٥٣١ / ٢٥٣٢ / ٢٥٣٣ / ٢٥٣٤ / ٢٥٣٥ / ٢٥٣٦ / ٢٥٣٧ / ٢٥٣٨ / ٢٥٣٩ / ٢٥٤٠ / ٢٥٤١ / ٢٥٤٢ / ٢٥٤٣ / ٢٥٤٤ / ٢٥٤٥ / ٢٥٤٦ / ٢٥٤٧ / ٢٥٤٨ / ٢٥٤٩ / ٢٥٥٠ / ٢٥٥١ / ٢٥٥٢ / ٢٥٥٣ / ٢٥٥٤ / ٢٥٥٥ / ٢٥٥٦ / ٢٥٥٧ / ٢٥٥٨ / ٢٥٥٩ / ٢٥٦٠ / ٢٥٦١ / ٢٥٦٢ / ٢٥٦٣ / ٢٥٦٤ / ٢٥٦٥ / ٢٥٦٦ / ٢٥٦٧ / ٢٥٦٨ / ٢٥٦٩ / ٢٥٧٠ / ٢٥٧١ / ٢٥٧٢ / ٢٥٧٣ / ٢٥٧٤ / ٢٥٧٥ / ٢٥٧٦ / ٢٥٧٧ / ٢٥٧٨ / ٢٥٧٩ / ٢٥٨٠ / ٢٥٨١ / ٢٥٨٢ / ٢٥٨٣ / ٢٥٨٤ / ٢٥٨٥ / ٢٥٨٦ / ٢٥٨٧ / ٢٥٨٨ / ٢٥٨٩ / ٢٥٩٠ / ٢٥٩١ / ٢٥٩٢ / ٢٥٩٣ / ٢٥٩٤ / ٢٥٩٥ / ٢٥٩٦ / ٢٥٩٧ / ٢٥٩٨ / ٢٥٩٩ / ٢٦٠٠ / ٢٦٠١ / ٢٦٠٢ / ٢٦٠٣ / ٢٦٠٤ / ٢٦٠٥ / ٢٦٠٦ / ٢٦٠٧ / ٢٦٠٨ / ٢٦٠٩ / ٢٦١٠ / ٢٦١١ / ٢٦١٢ / ٢٦١٣ / ٢٦١٤ / ٢٦١٥ / ٢٦١٦ / ٢٦١٧ / ٢٦١٨ / ٢٦١٩ / ٢٦٢٠ / ٢٦٢١ / ٢٦٢٢ / ٢٦٢٣ / ٢٦٢٤ / ٢٦٢٥ / ٢٦٢٦ / ٢٦٢٧ / ٢٦٢٨ / ٢٦٢٩ / ٢٦٣٠ / ٢٦٣١ / ٢٦٣٢ / ٢٦٣٣ / ٢٦٣٤ / ٢٦٣٥ / ٢٦٣٦ / ٢٦٣٧ / ٢٦٣٨ / ٢٦٣٩ / ٢٦٤٠ / ٢٦٤١ / ٢٦٤٢ / ٢٦٤٣ / ٢٦٤٤ / ٢٦٤٥ / ٢٦٤٦ / ٢٦٤٧ / ٢٦٤٨ / ٢٦٤٩ / ٢٦٥٠ / ٢٦٥١ / ٢٦٥٢ / ٢٦٥٣ / ٢٦٥٤ / ٢٦٥٥ / ٢٦٥٦ / ٢٦٥٧ / ٢٦٥٨ / ٢٦٥٩ / ٢٦٦٠ / ٢٦٦١ / ٢٦٦٢ / ٢٦٦٣ / ٢٦٦٤ / ٢٦٦٥ / ٢٦٦٦ / ٢٦٦٧ / ٢٦٦٨ / ٢٦٦٩ / ٢٦٧٠ / ٢٦٧١ / ٢٦٧٢ / ٢٦٧٣ / ٢٦٧٤ / ٢٦٧٥ / ٢٦٧٦ / ٢٦٧٧ / ٢٦٧٨ / ٢٦٧٩ / ٢٦٨٠ / ٢٦٨١ / ٢٦٨٢ / ٢٦٨٣ / ٢٦٨٤ / ٢٦٨٥ / ٢٦٨٦ / ٢٦٨٧ / ٢٦٨٨ / ٢٦٨٩ / ٢٦٩٠ / ٢٦٩١ / ٢٦٩٢ / ٢٦٩٣ / ٢٦٩٤ / ٢٦٩٥ / ٢٦٩٦ / ٢٦٩٧ / ٢٦٩٨ / ٢٦٩٩ / ٢٧٠٠ / ٢٧٠١ / ٢٧٠٢ / ٢٧٠٣ / ٢٧٠٤ / ٢٧٠٥ / ٢٧٠٦ / ٢٧٠٧ / ٢٧٠٨ / ٢٧٠٩ / ٢٧١٠ / ٢٧١١ / ٢٧١٢ / ٢٧١٣ / ٢٧١٤ / ٢٧١٥ / ٢٧١٦ / ٢٧١٧ / ٢٧١٨ / ٢٧١٩ / ٢٧٢٠ / ٢٧٢١ / ٢٧٢٢ / ٢٧٢٣ / ٢٧٢٤ / ٢٧٢٥ / ٢٧٢٦ / ٢٧٢٧ / ٢٧٢٨ / ٢٧٢٩ / ٢٧٣٠ / ٢٧٣١ / ٢٧٣٢ / ٢٧٣٣ / ٢٧٣٤ / ٢٧٣٥ / ٢٧٣٦ / ٢٧٣٧ / ٢٧٣٨ / ٢٧٣٩ / ٢٧٤٠ / ٢٧٤١ / ٢٧٤٢ / ٢٧٤٣ / ٢٧٤٤ / ٢٧٤٥ / ٢٧٤٦ / ٢٧٤٧ / ٢٧٤٨ / ٢٧٤٩ / ٢٧٥٠ / ٢٧٥١ / ٢٧٥٢ / ٢٧٥٣ / ٢٧٥٤ / ٢٧٥٥ / ٢٧٥٦ / ٢٧٥٧ / ٢٧٥٨ / ٢٧٥٩ / ٢٧٦٠ / ٢٧٦١ / ٢٧٦٢ / ٢٧٦٣ / ٢٧٦٤ / ٢٧٦٥ / ٢٧٦٦ / ٢٧٦٧ / ٢٧٦٨ / ٢٧٦٩ / ٢٧٧٠ / ٢٧٧١ / ٢٧٧٢ / ٢٧٧٣ / ٢٧٧٤ / ٢٧٧٥ / ٢٧٧٦ / ٢٧٧٧ / ٢٧٧٨ / ٢٧٧٩ / ٢٧٨٠ / ٢٧٨١ / ٢٧٨٢ / ٢٧٨٣ / ٢٧٨٤ / ٢٧٨٥ / ٢٧٨٦ / ٢٧٨٧ / ٢٧٨٨ / ٢٧٨٩ / ٢٧٩٠ / ٢٧٩١ / ٢٧٩٢ / ٢٧٩٣ / ٢٧٩٤ / ٢٧٩٥ / ٢٧٩٦ / ٢٧٩٧ / ٢٧٩٨ / ٢٧٩٩ / ٢٨٠٠ / ٢٨٠١ / ٢٨٠٢ / ٢٨٠٣ / ٢٨٠٤ / ٢٨٠٥ / ٢٨٠٦ / ٢٨٠٧ / ٢٨٠٨ / ٢٨٠٩ / ٢٨١٠ / ٢٨١١ / ٢٨١٢ / ٢٨١٣ / ٢٨١٤ / ٢٨١٥ / ٢٨١٦ / ٢٨١٧ / ٢٨١٨ / ٢٨١٩ / ٢٨٢٠ / ٢٨٢١ / ٢٨٢٢ / ٢٨٢٣ / ٢٨٢٤ / ٢٨٢٥ / ٢٨٢٦ / ٢٨٢٧ / ٢٨٢٨ / ٢٨٢٩ / ٢٨٣٠ / ٢٨٣١ / ٢٨٣٢ / ٢٨٣٣ / ٢٨٣٤ / ٢٨٣٥ / ٢٨٣٦ / ٢٨٣٧ / ٢٨٣٨ / ٢٨٣٩ / ٢٨٤٠ / ٢٨٤١ / ٢٨٤٢ / ٢٨٤٣ / ٢٨٤٤ / ٢٨٤٥ / ٢٨٤٦ / ٢٨٤٧ / ٢٨٤٨ / ٢٨٤٩ / ٢٨٥٠ / ٢٨٥١ / ٢٨٥٢ / ٢٨٥٣ / ٢٨٥٤ / ٢٨٥٥ / ٢٨٥٦ / ٢٨٥٧ / ٢٨٥٨ / ٢٨٥٩ / ٢٨٦٠ / ٢٨٦١ / ٢٨٦٢ / ٢٨٦٣ / ٢٨٦٤ / ٢٨٦٥ / ٢٨٦٦ / ٢٨٦٧ / ٢٨٦٨ / ٢٨٦٩ / ٢٨٧٠ / ٢٨٧١ / ٢٨٧٢ / ٢٨٧٣ / ٢٨٧٤ / ٢٨٧٥ / ٢٨٧٦ / ٢٨٧٧ / ٢٨٧٨ / ٢٨٧٩ / ٢٨٨٠ / ٢٨٨١ / ٢٨٨٢ / ٢٨٨٣ / ٢٨٨٤ / ٢٨٨٥ / ٢٨٨٦ / ٢٨٨٧ / ٢٨٨٨ / ٢٨٨٩ / ٢٨٩٠ / ٢٨٩١ / ٢٨٩٢ / ٢٨٩٣ / ٢٨٩٤ / ٢٨٩٥ / ٢٨٩٦ / ٢٨٩٧ / ٢٨٩٨ / ٢٨٩٩ / ٢٩٠٠ / ٢٩٠١ / ٢٩٠٢ / ٢٩٠٣ / ٢٩٠٤ / ٢٩٠٥ / ٢٩٠٦ / ٢٩٠٧ / ٢٩٠٨ / ٢٩٠٩ / ٢٩١٠ / ٢٩١١ / ٢٩١٢ / ٢٩١٣ / ٢٩١٤ / ٢٩١٥ / ٢٩١٦ / ٢٩١٧ / ٢٩١٨ / ٢٩١٩ / ٢٩٢٠ / ٢٩٢١ / ٢٩٢٢ / ٢٩٢٣ / ٢٩٢٤ / ٢٩٢٥ / ٢٩٢٦ / ٢٩٢٧ / ٢٩٢٨ / ٢٩٢٩ / ٢٩٣٠ / ٢٩٣١ / ٢٩٣٢ / ٢٩٣٣ / ٢٩٣٤ / ٢٩٣٥ / ٢٩٣٦ / ٢٩٣٧ / ٢٩٣٨ / ٢٩٣٩ / ٢٩٤٠ / ٢٩٤١ / ٢٩٤٢ / ٢٩٤٣ / ٢٩٤

مصر بين فرنسا وانجلترا (١). ولم تقف المطامع الأوروبية في مصر عند فرنسا أو إنجلترا بل تجاوزتهما إلى روسيا التي طلبت رهن خراج مصر لتسدده منه تركيا غرامة الحرب بعد هزيمتها ، وهنا تبدأ الصحافة الشعبية وظيفتها الجديدة فتشرح قصة الحرب مرة أخرى وتعلق جريدة الوطن على ذلك لافتة الأنظار إلى طمع الدول الأوروبية في المصريين وخاصة إنجلترا ثم تحمل في شيء من العنف على الحكومة الإنجليزية وعلى The Standard الصحيفة التي تمثلها في ذلك الوقت وتشير إلى النيات السيئة التي تنويها إنجلترا لمصر فإن الصحف الإنجليزية دعت خلال الحرب إلى احتلال مصر حتى تحول القوات البريطانية دون تغلغل الروس إلى قناة السويس (٢)

كانت الحرب الروسية التركية حجر الزاوية في تطور الصحافة الشعبية إلى صحافة حرة فقد شبت عن الطوق ورأت شؤون مصر تسير في اتجاه فيه غبن شديد على البلاد وقد أثار وجود الأفغانى في مصر قبيل الحرب التركية الروسية وإنشائها تياراً من التفكير الحر ، فقد تتلمذ له الكثيرون من طلاب العلم والمتعاطشين إلى الآراء الجديدة وكان حديثه « ينير العقل ويطهر العقيدة ويذهب بالنفس إلى معالى الأمور ويستلقت الفكر إلى النظر في الشؤون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها وكان طلاب العلم ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة والزائرون يذهبون بما ينالون إلى أحيائهم فاستيقظت مشاعر وتنبهت عقول وخف حجاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد خصوصاً القاهرة » (٣). ولم يقف حظ الحياة

(١) عقد صلح تركيا وروسيا عتقنى معاهدة سان استيفانوفم توافق إنجلترا على هذا الصلح وأمرت أسطولها بالتقدم إلى الدردنيل كما أرسلت جنوداً إلى مالطة ثم انتهى الأمر بموافقة روسيا على عقد مؤتمر برلين وقد انفتحت إنجلترا سراً مع روسيا على تركيا على حين انفتحت مع الأخيرة على أن تتنازل لها عن قبرص وأعلن ساسبورى أذليس بينه وبين الدولتين أى اتفاق سرى ولكن صحافة إنجلترا تديع اتفاق قبرص . وهنا يهدد سفير فرنسا بالانسحاب من المؤتمر فيضطر الإنجليز إلى ترضية فرنسا بمسائل خاصة بتونس منها حق الاشراف على المالية المصرية مناصفة (راجع ص ٨٧٥ . My Diaries)

(٢) الوطن في ٩ مارس عام ١٨٧٨

(٣) الاستاذ الامام > ١ ص ٣٧

الفكرية من فضل هذا الرجل عند حديثه الخلو ومحاضراته الممتعة لطلاب العلم ورواده من خاصة الناس فإن له على الصحافة الشعبية فضلا يعدل فضل الحرب الروسية التركية فهو الذي أوحى ليعقوب بن صنوع باصدار مجلة « أبو نظارة » أقدم الصحف الهزلية المصورة في الشرق (١) وهو الذي اقترح على أديب إسحق إنشاء جريدة « مصر » في القاهرة (٢) ويرجع إلى الأفغاني فضل السعي في إخراج جريدة « مرآة الشرق » فقد توسط اصحابها (٣) هنا وهناك حتى منح الترخيص بها . ولم يكن للأفغاني فضل الإيحاء والإشارة بإنشاء هذه الصحف وحدثها بل كانت له فيها المقالات الممتعة كحديثه عن « الحكومات الشرقية وأنواعها » ومقالته عن « روح البيان في الانكليز والأفغان » وكان يهرها باسمه تارة وتارة تحت حجاب اسم مصنوع مثل (مظهر بن وضاح) ومن أهم مقالاته فيها حملته على الانجليز تلك الحملة التي ترجمتها صحفهم (٤) . وكذلك كانت التجارة مجالا لتلامذته كالأستاذ الإمام (٥) وكانت هذه الصحيفة تذكر الأفغاني وتنقلاته في أسلوب غريب فقسيمه « سيدنا فهرست كتاب الكمال وفذلكة حساب الجلال أستاذنا الأجل الفيلسوف الأ كبير السيد جمال الدين الأفغاني » (٦) وقد لقيت التجارة حتفها على يديه فقدم لها بالمقالات الثورية ابتداء من عددها السادس عشر ثم زعمت في خبر من أخبارها أن الأمة وكلمت إليه

-
- (١) طرازي ج ٢ ص ٢٨٣ (٢) مشاهير الشرق ج ٣ ص ٧٠
(٣) صاحبها سليم عنجوري ولما سكنه تخلى عنها لبراهيم اللقاني لرضه وعودته إلى وطنه وهو من الشاميين تلاميذ الأفغاني وساعده فيها اسكندر نحاس كدير لها وسعيد البستاني كترجمها الاول وكتب فيها محمد عبده والشيخ علي يوسف وهي لسان الحزب الوطني في نهاية عصر اسماعيل (راجع مرآة الشرق في ٢٤ يوليو عام ١٨٧٩ عن كونها لسان الحزب الوطني والتجارة في ٢١ ابريل عام ١٨٧٩ عن تغيير صاحبها .)
(٤) الاستاذ الامام ج ١ ص ٣٩-٤١ و ص ٤٥
(٥) التجارة في ١٧ يونية عام ١٨٧٩
(٦) التجارة في ١٩ مايو عام ١٨٧٩ وصاحب التجارة هو أديب اسحق راجع اعلام الصحافة العربية

السفارة بينها وبين الخديو وكان هذا الخبر سبب تعطيلها الحقيقي (١).

عرضنا لأثر الحرب الروسية التركية في الصحف الشعبية وبيننا سهم الأفغانى فى نقلها إلى مصاف صحف الرأى وهذان عاملان لها خطرهما فى تاريخ الصحافة الشعبية وتطورها وقد ظهرت بجانبها بعض العوامل التى لا تقل عنها أهمية ومصدرها الحالة فى مصر نفسها فقد جهد الخديو من ناحيته فى تهيئة الأفكار بما جدد فى حياة مصر الأدبية والمادية مما كان له أثره الواضح فيما بعد . وأنتجت محاولات الخديو الإصلاحية نتائجها المرقوبة كما أنتجت مساوئة نفس النتيجة فاذا الناس متبرهون لم تغنم إصلاحاته ولم تشمل طبيعتهم الرضية مساوئة فهو يعمل على إسعادهم فى ناحية وإفقارهم فى ناحية أخرى وأقرب الأمثلة ما ذكره قنصل الولايات المتحدة فى تقرير له وهو يتحدث عن الإصلاحات التى أدخلها الخديو فى مصر ويعقب على ذلك بحديث عن الأرض وتوزيعها وكيف استولت الأسرة المالكة على أكثر من خمسها وكيف كان هذا الخمس يفوق الأخماس الأربعة الباقية من حيث الجودة ومن حيث عناية الحكومة باروائها وموقعها وتسخير الناس لخدمتها وكيف اختلستها من أصحابها بشتى الطرق (٢) والخديو يستدين ويصبح دينه خطراً على الكيان المصرى فى نهاية عام ١٨٧٥ وفى أوائل عام ١٨٧٦ إذ أن هذا الدين أجاز للدول الأوربية حق التدخل فى شئون مصر ثم يشعر بالضيق المالى فتضيع أسهم قناة السويس فى صفقة خاسرة ويستقدم بعثة كيف الانجليزية لتفحص مالية البلاد ثم تتوقف الحكومة عن أداء أقساط الديون وقد لاحقتها الأزمة من جميع جوانبها الأمر الذى ترتب عليه إنشاء صندوق الدين (٣) وتدخل الأجانب فى الشؤون الداخلية .

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٤٧ و ٤٨ من ترجمة سليم عنحورى للأفغانى

(٢) Despatch N 272 December 30 . 1878 . vol . 15 . p 78

(٣) فليب جلال القاموس العام للإدارة والقضاء عام ١٩٠٠ ج ٢ ص ١٤٤

لم يفد إنشاء صندوق الدين أو مشروع توحيد الديون في مايو عام ١٨٧٦ (١) أو إنشاء مجلس أعلى للمالية نصفه من الأجانب (٢) لم يفد كل هذا في وقف تدخل الأجانب تدخلا مباشرا في شؤون مصر الداخلية بل ساعد ذلك على هذا التدخل حتى أصبحت حياة مصر المالية تحت رقابة مشتركة من الإنجليز والفرنسيين ثم تراءى لهؤلاء أن يؤلفوا لجنة للتحقيق في ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ ، وكان من أظهر رجالها ريفرز ولسن Rivers Wilson أحد الوكيلين (٣) وبتهدى أمر هذه الأزمات المالية المتلاحقة بإنشاء مجلس النظار لأول مرة في تاريخ مصر وتتحقق بذلك فكرة المسئولية الوزارية في الحكومة المصرية بيد أن هذه اللفتة يشوبها وجود وزيرين أجنيين في مجلس النظار أحدهما إنجليزي للمالية والثاني فرنسي للأشغال (٤) كانت هذه التطورات في حياة مصر الداخلية امتحانا لصحافتها ومحكا لنضجها وكفايتها فقد استفتحت الوزارة المختلطة أعمالها الأولى باخطار رسمي لجميع الصحف التي « تتضمن الاعتراض بحالة خارجة عن حدود وظائفهم على مسلك الهيئة الحاضرة » (٥) ولم يكن قد بدا بعد من الصحف اعتراض على الهيئة الحاضرة بل إن الوطن ، وهي صحيفة حرة في ذلك الوقت ، استقبلت الحكومة النوبارية باستقبالا حسنا وأثنت على رجالها ثناء طيبا على اعتبار أنها وزارة مسؤولة لا تظلم ولا تقضى بغير ما يوحى به القانون وخاصة المسائل التي تتصل بالمال وجباية الضرائب (٦) وقد انتهزت الصحف تعيين الوزارة الجديدة فأخذت تشرح مساوىء العهد القديم في تقريره « ضرائب غير مقررة ولا جائزة ولا مبررة ، وتذكر موظفيه الذين أثروا من فقر الفلاح ونهبه حتى « أصبحوا من أهل اليسار والثروة والعقار وصارت في حيازتهم أخصب الأطيان » ثم تتجه إلى ولسن واضعة بين يديه آمال

(١) نفس المصدر والجزء ص ١٣٣ (٢) نفس المصدر ص ١٥١

(٣) الرافعى . عمر اسماعيل ج ٢ ص ٨٢

(٤) لومونيتور أجنبيان ٣ أغسطس ١٨٧٨ (٥) التجارة ٨ يناير ١٨٧٩

(٦) الوطن في ٢١ أغسطس عام ١٨٧٧ وعدد ٤٣ في سبتمبر عام ١٨٧٨ (٦)

الفلاح في القضاء على المفاسد والمفسدين (١) وتعقب في موضع آخر بعد نشر تقرير ولسن عن الخلل المالي حاملة أشد الحملة على الخديو الذي كانت تسير الحالة بأمره وحده فيلزم الفلاح بالضرائب الفادحة ومع ذلك كانت خزانة الدولة خالية الوفاض « بينما زادت عقارات الدائرة وبلغت مليون فدان » (٢).

وكان تشجيع الصحف الشعبية للوزيرين الأجنيين ظاهراً جداً حينما دافعت عن تعيينهما دفاعاً شديداً لما طلبت إيطاليا أن يكون لها في الغنيمة وزير ، فقد شرحت خدمات الوزارة المختلطة في ارتفاع الأوراق المالية واستلام الموظفين رواتبهم والتمكن من عقد القروض الجديدة بفائدة ضئيلة وإن لم تفوت الشكوى من الموظفين الأجانب ورواتبهم المرتفعة . فالصحافة الشعبية لم تستقبل تعيين الوزارة استقبالا سيئاً ، وكان ذلك بعض واجباتها ما دامت شؤون الحكم أقيمت إلى الأجانب ، ولكنها سالمته العهد الجديد لعله ينقذ مصر من العهد القديم ويقضي على المساويء التي أساءت إلى الفلاح والموظف ، وأسأت إلى كثير من المرافق العامة والخاصة ، وقد راضت الحكومة نفسها على أن تمنح الصحف بعض الحرية حتى تستطيع أن تفهم المآسى التي لقيها الشعب ، ولا يعينها في أول الأمر بعض الملاحظات التي تبديها الصحافة في عنف كحملتها على مدير السكة الحديد الانجليزي أو مقالاتها في الحالة المالية وماهية « الحكومة المطلقة والمظالم الحاصلة والوزارة الشورية » (٣).

لم يضغط الخديو على الصحف الشعبية خلال الحرب الروسية التركية ما بقيت ملتزمة مدحه والثناء عليه وكل ما شغلت به صفحاتها لم يمسه من قريب ، فاذا حدث التدخل الأجنبي سلطان الخديو فسح المجال لهذه الصحف فتتنفست عما في صدرها ونشرت مساويء الحكم الخديوي قبل سنة ١٨٧٨ ولم تتحرج كما رأينا من مسائلة الحكومة المشتركة وتحميتها . واستطاعت أن تقول ما حالت دون قوله سلطة الخديو

(١) الوطن في ٢٦ سبتمبر ١٨٧٨ (٢) الوطن في ٩ أكتوبر ١٨٧٨ (٣)

(٣) الوطن في ١٢ أكتوبر ٣ نوفمبر و١٦ نوفمبر ١٨٧٨ (٤)

فيما مضى ثم قلدت الهيئات المختلفة الصحافة في الشكوى وإذاعة الفضائح بالمدكرات
والمنشورات وأهمها مذكرة التجار الأجانب في الاسكندرية التي أرسلوها إلى
قناصل الدول ناعتين الخديو في تصرفاته المالية بأقبح الأوصاف (١)

كادت ظاهرة الإعجاب بالحكم الجديد تستغرق صفحات الأهرام والوطن
وغيرهما من الصحف المعاصرة التي لم تبلغ قدرهما من الذبوع والانتشار، غير أن
هذه الصحف رأت بعض المآخذ في الوزارة النوبارية فبدأت تلفت إليها النظر في
هدوء، فذكرت الوطن ما يجري على ألسنة الناس من أن المستر ولسن سيعين
موظفين إنجليز وسيقتدى به «دوبلنيار فرنساوي» وأن ذلك سيحرم أبناء الوطن
المتعلمين حقاً أجازهم لهم تعليمهم وثقافتهم (٢). ثم تشدد بعض الشيء فترى جريدة
التجارة أن حرمان المصريين حقهم في الوظائف بربرية أوربية لا يجوز السكوت
عليها لأن القوم «نازعونا الأرض المجلولة بدم آبائنا» وأصبحوا أمراء في بلادنا
وهي إمارة «الأجير وملكية المستعير وتأصل الدخيل ولا لوم عليهم في ذلك
ولا تريب، فإن من لا يصون ماله يعلم الناس سرقة» ثم تهاجم الصحف الفرنجية
«المطبوعة تحت سمائنا» لأنها لامت الوزير الفرنسي حين استخدم المصريين في
المسائل الهندسية وتذكر لها أن عهد الحرية المكبوتة وتقييد حرية الكتابة قد
انتهى وأن الرأي الحر والفكرة الناضجة ليست احتكاراً للفرنجة دون المصريين
وقد ظنت الحكومة الجديدة أن تنفيس الصحف عن نفسها بذكر مساوي
الخديو وملاحظة شؤون التوظيف في المصالح المصرية ورمى ولسن بالجهل في
الأمور المالية (٣) هو غاية ما تصبو إليه الصحف المصرية بيد أن الصحافة المصرية
كانت قد بلغت من القوة ونضج الرأي واستقامة التفكير ما جعلها تبحث في أعماق
من المسائل التي عالجتها فقد كانت فكرة الشورى تأخذ عليها حياتها وجهادها فبدأت

لقد

(١) وثيقة رقم ١٣٦ ص ١٤٥ Blue Books 1878

(٢) الوطن في ٣٠ نوفمبر عام ١٨٧٨

(٣) التجارة في ١٠ أبريل و٨ فبراير و١٥ يناير ١٨٧٩

تنشر المقالات في أن المسؤولية الوزارية تكون عبثاً على الصورة التي تألفت بمقتضاها الوزارة المختلطة فأمام من تكون هذه الوزارة مسؤولة ؟ إذا لم يكن هناك مجلس النواب ، وهو يكون أهم شيء في مصر كما أنه أهم شيء في الممالك المتمدنة وإذا كان مجلس النواب لازماً في بلاد أوربا فهو أزم لنا نحن المصريين لأن وزارتنا مختلطة من وطنيين وأورباويين والأورباويون لا بد أن يقدموا مصالح بلدهم وأرباب الديون على مصالح الوطنيين ، ثم تأخذ الصحيفة في معالجة أمر تكوينه وحقوقه والتزاماته ثم تذكر في مقال آخر الأهمية التي تعلقها على انعقاد هيئة تشريعية تسأل أمامها الوزارة إذ أنه لا يخفى أن قوة الممكة وغناها لا يقوم إلا بانتظام مجالس شوراها ، (١)

فإذا دعت الحكومة مجلس شورى النواب إلى الانعقاد استبشرت الصحافة بهذه الخطوة وأملت في أن يضرب المثل على حيويته حتى يحس الناس وجوده ، وتحدثت عن أعضائه بأنهم قوم « لا تأخذهم في الحق لومة لائم مع العلم بواجباتهم وحقوق الأمة وما بها من الآلام وبودهم لو اقتدوا بالإصلاح بدمائهم » (٢) فإذا تم انعقاد المجلس في ٢ يناير ١٨٧٩ تشجعت الصحف بوجوده وانتقلت إلى معارضة الحكومة في سفور وفي غير تحفظ ، فحملت على ريفرز ولسن الذي لبس مسوح الرهبان حتى تمت البلاد وجوده على ماليتها فلما تحقق له ذلك أزم الفلاح بدفع الأموال المتأخرة في السنوات الثلاث الماضية « مع غرق الأراضي وشرقها فإذا لم يرض الفلاح بدفع هذه الأموال المتأخرة الزموه أولاً ببيع أرزاقه ومحصولاته ثم بيع مواشيه وأطيانه وجميع عقاراته بل زاد على ذلك بأن أمر بالاستعانة بالقساوة القديمة » وعلقت على ذلك بأن السياسة القاسية لا تتفق مع حملات ولسن في تقريره عن العهد القديم ثم تفصل ظلمه وجوره في رفت

Blue Book 1878

(١) الوطن في ٢١ ديسمبر ١٨٧٨
(٢) التجارة في ٢٣ ديسمبر ١٨٧٨

المستخدمين المشهورين بالخدمات الصادقة ، ثم تعلق آمالها على مجلس شورى النواب في رفع المظالم جميعاً

والصحافة تشجع مجلس النواب وتعضده كما شجعها وجوده فهي تذكر أنباءهم كأهم ما يعنى المصريين من أخبار فتشر المقالة الخديوية والرد عليها وتبرز بعض التواحي في هذا الرد وتشير إلى الجمل القوية فيه مثل مخاطبة الخديو بأنهم « نواب الأمة المصرية ووكلاؤها المدافعون عن حقوقها الطالبون لمصلحتها » ثم يتحدث الكاتب عن مجلس النواب . . . « وهو السبب الموجب لنوال الحرية وهو الباعث الحقيقي على بث المساواة في الحقوق » ثم يذكر مجلس النظار المسئول أمام الأمة ويشير المحرر إلى جملة هامة صدرت من مجلس النواب إلى الخديو على اعتباره ملكاً لمصر المستقلة « ونعلن من صميم الفؤاد سرورنا وكمال ابتهاجنا بما تشرفت به مسامعنا من خطاب جلا لتسم ، ثم يقرر المحرر أن مقالة الخديو ورد النواب أوجداً جواً من الثقة وأحيا آمال هذه الأمة التي لا تزال راجية أن تمال شرفها التليد » الذي شهدت به التواريخ وأنبأت به الآثار ، (١)

وإن هذه التحية التي يلقاها مجلس النواب من الصحافة الشعبية لا تحملها على الشهاون في أمور البلاد إذا قصر المجلس في واجب من واجباته فهي تبث شكواها لظلم الموظفين الوطنيين وخاصة في السكة الحديدية وتبدي دهشتها من انصراف المجلس عن بحث مثل هذه الحالة فقد « كان بودنا أن مجلس شورى النواب الذي انعقد وضربت له المدافع أن يكون عن الوطن خير مدافع »

وهي إذا سخرت من المجلس والمدافع التي أطلقت له تأتي أن يهين أحد هذا المجلس وخاصة إذا صدرت الإهانة من أحد الوزراء الأجنيدين فتقول عن موقف ولسن من الأعضاء أنه لم « يعرض عليهم قضية كلية ولا جزئية فكأنه يظن أنهم

ليسوا من الأكياس أو أنهم ليسوا من الناس بل إنهم كالأنعام أو أنهم بكم
كالأصنام ، ثم تتجه إلى الأعضاء وتشجعهم قائلة « ففي هذا المقام الصعب الممتطى
الزلق المرتقى يجب على الأعضاء النزاهة والخدمة ، وارتفاع الأخطار لا يكون غالباً
إلا باقتحام الأخطار ، ثم تحمل على الوزيرين الأجنيين لأنهما تواطأ على
الازدراء بالمجلس (١)

وتمضى الصحف في تهية الأفكار وتفتيق الأذهان وتنتشر بين آن وآن
اقتراحات النواب أو لوائيمهم كما تسميها فتذيع مع التقدير والنشجيع اقتراح
محمود بك العطار وعبد السلام بك المويلحي إلغاء الضرائب القديمة دفعة واحدة
وفرض ضرائب جديدة لا ترهق الفلاح وليكن رئيس الحكومة لا يعترف
بحق النواب في ذلك ولا يرفضه أيضاً وتعرض جريدة التجارة هذه الحالة في
أسلوب عنيف وحجة قوية وتذكر في شيء من الفخر بأن هذا البيان ، بيان
النائبين علم الناس « أن في السويداء رجلاً سودتهم نفوسهم فلا تسام خسفاً
ولا تضام عسفاً » (٢)

ثم تعالج الصحف أسلوب واسن في الحكم وطرائقه في التفريق بين طبقات
الأمة وبذر عوامل الفتنة بينها بتفضيله قوماً على قوم ، هو يبسط السوط لجبي
الضرائب من الفلاح وهو عار تقتله المسغبة ثم يأذن « نصرف شهرين للعلماء
السكرام إجابة لسؤالهم » وترى الصحف هذه الفضيحة في سياسة وزير المالية
الإنجليزي وتعجب للعلماء من موقفهم « لأنهم لم يراعوا إلا أنفسهم ولم يسألوا
إلا إجراء أرزاقهم خاصة . وكان العهد بهم أن يؤثروا الغير على أنفسهم ولو
كان بهم خصاصة لو قوفهم موقف الرئاسة والإمامة وعلهم بأن الذين لهم أرزاق

(١) الوطن في ٢٥ يناير وأول فبراير ١٨٧٩

(٢) التجارة في ٣ و ١١ يناير ١٨٧٩

متأخرة في الرزنامة هم ما بين يتيم وأيم وزمن ومقعدو غيرهم من لا يستطيعون
حراكا لإصابة الرزق من غير هذا الباب ، (١)

في مثل هذا الأسلوب القوي عاجلت الصحافة المصرية شئون مصر متخطية
جميع الصعاب الرسمية من انذار وتعطيل مؤقت ، فتحدثت عن مساوىء الخديو
والوزارة النوبارية معا وهاجمت الأجانب ووزيرهم وشجعت مجلس النواب وأتاحت
له فرصة الظهور ومدت رجاله بالرأى السديد الموفق وناقشت أموره الفقهية كواجب
انتخاب رئيسه لا تعيينه وحقه في فرض الضرائب والمسئولية الوزارية (٢) . كما
بحثت في وجوب فرض الضرائب على الأجانب وخاصة الوزيرين اللذين يتقاضيان
سنة آلاف جنيه في السنة من شعب يتشدقون بإفلاسه ، غير فصولها الأخرى في
المسائل المالية الدقيقة كالدين الموحد والثقة المالية والنقد

مهما يكن قضاء المؤرخين في الوزارة النوبارية التي ضمت وزيرين أجنبيين فانها
صاحبة فضل على الصحافة الشعبية وهو فضل غير مباشر ، فقد تولى نوبار النظارة
طبقا لمرسوم ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ وهي أول وزارة في تاريخ مصر الحديث تحملت
المسئولية الوزارية ، والمسئولية الوزارية تستوجب الحذر أحيانا وتفترض سعة
الصدر فتعامل الصحافة « بالرفق والتلطيف وحسن اليأس » كما تقول جريدة
التجارة وخاصة أن الوزارة ضمت ناظرين أجنبيين وهي صدمة وطنية أحس أثرها
العامة والخاصة على السواء فقد كان المعروف أن الوزارة برمتها جاءت لتفرض الأزيمة
المالية يعني جاءت لتحمي مصالح الأجانب وترد اليهم أموالهم بشتى الطرق .

ولم يقف سلطان الوزيرين عند هذا الحد بل تدخلت في شئون الدولة جميعاً فبدأت
الصحافة تصور هذا التدخل بمقالات سياسية ذكرنا طرفا منها وكان لها أبعاد الأثر
في أعضاء مجلس شورى النواب فنشط نوابه وأخذوا على عاتقهم مهام لم تبجها لائحة

does not follow.

(١) التجارة في ١٨ مارس ١٨٧٩ (٢) الوطن في ١١ يناير ١٨٧٩

المجلس الأولى والكنهم تشجعوا بعد أن رأوا في الصحف قوة تنصرهم وتدفعهم
وتحميمهم فقد كانت لهم ، في هذه الأيام بمنزلة المصاييح في ظلمات الأحوال ، (١)
ثم أدت هذه الوزارة بأزماتها مع الموظفين ومشاكلها مع ضباط الجيش (٢)
إلى اتفاق بين الصحافة والحديو لم يكن مكتوباً أو منصوصاً عليه ولكنه كان اتفاق
مصلحة مشتركة اقتضتها الظروف القاسية على الطرفين ، فالحكومة تشجع الصحف
على إظهار ظلم الحديو ثم تشجع الفلاحين والسراة على كتابة العرائض فيما أصابهم
من غبن على يديه (٣) ويستقبل ريفرز ولسن هذا كله استقبالا حسناً ثم لا تخرج
الحكومة من ورطة الانتقع في أخرى وتنقلب الحال وتبدأ الطبقات شكواها من
العهد الجديد الذي ساوى العهد القديم في الظلم وزاد عليه أنه جرح الكرامة المصرية
بتعيين وزيرين أجنيين في بلد مستقل . وكان من أظهر الطبقات ضيقاً وتبرماً ضباط
الجيش الذين احيلوا إلى المعاش فهؤلاء مثلوا المصريين جميعاً بالظلم الذي وقع
عليهم والثورة التي قاموا بها ، وأثر عن هذه الحركة تيارات خفية وعلنية بين
المشايع والأعيان وبين الحديو وقامت الصحافة تمثل هذه الحياة الشائرة على الحكومة
والأوضاع المعمول بها فتذكر علو همة الضباط الثائرين وعدالة مطالبهم (٤) ثم
تطالب بوحدة الحكومة والشعب في برلمان يمثل الأمة كل التمثيل وأن تكون مصر
للمصريين وحدهم (٥) .

لم تفلح الحكومة المصرية برئيسها نوبار باشا ووزيرها الأجنيين في توجيه
حياة المصريين فأصبحت حالهم أسوأ مما كانت قبل تولية الحكومة النوبارية أمور
البلاد وضج البرلمان الانجليزي نفسه وصور المصريين في عهد هذه الحكومة
بأنهم أصبحوا بسياساتها مجرد أشباح (٦) وشاركته في ذلك الصحافة الانجليزية

-
- (١) التجارة في ٥ فبراير ١٨٧٩ (٢) الرافعي . عصر اسماعيل ج ٢ ص ٢٠١ - ٢٠٧
(٣) التجارة في ٢ يناير ١٨٧٩ وقد نشرت عريضة عمده بنى سويف عما فيه الناس من ظلم
(٤) التجارة ٨ و ١٣ مارس ١٨٧٩ (٥) التيمس ١٦ و ٢٨ ابريل ١٨٧٩
(٦) مضابط البرلمان الانجليزي المجلد ٢٤٤ ص ١٨٧٩ ١٨٣٨ - ٨٤١

وعلى رأسها التيمس إذ تقول « إن مجلس النظار يستبد بالأمر دون رئيس الحكومة الذي منح حكم بلاده ، والإدارة تنتقل شيئاً فشيئاً إلى أيدي الأوربيين والمناصب العالية مغلقة في وجوه المصريين مع أن مصر مهتماً بلغت بها الحال ملك للمصريين » (١) هذا حكم الانجليز على الموقف وهم أصحابه فلا عجب أن وزعت المنشورات ضد الحكومة وأعضائها (٢) واشتدت الصحف شدة لم يعهدها النظار فكتبت التجارة مقالا عنيفاً ضد ولسن لإغفاله مجلس شورى النوات فعطلت خمسة عشر يوماً واستقبلت أمر التعطيل باصرار على المعارضة « فان التجارة تحسب حب الوطن ديناً والمدافعة عنه جهاداً فان عاشت فيه فهي سعيدة وإن ماتت فهي شهيدة ولقد أتاه الله النعمتين وأناح لها الحسينين فعاشت به وماتت عليه وستبعث بعد أسبوعين رافلة في ثوب الشهادة مزينة بحلى السعادة على رغم أنوف حاسديها الذين أولوا كلامنا إلى ما لم نقصد وحاولوا إطفاء نور الحق ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المبطلون » (٣)

لم تستطع الحكومة النوبارية أن تواجه الحالة فاضطرت إلى الاستقالة وتولى توفيق باشا ولي العهد رياستها وأبقى الوزيرين الأجنبيين في مكانهما القديم وزاد سلطانهما بما منحنا من حق الفيتو على قرارات مجلس النظار (٤) بيد أن بنيان الحكم بقي متصدعا بالرغم من ولاية توفيق لرئاسة الحكومة . وقد استقبل مجلس شورى النواب الوزارة الجديدة أشد معارضة مما كان فرأت الحكومة أن تفض هذا المجلس ؛ وكان في وسعها أن تصنع ذلك دون أن يحس الرأي العام ما صنعت ولكن الصحف نفوت عليها هذا الغرض وتهاجمها وتنصر النواب وتشجعهم وتعلن موقف المويلحي عضو المجلس من عطفه لرياض باشا الذي حضر إلى المجلس ليفضه حتى إذا ذكر الوزير شكره للخدمات التي قام بها المجلس ذكرت الوطن موقف المويلحي الذي انبرى للوزير محتجاً بأنه لا معنى لتشكرات الحكومة

(١) التيمس في ٣ مارس عام ١٨٧٩ (٢) الاستاذ الامام ج ١ ص ٢٣٨
(٣) التجارة في ١٣ فبراير ١٨٧٩ (٤) Livre Jaune 1878 - 1879 p. 166.

فانهم - أى النواب - لم يسدوا مأثرة تنشر ولم يفعلوا شيئا يستحقون عليه الشكر والامتنان وأنهم مصممون على دوام انعقاد المجلس إلى آخر هذا الحوار البديع بين النائب والوزير . وقد أخذت الجريدة تعاق على ذلك كله وهى تلتبس للنواب مخرجا من الحرج الذى دفعتهم إليه الحكومة ، هذا الحرج الذى يحرمهم مواجهة ناخبيهم والتحدث اليهم فهم لم يفعلوا شيئا حقا ولم يقوموا بواجبهم المفروض عليهم أداءه . والجريدة ترى من واجبها أن تذيع على الناس ذلك الموقف « ليشهدوا المعركة بين الاستبداد والحرية » وليس هذا فحسب بل هى تعرض بقية الهيئات الأخرى على معاضدة النواب وتشجيعهم وتدفع الجماهير إلى شد أزهم ذاكرة أن مجلس النواب المصرى تهزأ منه الحكومة وتراه لا يعادل مجلس نواب البلغار مع الفارق الكبير بين البلدين وبين الشعبين وبين موارد كليهما ثم تطالب بتنقيح قانون المجلس القديم إن كان له قانون كما تقول هى ؛ على أن يراعى فى وضع قانونه ظروف الزمان والمكان كما ألحت فى إطلاق حرية الصحافة ومعاملتها كغيرها وسن قانون لها ينظم أمورها . (١)

لم تستطع حكومة ولى العهد أن تواجه الحملة الصحفية بحزم مع أن الحكومة جمعت أصحاب (الجرائد) وأكدت عليهم « بعدم درج شىء فى جرائدهم مما يتعاق بمجلس الشورى والأجانب » (٢) وليست الصحافة وحدها التى زلزلت الحكومة وطوحت بها بل للتخديو نفسه دخل فى ذلك وللمجلس شورى النواب نصيب غير منكور « فلم يعد هزوة فقد أظهر أعضاؤه أدلة كثيرة على وجودهم واستقلالهم » كما تقول التيمس (٣) ولم يمهل بعض أعضاء المجلس والأعيان الوزارة فأخذوا يحضون الجماهير على السخط على الحكومة فدعى بسقوط رياض وغيره من الوزراء فى المساجد والجوامع (٤) ثم اجتمعوا على هيئة « جمعية وطنية »

(١) الوطن ٥ ابريل ١٨٧٩ (٢) الرافعى - عصر اسماعيل ص ٢١٣

(٣) التيمس فى ١٥ ابريل ١٨٧٩

(٤) وثيقة رقم ١٠٥ ص ٦٥ Blue Books 1879.

ووضعوا مشروع تسوية مالية (١) وطالبوا بتعديل نظام مجلس شورى النواب على غرار المجالس الأوروبية (٢) وأقر الخديو وجهة نظر الوطنيين ودعا شريف باشا إلى تأليف حكومة وطنية جديدة (٣)

كان انتصار وجهة النظر الوطنية انتصاراً للصحافة المصرية التي ساهمت في ذلك مساهمة تحملت أثقلا وحدها من التضيق والإنذار والتغليق لذلك احتفلت بتعيين شريف باشا رئيساً للنظارة احتفالا عاما فيما خلا الأهرام فكان موقفها سلبيا في هذه الأزمات المتتالية فنشرت الصحف كتاب الخديو للقناصل الذي تضمن موافقته على اللائحة الوطنية وتعيينه لشريف باشا وأبرزت في إعجاب قوله « إن الأمة قد أجمعت على تنفيذ مقتضى هذه اللائحة ومعلوم لجنابكم أن الأمة إذا اتفقت كلمتها وإن على خلع ملك أو سلطان فلا بد من تنفيذ إرادتها واجابة رغبتها » (٤)

وعلقت الجريدة بخطورة هذا التصريح وصدقه في تقدير الخديو لقوى الأمم

(١) قال مكاتب التجارة في العاصمة في ٥ أبريل ١٨٧٩ بعد أن تحدث عن الجمعية التي انعقدت في منزل راغب باشا « وبلغنى أن جماعة من التجار وغيرهم وفيهم حضرة الفاضل أمين افندى شميل نزع بهم غيرتهم إلى تقرير أمر يحاولون به تخليص الوطن من أسر الدين في ظرف ثمانية وعشرين سنة وهو أنهم يفتتحون بنكا وطنيا يكون رأس ماله أربعة عشر مليوناً من الجنيهات يجمع من سائر أفراد الأمة على أقساط ثلاثة أو أربعة » ويقول في ١٧ أبريل ستكون إدارة البنك وطنية وسيعدل بنك إنجلترا ويغلق بنك فرنسا بستة ملايين ومن فوائده : (١) توطين الدين العام وبذلك تتقوى القرايطيس المالية في السوق : (٢) حصول الحكومة والبنك على كوبونات عشرة ملايين من غير مقابلة (٣) انتظام تجارة البلاد وزراعتها فيقبل الأهالى على المشروعات والشركات النافعة : (٤) استهلاك مقدار وافر من ديون الحكومة وبذلك تتخلص البلاد من الاستعباد الأجنبي . ولخترع الفكرة كما تقول التجارة مقالات أخرى سياسية واقتصادية هنا وهناك وهو أمين افندى شميل

(٢) التجارة في ٢٧ أبريل ١٨٧٩ (٣) الوقائع المصرية في ١٣ أبريل ١٨٧٩

(٤) التجارة في ٩ أبريل ١٨٧٩

وسلطانها ثم أخذت تصف حفلات الابتهاج بالحكم الوطني الجديد وترجو في الحاح « رجوع المجلس إلى ما كان عليه من الانتظام » (١) ثم مضت الصحف بعد تأليف النظارة الشريفة تعدد مآسى حكم الوزيرين الأجنيين وتفسح صدرها لأنصار الخديو فنشرت للشيخ « على الليثى منشىء الجمعية السنية » كما جاء في تقديمها له مقالا ضرب فيه على الحط من قدر الحكومة السابقة التي تعدت اختصاصها وسلبت من الوطنيين حقهم في تولى شؤونهم كما حيا الوطنيين الثائرين الذين صنعوا اللامحة الجديدة ثم يرد الفضل كله إلى الخديو وشجاعته (٢)

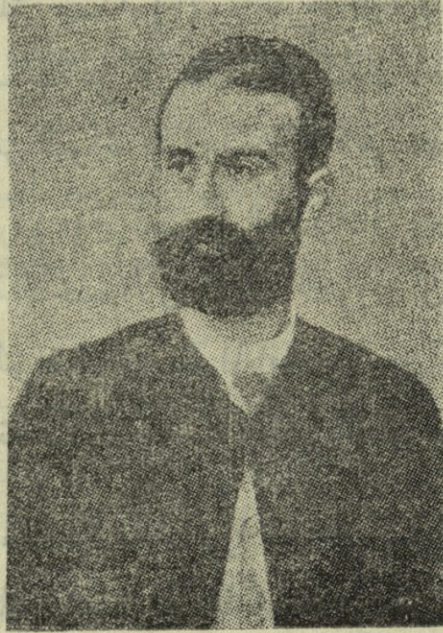
وإذا كانت الصحافة المصرية عبرت أحسن تعبير في تصوير هذه الفترة من الحياة المصرية حتى أصبحت لسان الحركة الناطق وجعلت من المصريين « أمة » كما يقول الخديو لها خلع الملوك وتولية السلاطين فإنها لم تنس حقوقها كما أدت التزاماتها من قبل فتحمل التجارة على الصحف المنشوعة للحكومة الأجنبية السابقة وتذكر ألوان الضيق التي ترتبت على وجود إدارتين للمطبوعات، أحدهما للصحف الفرنجية والثانية للصحف الوطنية « فإنهما على طرفي نقيض في معاملة الجرائد تلك تطلق لها العنان ولا تمارضها فيما تقول مع كثرة وقوعها في الحكومة وافترائها الكذب على الوطن وسعيها في افساد القلوب والثانية تقف بالمرصاد لوريقاتها القائمة بخدمة الوطن وتنوير بصائر عامته وتفكيكه خواطر خاصته مع صدورها عن الغيرة الصافية والحمية الخالصة ومع صدق ولائها وحسن طاعتها وغزارة فوائدها نقول هذا وفي القلب حزازات من انقسام إدارة المطبوعات شطرين متمايزين بخلاف ما هي عليه في الدولة العثمانية وسائر الدول في العالم المتمدن ولكن لاغرابة في هذا الخلل فهو من آثار الوزارة الساقطة » (٣)

ألحت الصحف في عدالة المعاملة وهي ترجو هذا من وزارة الأمة على حد تعبيرها فقد فرغت من ظلم العهود السابقة وهي تعلم أن خصومها وافقون بالمرصاد

(١) التجارة في ٣٠ أبريل ١٨٧٩ (٢) الوطن في ١٩ أبريل ١٨٧٩ (٣)

(٣) التجارة في ١٥ مايو ١٨٧٩

للشعب وصحافته فالأجانب وحكوماتهم ان يرضوا عن هذا النصر الشعبي الملحوظ في الموافقة على اللائحة الوطنية ، والخديو مهما يكن عطفه على هذه الحركات فهو لن يقبل انتقال السلطة من يديه وكذلك حال خصومها من الوزراء السابقين



اديب اسحق محرر جريدتي مصر والتجارة

وخاصة رياض باشا « الذي استعان بالنعمة على الكفران وجعل الجحود جزاء الاحسان فأغضب الامة بمسئليها ونصاراها ويهودها »

ثم يستقبل أديب اسحق محرر التجارة حكومة شريف استقبالا حسنا ويدافع عن سياستها في تحصيل المال لسد النفقات والديون ويذكر أن السكر باج لم يعد أسلوب جي الضرائب وأن الرئيس يجمعها « بالتشجيع على الدفع عن طريق الوطنية » ثم يطلب من المتخرجين الانزواء لأن الاستقلال والحرية اللذين يشتريان بالدم والروح يمكن بذل المال للمحافظة عليهما ، وهي تعرض ماقالته بعض الصحف الأجنبية في مصر شهادة منها لوطنية المصريين في دفع المتأخرات المالية عن رضا واطمئنان (١)

(١) التجارة ٣٠ ابريل ١٨٧٩

ولم يرض صاحبها الأهرام وصحفيهما عن سياسة شريف باشا والخديو
فيعارضها معارضة ملؤها العنف حتى صدر الأمر بإقفال الأهرام وصدى
الأهرام ومحاكمة صاحبيهما، ولكن الحكومة تعود فتجيز نشر الأهرام وحدها (١)
وتأبى الرجوع عن غلق صداه (٢) ولم تفرح التجارة وهي خصمها العتيد لهذا
الإغلاق فهو شيء يسوءها على كل حال لذلك كتبت تأسف على ذلك لعلها « بما
يترتب على الجرائد من الفوائد فإنها واحدة ثلاثة هي محور التهذيب نريد المدارس
والجرائد والتياترات » (٣) ثم تعقب في العدد التالي متجهة إلى أولى الأمر آملة
« من حكومتنا السنوية الآخذة الآن بأسباب الشورى أن تنظر إلى الجرائد بعين
الرفق ولا تمسها إلا بالتؤدة فهي واسطة المعاملة بينها وبين الرعية فإن فئدت وهي لسان
الحال فإن هيئتنا المدنية تكون خرساء لا تحسن النطق فضلا عن البيان » (٤)

فألصحف المشايعة للحكومة المصرية تغار على كرامة الحكم المصري فتجادل
خصومه بشدة ولو كانت صحفا مثلها كما أنها تأتي أن ينزل بدولتها عقاب قد يؤثر
عليها فيما بعد فتدافع عن الأهرام وصداه وتذكر أن اقفالها ساءها وتذكر المسؤولين
بفضل الصحف وضرورة الإبقاء عليها مع أن صدى الأهرام اتخذت موقف الخصم
من الخديو وحكومته ومالت إلى أنصار العهد السابق ونقدت تصرفات ولي النعم
فأصدرت الحكومة أمرها بإغلاق صدى الأهرام ولكن صاحب الأهرام لا يقر
السلطات على ما فعلت ولا يطيع أمرها ويمضى في جريدته يشهر بالخديو ويصفه
بأقبح الأوصاف ويعلن بأنه صرف مائة ألف جنيه من دم الفلاح فإذا قبض على
صاحبه وأغلقت الصحيفة احتجت القنصلية الفرنسية على هذا الأشد الاحتجاج (٥)

(١) محفوظات وزارة الداخلية ١١ - ٢ - ٩٤٦ جزء أول

(٢) أقفل صدى الأهرام لمقالة شديدة نشرها في ١٠ صفر عام ١٢٩٦ هـ

(٣) التجارة في ٢ مايو عام ١٨٧٩

(٥) Dossier N 44/4. محفوظات هابدين

(٤) التجارة في ٣ مايو ١٨٧٩

ومع هذا كله فإن السلطات المصرية تجيز لصاحب الأهرام بعدلأى أن يعرض عما فاته فتأمر بمنحه ترخيصاً لصحيفة جديدة هي جريدة (الوقت) اليومية السياسية وهي لا تختلف في شكلها وموضوعها عن أخواتها السابقات (١). ولم تكن الأهرام وصحفتها وحدها موضع المؤاخذه من الحكومة المصرية بل كانت لها زميلات من أهمها صحيفة الوطن؛ وللوطن في تلك الأثناء موقف يدهش له المؤرخ؛ حقا إنها لم تكن في يوم من الأيام خصما لرياض باشا ذاته وإن حملت على الحكومة التي كان عضواً فيها ووقفت منها موقف المعارضة الصريحة فكثيراً ما قرأنا مديحها لرياض باشا في أثناء وجوده في الحكومة السابقة مع مقال في نفس العدد ضد تلك الحكومة (٢).

والوطن على قدر مقالاتها الوطنية في حقوق الشعب واستقلال مصر نراها تدعو إلى صرف الجيش لخدمة الزراعة ثم تطمئن الجماهير بأنه «إذا أم مصر أحد بسوء دافعت عنها انكلترا وفرنسا فإنها تعتبر تحت حمايتهما» (٣) وهذا اتجاه لا يستقيم مع منطق المكفاح الذي كلفته. ثم تغير رسالتها الصحفية دون أن تكشف قناعها كشفاً يستوجب مؤاخذتها أو تعارض معارضة صريحة تبين مرماها واتجاهها الجديدين فلا تنشر مقالا من قلم أصحابها بل تزحم معظم صفحاتها بما نشرته الصحف الخارجية في الوزارة الجديدة وخديو مصر وهي أقوال بذينة جارحة لولى الأمر ومنبطة للعزائم الوطنية. وفطنت إدارة المطبوعات إلى قصدها فوجهت إليها إنذاراً على «نشر أخبار غير صحيحة دون أن يراعى فيها الحال والزمان... فإن الاستمرار على هذا السير في هذا الأوان مما يكدر الخواطر ويشوش الأذهان ولا يترتب عليه منفعة لأهل الوطن كما هو الغرض الأصلي بل ينتج منه ضرر بين يسبب تعلق الأفكار بما لا يعنى» (٤).

(١) محفوظات وزارة الداخلية ١١ - ٢ - ٩٤٦ جزء أول

(٢) كتب توفيق حبيب مقالا في مجلة سركيس ذكر فيه أن الوطن كانت لسان حال

رياض باشا (راجع محفوظات وزارة الداخلية دوسيه رقم ٤ مكرر) والواقع أنها

لم تكن لسان حاله لأن المثل التي دافعت عنها لا يهضمها رياض

(٣) و (٤) الوطن ٨ مارس و ١٩ إبريل ١٨٧٩

وليس الصحف العربية وحدها التي اضطرب موقفها هذا الاضطراب فانقسمت
أحزابا بل بينها صحف فرنجية كانت في أغلبها من خصوم الخديو وحكومته الجديدة
وفي مقدمة هذه الصحف الأجنبية في مصر جريدة لاريفورم (La Réforme) فقد
دأبت على تسفيه الرأي العام المصري ورواية الأخبار الكاذبة عنه وتشويه حركاته
السياسية السلمية فادعت أن بعض الذوات قد أمضى اللائحة الوطنية مقابل أربعة
آلاف جنيه على سبيل الرشوة وأن غيرهم من النواب ذهبوا إلى القنصل الانجليزي
يؤكدون له بعدم عن هذه الحركة وأن كثيرين من سراة الأقاليم وعيون مصر
أبوا التوقيع على هذه اللائحة مخافة أن يعود إلى مصر استبداد اسماعيل ، وردت
عليها (التجارة) رداً حازماً فكذبت كل ما جاء في مقال لاريفورم وحملت عليها
حملة شعواء (١) . ومن غريب المصادفات أن تكون مكاتبات القناصل لوزراء
خارجيتهم متفقة مع المعاني التي أعلنتها الصحف الأجنبية في مصر ، فوجد قول قنصل
إنجلترا عن جبي الضرائب بالسوط وإسراف المديرين الذين فصلهم ولسن في
جيبها واقتراض الفلاحين لتسديدها (٢) نجد هذه المعاني منشورة في تلك الصحف
وتكاد تقف جريدة (التجارة) وحدها في الميدان الوطني تقارع خصوم الوطن
من الأجانب والمصريين ومن صحف الأجانب والمصريين أيضاً ، تكاد تكون
وحدها لأن زميلتها جريدة (مصر) « هالكت في مقام الجهاد » (٣) في سنة ١٨٧٩
ولم نصادف جهادها لافتقارنا إلى أعدادها الضائعة ، ولم يشاركها في الدفاع عن
حقوق البلاد إلا صحيفة (مرآة الشرق) التي دافعت عن مصر المدينة « حتى انتبه
أهلها من رقدة الغفلة ونشطوا لإنقاذها من التهلكة متوافقين في الرأي متوائمين
على الثبات معتمدين على الحقوق الوطنية والإنسانية » (٤)

وإذا كانت الصحف المصرية في عمومها قد اعتنت بالنواحي السياسية التي شغلت
خاصة المصريين من السراة والأعيان وأعضاء المجالس النيابية كتفاصيل الانتخاب

(١) التجارة ١٠ أبريل ١٨٧٩ (٢) السكتب الزرقاء . وثيقة ١٥٦ مايو ١٨٧٩

(٣) مصر ٧ ديسمبر ١٨٨١ (٤) مرآة الشرق ٧ مايو ١٨٧٩

ولمن يكون الحق فيه من المصريين والشرقيين المقيمين في مصر (١) أو الاختلاف على لائحة المسيو تريكو التي تعارض اللائحة الوطنية (٢) أو تفاصيل المسألة المالية التي ناقشتها مناقشة العليم الخبير بأصول المال ومشاكله (٣) ، نقول إذا كانت الصحف اهتمت بهذه المشاكل المختلفة فإن (مرآة الشرق) كان لها اتجاه يختلف بعض الاختلاف عن هذه الصحف فقد عالجت (مرآة الشرق) المسائل الاجتماعية والسياسية في الخارج فناقشت المذاهب السياسية في روسيا « كالسوسيالست والنهليست أي حزب المساواة والكمون أي الإباحين » (٤) ثم تفصل أساليبهم وأغراضهم في أكثر من مقال ثم تعقب على ذلك بأن ظهور مثل مذهب الكومون مرجعه ظلم الراعي للرعية ، وتحميل على قيصر روسيا الظالم المستبد ثم تحمد للحكومة المصرية أنها قررت الشورى للبلاد « فجعلتنا آمين شر الفتن والفاتنين » . وتوجه في معارضتها اتجاهها اقتصاديا وهو غريب جداً في ذلك الزمن ، هي لا يعينها أمر البرلمان ولا تفاصيل الانتخاب بقدر ما يعينها أمراؤها الذين « في غفلة لا يرفعون رءوسهم عن وسائل الغرور ولا يقصرون عن تشييد القصور ولا يفيقون من سكر اللهو ولا ينهضون من حطة الإهمال ، نبدوا مصالح البلاد وراء ظهورهم ونحن آلة بيد غيرنا يستعملها لمنافعه الخاصة كأن لم يكن صانع العالم قد منحنا استقلال الوجود » ثم تعاتب الإنجليز على موقفهم من مصر ولا تفوت الحملة على الفرنسيين معهم . ثم يربط محررها إبراهيم اللقاني فساد الحال في مصر بفساد « أخلاق الأمراء وولاية الأمور وجهلهم بواجباتهم وسوء تدبيرهم واختلال إدارتهم لا يعرفون شرعا ولا يرضون قانونا ولا يسمعون رأيا ولا يقبلون نصحاً بل تعدوا الحدود وانتهكوا المحارم وثلموا الأعراس وحادبوا العدل وقاوموا الإنصاف فطغوا وبغوا ونهبوا وسلبوا وقتكوا واهتكوا حبا في أغراضهم

(١) التجارة ٩ يونيو ١٨٧٩

(٢) التجارة ٦ يونيو ١٨٧٩

(٣) الوطن ١٠ أبريل ٢٨٧٩

(٤) مرآة الشرق ٥ مايو ١٨٧٩

وكرامة لشهواتهم « ثم يواجه الرأي العام بأهم ما ينبغي أن يلتفت إليه الرأي العام في ذلك الوقت قائلاً « إنهم شادوا القصور وغرسوا البساتين واقتنوا الحور والولدان ، وتأنقوا في المآكل وتفتشوا في المشارب ، وزينوا الملابس وسحبوا مطارف العجب والخيلاء ، وأفراد الرعية على مرأى منهم حفاة عراة يتضورون جوعاً ويتلظون ظمأً ويموتون برداً ، (١)

اشتغلت الحكومة الشريفة بوضع دستور « على أحدث المبادئ العصرية وإن لم توات ظروف اسماعيل إعلانه والعمل به (٢) كما عنيت الحكومة بالحالة المالية وتسديد ديونها وأصدرت المراسيم في إبريل لتكفل طمأنينة الأوربيين على على أموالهم ؛ ولكن ذلك كله لم يرضهم فطلبت الحكومتان الانجليزية والفرنسية عودة الوزيرين الأجنيين إلى الوزارة ، فرفض الخديو ذلك وأحس الدائنون أن هناك خطراً على أموالهم في مصر ما بقي الخديو على رأس الدولة يشجع بذكائه وقوة إرادته الحركة الوطنية وصحافتها على منازلة خصوم مصر من الأجانب والمصريين جميعاً ، وارتبط هذا النشاط الوطني بدفاع الصحافة عن حقوق مجلس النواب في نظر الميزانية ، وأبى بعض الصحف الفرنسية إلا الحملة على الخديو وحكومته ولم تبد تركيا أى ميل لمعاوضة اسماعيل أو تشجيع الحركة الدستورية في مصر . ولم يبد على الأعيان والعلماء أى لون من ألوان الثقة باسماعيل وإن ناصروه في موقفه أمام الأوربيين ، ولم تكن الصحف تؤازره هو ذاته بل إن بعضها كمرآة الشرق دأبت على التعريض بأمراء الأسرة وحكام الأقاليم الذين عينهم اسماعيل ذلك لأن الصحافة كانت تمقتة ، فقد اعتبرته علة شقاء مصر وبلائها وتحديث في ذلك حديثاً مستفيضاً لما تم عزله في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ .

فأما (الوطن) فقد حمدت الله على عزل الخديو ونفيه وذكرت في ٥ يولييه أن الله « جلى عن الأمة الظلم والظلمة والغمة فشكراً لله على تأديبه لعباده ثم لطفه

(١) مرآة الشرق ٢٨ إبريل - واول مايو ١٨٧٩

(٢) الامرام في ١٣ يونيو ١٨٧٩

بهم وإزاحته للكروب عن قلوبهم ، ثم تتحدث عن رحيل الخديو وتعقب
قائلة « إن ألد أعداء هذا القطر هم الذين ألغوا لائحة ولسن وسعوا في عزله وعزل
المسيو دي بلنيار بل في عزل الوزراء الوطنيين أصحاب الرأي الناجح والعقل الراجح ،
ثم تحمل على الأعيان والنواب الذين سنوا لائحة وطنية تغاير لائحة ولسن ،
وتصور المصريين وهي في الحق تصور نفسها حين تزعم أنهم « ودوا أن يتخلصوا
من هذا الرياق ويفك عنهم هذا الخناق غير أنه نهض الحزب الوطني حسب وهمه
أن يخلص البلاد من الظلم والتهلكة » ثم تتم هؤلاء الوطنيين بأنهم « شردمة قليلة
من الناس ، وأخيراً تحمل على مجلس النواب الذي أيد اللائحة الوطنية فكانت
نتيجة تأييده عزل الخديو وتعلق على ذلك فرحة « نعم إنها نتيجة حسنة إلا أنها
رمية من غير رام ،

وتنشر (مرآة الشرق) في ٣٠ يونيو مقالا رائع اللفظ والمعنى معا تؤرخ به
عهد إسماعيل فهي تذكر ملكة الزاهر وبدايته الحسنة في تنوير الأذهان وخدمة
البلاد ولكنه أساء اختيار الرجال فوظف لحكومته « الأمين والخائن ووغل عليه
الصادق والمائن فبادروا الزرع قبل إبانته والثررة قبل نضجها ، ثم يذكر المحرر آثار
هذا الفساد الذي أخذ عليه حياته جميعا وخاصة في المسائل المالية « فكان كلما
تخلص من ناب ذئب وقع في مخالب أسد . . . فأنتهى أمره بانصداع العزيمة واشتداد
الأزمة ، ثم يعود إلى معاونيه ورجاله مرة أخرى « بمن قدمته الصدق وأعلته
الاتفاقات وهو على خشونة البداوة وقسوة الوحشية لا يرعى للقوانين حرمة
ولا للعهود ذمة » ثم يفصل دور هؤلاء في تسليم البلاد للأجانب « حتى كاد يتم لهم
الدست لولا بقية حمية في نفوس المتبصرين من أبناء البلاد ، ثم يعطف على توفيق
الخديو الجديد ويرجو أن تكون بطانته خيراً من بطانة أبيه وأن يطرد الذئاب
من الدولة ثم يلفت نظره إلى الإصلاح وفي مقدمته « نشر علم الحرية في الأفكار
والأقوال والأعمال » ثم توجه إلى الدول فتثنى على فرنسا التي كان لها دخل
في خلع الخديو وحالت دون استبداد إنجلترا بمصر « تلك الدولة الشرهة النهمة

ذات المحبة الذاتية المفرطة ، أما جريدة (التجارة) فتودع اسماعيل في آخريونية من غير إفراط في ذمه وإنما ترجو أن يعاد البناء العظيم ، على أساس الشورى وقواعد الحق ودعائم الحرية ، وقد ساءت سخرية الأهرام والوطن من الحزب الوطنى ومن رئيس النظار شريف باشا فاذا تعطلت جريدتا الأهرام والوقت بأمر الحكومة الشريفة لم تواسهما كما صنعت من قبل بل نشرت خبر تعطيلهما في مكان ظاهر منها وعلقت على الخبر قائلة إن ذلك التعطيل « أحدث عند الفئمة الوطنية سروراً زائداً » ثم ذكرت في خلال سطورها أنهما جريدتان لا توازان المتطرفين في سياستهم (١)

* * *

اهتمت الصحف الشعبية بالشئون السياسية اهتماما شغل معظم صفحاتها منذ الحرب الروسية التركية ، ويظهر تاريخها بين هذه الفترة وبين خلع الخديو اسماعيل في نشاطها السياسى وهو نشاط يستطيع مؤرخ مصر الحديثة أن يرجع اليه ويستقصى منه أحداث البلاد وهو مطمئن إلى صدق الرواية وسلامة التصوير بعد تمحيص غير عسير ، ثم خرجت الصحافة الشعبية من انزوائها بعد الحرب الروسية التركية تتحدث عن حياة الشعوب والجماعات في أوروبا والشرق حديث الناقل عن صحف الغرب الباحث في أمهات الكتب والمراجع بين حين وحين ، وأظهر من حمل القلم في هذا الميدان أصحاب الوطن والأهرام ثم الأفغانى وتلامذته في جرائد مصر والتجارة ومرآة الشرق وخاصة عن الشئون الشرقية التي تخصصت لها الصحيفة الأخيرة في الخبر والموضوع .

وإذا كانت السياسة قد استغرقت هذه الصحافة وشغلتها بالمسائل القانونية والفقهاء الدستوري فليس معنى هذا أن المسائل الاقتصادية كانت غفلا من الرعاية أو العناية فان الكتاب لم ينشئوا البحوث والمقالات في الأزمة المالية أو شئون

الدين فحسب بل فكروا يوماً من الأيام في الشؤون الاقتصادية العليا فقد رأينا
فكرة المصارف فكرة رسمية أرادها محمد علي وبقيت منذ عهد حديثنا رسمياً
لا دخل للشعب فيه بينما يظهر في عهد إسماعيل من يفكر في إنشاء مصرف وطني
فتصبح الفكرة فكرة شعبية (١) كان يرجي من ورائها لاسد الديون وفوائدها
بل خلق دعامة شعبية اقتصادية تسند حرية البلد واستقلالها ، والصحف أول من
نادى بها وألح فيها . ولا يقف فضل الصحافة الشعبية عند هذا الحد فهي تدعو إلى
تعليم الشعب وإنشاء الجمعيات الخيرية لتحقيق هذا الغرض ، وتفتح صدرها للأخبار
هذه المدارس الشعبية والجمعيات الخيرية وتحدث عنها وتصف حفلاتها وتقدم
للجمهور بالثناء رجالها ، وتجد جماعة مصر الفتاة وهي جماعة تكونت في نهاية
عصر إسماعيل للنهضة بشؤون التعليم ففتحت المدارس الليلية وتطوع شبابها لتعليم
الجمهير . (٢) وتلاحظ الصحف الشعبية الشؤون الداخلية الصغيرة فلا تغفل حادث
عمدة أو مأمور يتبين لها أنه لم يؤد وظيفته أداء حسنا وتشير على الحكومة
بجزائه وعقابه ثم تلفت نظرها إذا تداعت قنطرة أو غرقت أرض زراعية حتى
تقوم الحكومة برأب الصدع وسد المياه وتعويض أصحاب الأراضي الغارقة (٣)
ويتولى مكاتبها في المدن والاقاليم موافقاتها بمثل هذه الأنباء برقا وبريداً ، وبذلك
أصبحت الصحافة الشعبية رقيقة على الحوادث الصغيرة كراقبتها على الحوادث
الكبيرة . وقد خصصت هذا الصحف جزءاً منها لنشر بعض القصص المترجمة عن
الكتب الأدبية الفرنسية أو نشر الكتب التاريخية ككتاب الجبرتي أو بعض
الرسائل اللطيفة ، وهي في ذلك تقلد الصحف الفرنسية في مصر كما أنها حفلت
بالموضوعات الاجتماعية والعلمية والطبية (٤) والمقالات التاريخية وغيرها في

(١) التجارة ١٧٥٥ أبريل ١٨٧٩

(٢) التجارة في ٣ أبريل عام ١٨٧٩ (نفا عن مرآة الشرق)

(٣) الوطن ٢٦ أكتوبر ١٨٧٨ (٤) الوطن ٢١ نوفمبر ١٨٧٧

علمي النفس والمنطق (١) وقد جادل بعضها بعضها في هذه المسائل العلمية .
ومن أجمل ما حفل به تاريخ هذه الصحافة أنها كانت بعيدة أشد البعد عن
التعصب الديني ولم تبحث يوماً في موضوع يثير هذه الناحية التي تبرزت منها القضية
المصرية في ذلك الوقت ، وكان المصريون يشعرون بجانب هذه الصفحة الطيبة
أن الزعامة الصحفية لم تكن لهم لأن محرري هذه الصحف وأصحابها في أكثرهم
غير مصريين وهذا في الواقع مصدر من مصادر التصدع في الوحدة الصحفية
المصرية وكذلك كانت بعض الصحف المصرية أو المتمصرة تعتمد في حياتها على
التقنصلية الإيطالية أو الفرنسية أو الروسية ، ومن هنا ظهر هذا الخلاف العميق
بين هذه الصحف على مسائل مصر العليا وهي من الواضح بحيث كانت تستلزم
وحدة الغرض والاتجاه ووحدة الميول والآراء . وهكذا أصبح جزء من
الصحف يعيش مطمئناً إلى حماية تعينه على بطش الحكومة وأصبح جزء آخر
ضحية للسلطات المصرية وقانون المطبوعات ، لا تحميه سلطة من السلطات التي
دافعت وحمت غيره من سلطان العسف والاضطهاد .

وللصحف الشعبية فضل عظيم على نشر المطابع الحرة فقد أسس عبد الله أبو السعود
افندي مطبعة وادي النيل بحروف شديدة الشبه بحروف مطبعة بولاق ثم عاد
فأعد لها قاعدة جديدة تميزت بها (٢) وأنشأ صاحبها الأهرام مطبعة سنة ١٨٧٥
بقيت تكبر على الزمن حتى أصبحت من أكبر مطابع مصر والشرق جميعاً ،
وكذلك أنشأ كاستيلي مطبعة لجريدة (السكوكب المصري) وساعد الأفغاني
أديب اسحق في تأسيس مطبعة مصر لينشر جريدته وهياً له فيها حروفاً من حروف
المطبعة الأميرية (٣) ولا تتشاور المطابع من الأثر ما لا يمكن أن ينكر في تنقيف الأمم
والشعوب .

(١) الوطن ١٩ أكتوبر ١٨٧٨

(٢) الهلال ج ١ السنة التاسعة فأول مارس عام ١٩٠١ ص ٣٢٠

(٣) الاستاذ الامام ج ١ ص ٤٤ و ٤٥

الفصل الخامس

الصحافة المصرية خلال الثورة العراقية

عزل إسماعيل وبقيت آثاره كلها فالحكومة الشريفة قائمة بالحكم بعد تولية توفيق والأزمة المالية على ما هي عليه من الشدة والعنف والناس حيارى في أمر معاشهم مدهولون لقدرة الأجانب على خلع خديوهم، والصحافة تتولى وظيفتها فتشيع الخديو المعزول أسوأ تشيع وتستقبل الخديو الجديد أحسن استقبال فتذكر للمصريين أن نفوسهم ستطيب وأن عيونهم ستقر وأنهم سيتخلصون « بذلك الطالع السعيد من شرك الاستبداد وربقة الاستعباد » وأن الوطن سيسلم من « المصائب التي حاقت به من فساد الرأي وسوء التدبير وطاعة الأغراض والشهوات، وينجو من شرفة ألفت النفاق والتدليس وتعودت التملق والتلبيس وطبعت على الحسة والدناءة وسعت في بيع الوطن بأبخس الأثمان » (١) ثم تحوط الصحف الخديو الجديد على اختلاف نزعاتها وميولها برعاية لم يظفر بمثلا أبوه في أدق موافقه، بيد أن هذه الرعاية يملها الحس الصحفي الناضج العارف بواجباته الوطنية، فقد راوغ السلطان في إصدار فرمان التولية للخديو توفيق فهبت الوطن بنزعتها المعتدلة ومرآة الشرق بتطرفها المعهود تدعوان معاً إلى صدور هذا فرمان وتشكو معهما الصحف الأخرى هذا الإهمال الذي يبيده السلطان نحو هصر التي أدت له خدمات « تفوق طاقتها » وأن هذا الإهمال لقمين بأن

(١) ٢٧٨١ ج ٢ ص ٢٢٤

(٢) ٢٧٨١ ج ٢ ص ٢٢٤

(١) مرآة الشرق في ٢٦ يونيو ١٨٧٩

يسىء إلى علاقات البلدين « ويوهن من ارتباطهما » ويهيء سبباً للتدخل الأجنبي
لا في شئون مصر وحدها بل في شئون تركيا أيضاً وهو يفتح باباً ترجوا أن يوصد
فلا يضطر أمراء مصر إلى الاستنجاد بالأجانب لتقرير حقوقهم وحقوق بلادهم،
ثم تطلب في حزم أن يصدر فرمان مقررأ جميع الحقوق التي اكتسبتها مصر
بفرمانات سابقة. (١) وفي هذه الأوقات من تاريخ مصر العصيب يقف الصحفيون
أقلامهم لتأكيد حقوقها كما رأينا ويشدون أزر الوطنيين المتطرفين سواء في
المسائل الدستورية الداخلية أو المسائل المالية والخارجية، وتشرع صحيفتنا الأهرام
والوقت في معارضتهما القديمة للوزارة الشريفة، وترى حكومة شريف في آخر
الأمر أن تقضى عليهما فتأمر بإغلاقهما، ولكن بعض القناصل يتوسط في أمرهما
كما تقول التجارة ثم تعاق على خبر التعطيل والوساطة في أمرهما، بأنه موقف
موجب للأسف لأن صدور الأمر بإغلاق الجريدتين ليس عملاً قانونياً ثم إن
سرعة نقض الحكم وحل العقد ونهى الأمر على هذه الصورة غريب حقاً وأغرب
ما في الموضوع - كما ترى التجارة - هو تدخل قنصل من القناصل في موضوع
داخلي محض (٢). وقد ترتب على تدخل القنصل وحمايته للأهرام وأصحابها أن
أصبحت الجريدة لا نخشى قوى الحكومة أو تعنى بقوانينها أو تحسب لسلطانها
حساباً، ومضت في سياستها لا تلوى على شيء، وبرزت لها الصحف المتطرفة
تقارعها وتجادلها وتقذع في الحديث عن سياستها التي دأبت فيها على التهوين من
شأن الأسرة الحاكمة ورميها بالخشونة والجهل وعد أمرائها من الدخلاء
الأجانبين وتلش التجارة خلاصة لحملة الصحف على الأهرام فتعرض أقوال
(الكوكب المصري) لصاحبها أنزلو كاستلي الإيطالي التبعة ورأى مرآة الشرق
فيها (٣) وأن هذه الحملة على أصحاب الأهرام إن دلت على شيء فهي تدل على

(٢) التجارة ٨ يوليو ١٨٧٩

(١) مرآة الشرق ٢٣ يوليو ١٨٧٩

(٣) التجارة في ٩ أغسطس ١٨٧٩

هذا الوفاق بين الخديو الجديد وحكومته والصحافة المتطرفة ، وكانت الصحف من ناحيتها أكثر حماية لهذا الوفاق إذ تصف الخديو بالقداسة وحكومته وأنصارها بالوطنية ثم هي تنزه ولي الأمر عن الجنسية التركية وتعتبر ذلك شيئاً يمس في كرامته وهو اتجاه جديد لم نشهده في الصحافة إذا تحدثت عن الأمراء والخديوين .

وقد كان حظ الصحف الفرنسية في مصر من هذه الحملات الصحفية الشديدة ملحوظاً ، فلم تفوت الصحافة الوطنية المتطرفة لجريدة أجنبية فرصة التشهير بالإدارة المصرية بل ردتها وعالجت أمرها بعنف وقوة نادرين (١) كما أبرزت شهادة الصحف الأجنبية المعتدلة في الوطنيين المصريين كجريدة لاريفورم La Réforme المعروفة بانحرافها عن الحزب الوطني ، وتحمدها لشهادتها الطيبة وتقارن بينها وبين زميلاتها الأجنبية ، فرنجيات وعربيات . (٢)

على هذا النهج وصلت الصحافة المصرية كفاحها دون تراخ في الدفاع عن مصر وحقوقها منذ نهاية عهد اسماعيل ، غير أن الوفاق بينها وبين الوطنيين من ناحية وبين الخديو توفيق من ناحية أخرى لم يطل أمره ذلك لأن الخديو قد أصبح مديناً بكيانه الرسمي إلى إنجلترا وفرنسا ، فهو حريص على ودharma موات لقنصليهما في مصر ، والقنصلان في خصومة مع الوزارة الشريفة فلا غرو إن أبي الإصلاحات الدستورية التي رآها شريف باشا ، واضطر ناظر نظاره إلى الاستقالة (٣)

تولى الخديو رئاسة الحكومة بنفسه وألغى مجلس النظار وأعاد الرقابة الشنائية في ٦ ديسمبر عام ١٨٧٩ (٤) ثم رأى أن يقيد حرية الفكر فبدأ بطرد الأفغان من مصر - وكانا صديقين من قبل - ولكن الطرد جاء بإيعاز من قنصل

(١) مرآة الشرق في ٧ يوليو ١٨٧٩ (٢) التجارة في ١٧ يوليو ١٨٧٩

(٣) بلنت - التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر . ترجمة البلاغ ص ٩٦

(٤) الوقائع المصرية في ١٤ و ٣ أغسطس ١٨٧٩

انجلترا (١) ثم ألزمت الصحف جميعاً نشر خبر نفيه وادعت الحكومة « أن هناك جمعية سرية من الشبان ذوى البطش مجتمعة على فساد الدين والدنيا المضر بالبرية ورئيسها شخص يدعى بجمال الدين الأفغانى » ثم ذكرت له أقبح الأوصاف ، فأبعدت ذلك الشخص المفسد من الديار المصرية بأمر ديوان الداخلية ووجهته من طريق السويس إلى الأقطار الحجازية لإزالة هذا الفساد من البلاد » (٢) ولم يحتج أحد على نفي الأفغانى وهو زعيم له مقامه المقدر عند خاصة مصر ومفكرها وكان حظه من إهمال الخاصة كخط شريف باشا الذى استقال من أجل الدستور والحريات العامة فلم يثر من أجله أحد ، وقد نشرت الصحف جميعاً أمر الداخلية بنفى الأفغانى إلا واحدة (٣) ترجح أنها مرآة الشرق لأنها دون الصحف جميعاً قد خلت من خبر النفى ، ولأنها الصحيفة التى ذكرت الرجل أحسن الذكر وأشارت إليه صراحة وضمناً ، فأمر بتعطيلها خمسة أشهر « لأنها اعتادت الدخول فيما لا يعينها ونشرت مطالعات سخيفة مخترعة من تلقاء نفسها خرجت فيها عن حدود وظائفها » (٤) وهى الصحيفة الوحيدة التى عطلت عقب نفي الأفغانى وإن أذرت معها جريدة التجارة .

لم تطل رئاسة الخديو لمجلس النظار إذ عهد بالنظارة إلى رياض باشا فى ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ (٥) وكان رياض يرى الحكم البيروقراطى أحسن أداة لإنقاذ مصر فى ذلك الوقت ، وخصومته للتطرف فى رأى معروفة ، ومن عيوبه الظاهرة أنه كان أكثر حكام مصر طاعة للقناصل وهى طاعة جشمته المصاعب والأخطار (٦) وإلى رياض ينسب عهد إرهاب الصحافة ، ويتصل هذا الإرهاب

(١) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٧٨ (٢) التجارة ٢ سبتمبر ١٨٧٩

(٣) الاستاذ الامام ج ١ ص ١٧٨ (٤) الوقائع المصرية ٧ سبتمبر ١٨٧٩

(٥) الوقائع ٢٥ - سبتمبر ١٨٧٩ (٦) بلنت - التاريخ السرى ص ٩٧

بنظام الرقابة الشائبة وهو نظام يجعل للرقيبين من السلطان على شئون الدولة مايشل سلطة النظارة في جميع المرافق العامة غير الشؤون المالية التي تخصصها لها، ويكفي الا يكون للخديو حق عزلها إلا بموافقة دولتيهما لتتبين خطر الرقيبين في حياة مصر جميعا (١) وقد ساء الصحافة المصرية أن يمنع الخديو ورياض باشا هذا الخنوع المشين في رأيها لدولتي إنجلترا وفرنسا وكانت جريدة (مصر الفتاة) أول الصحف التي استهدفت الإرهاب وراحت ضحيته وهي لسان حزب بدأ يولد وحكم إسماعيل في الرمق الأخير، وهو يتكون من بعض اليهود (٢) كما يقول الشيخ محمد عبد: بيد أنه كان من العناصر المعارضة التي احتفت بها جريدة (مرآة الشرق) وآمنت بمبادئها الجديدة ودعت لها بالتوفيق يوم عزل إسماعيل (٣) واهتمت الصحف الأوربية بهذا الحزب وتحدثت عنه حديث البرم به الساخط عليه، وأهمها جريدة التيمس فذكرت أنه تقليد الحزب تركيا الفتاة وأنه جعل مبادئه صورة مطابقة لمبادئ الثورة الفرنسية من الحرية والإخاء والمساواة، وأن معظم أعضائه من أبناء الإسرائيليين الشرقيين الذين تولوا في مصر و صاروا من كبار الأغنياء (٤) وكانت الخصومة بين جريدة (مصر الفتاة) (٥) وبين الوطن خصومة ساحقة إن صح هذا التعبير فقد عجزت الوطن عن مجادلتها فكفت عن ذلك وأعلنت أنها في قصور إذا كان الميدان الشتم والسباب (٦). وكانت جريدة مصر الفتاة أول الصحف التي ثارت على توسيع اختصاصات الرقيبين فأندرت لحملة على الحكومة بهذه المناسبة (٧) ثم رأت الحكومة في نفس اليوم وبايعاز من الرقيبين

(١) الرافعي . الثورة العراقية ص ٤١ (٢) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٧٥

(٣) مرآة الشرق ٢٦ يونيه ١٨٧٩ (٤) الوطن ٢٧ سبتمبر ١٨٧٩

(٥) من شعارها « البعث عن حقوق كل إنسان فإكر » ومصر المصريين . وكانت

تصدر باللغتين العربية والفرنسية ومن محرريها أديب اسحق وقد أقامت الدعوى على

الحكومة أمام المحكمة المختلطة بعد أن أغلقها رياض باشا . (راجع طرازي ج ٣ ص ٥٧)

(٦) الوطن ١١ أكتوبر ١٨٧٩ (٧) لومونيتور إجسيان ١٧ نوفمبر ١٨٧٩

طبعاً أن الإنذار عقاب هين لا يليق بجرم الحملة التي قادتها الجريدة فصدر الأمر بتعطيلها تعطيلاً نهائياً « لنشرها مقالات وأخباراً عدتها الحكومة مهبجة للخواطر والأفكار » (١)

وعوقب أديب إسحق عقاباً شديداً لملته الصحفية على الأجنبي وعلى الرقيين والحكومة المصرية معهما ، وإصراره العنيف على ألا يتهاون في هذه الحملة فعملت جريدته « مصر والتجارة » بعد أن أنذرتا وقالت الحكومة في قرار التعطيل « حيث سبق صدور الإنذارات مراراً عديدة وتنبهت شفاهية من إدارة المطبوعات إلى أصحاب امتياز الجرائد الأهلية عموماً وإلى صاحب امتياز جريدتي مصر والتجارة خصوصاً بعدم خروجهم عن حدود وظائفهم ولا ينشرون ما يوجب تشويش الأفكار ، صدر له آخر إنذار بأنه إذا رجع لمثل ذلك فتلغى جريدته بالسكينة وحيث أنه بعد هذا الإنذار لم يترك مسلكه الأول لما نشره في جريدة « التجارة » نمرة ١٢٣ الصريح في أنه لا يرجع عما هو مصر عليه وحيث أن ما اعتادت على نشره هاتان الجريدتان ضرره أكثر من نفعه اقتضى الحال صدور الأمر من إدارة المطبوعات بألغائهما مؤبداً. » (٢) ثم مضت الحكومة الرياضية في خطتها نحو الصحافة فعملت جريدة (المحروسة) وذلك لأنها تحدثت مرراً عن الأجانب المقيمين في مصر وطالبت بفرض الضرائب عليهم ثم ذكرت أن إعفاءهم منها في عهد محمد علي أمر استوجبه الفائدة الحاصلة من وجودهم يومئذ ثم علقت على ذلك بقولها « ما من نظام أو قانون وضع في الدنيا وبقي نافذاً إلى الأبد فما كان ملائماً على عهد محمد علي باشا صار في هذا الزمان غير ملائماً » (٣) وبهذه وبغيرها من المقالات العنيفة أتاحت للحكومة فرصة تعطيلها خمسة عشر يوماً. (٤) وعكفت الحكومة على الصحف الأجنبية في مصر فرأت

(١) الوقائع المصرية ١٧ نوفمبر ١٨٧٩ (٢) عن الوطن ٢٢ نوفمبر ١٨٧٩

(٣) المحروسة ١١ سبتمبر ١٨٨٠ (٤) الوقائع المصرية في ٢٨ ديسمبر ١٨٧٩

X
الإنذار
بالتعطيل
النهائي
لجريدة
مصر والتجارة
في ١٢ نوفمبر ١٨٧٩
بمقتضى
الأمر
الصادر
من
الوزير
المصري
في ١٢ نوفمبر ١٨٧٩

بعضها يعطف على الأمانى القومية فأندرتها ثم عطلتها نهائياً كجريدة (لاريفورم La Réforme) وأغلقت مطبعتها بحجة أنها تنشر مقالات مثيرة للأفكار وكذلك أندرت جريدة (لوفار دالـكسندري Le Phare d, Alexandrie) (١) ثم أصدرت أمرها بحظر دخول جرائد النحلة وأبى نظارة وأبى سفارة والقاهرة والشرق إلى مصر (٢) وهى صحف مصرية فى الخارج .

(١)

وبينما تلقى معظم الصحف المصرية هذا العنف من الحكومة الرياضية هى وزميلاتها الأجنبية فى مصر نجد الأهرام فى معسكر الخديو حيث وجهات النظر متفقة منذ بعيد ، فالوقت على نقيض الصحف الأخرى تدافع بحماسة عن المراقبة وتوسيع اختصاصها وتزعم أن وجود الرقبين فى هذا الوضع لا يؤثر مطلقاً على الوزارة أو التزاماتها (٣) وهى ترى رياض المثل الحى للحاكم العادل الذى يضع الأمور فى نصابها (٤) وتعتدل الأهرام فلا تسرف فى المدح بيد أنها حريصة على تزكية القنصل الفرنسى الجديد « البارون دى رينك وكيل فرنسا السياسى » ذى الكفاية الممتازة وصاحب الفضل على تركيا فى شتى المواقف ، وهى تبشر المصريين بخيره وترجو أن يؤدى لمصر خدمات كثيرة . (٥)

كانت سياسة رياض باشا فى تناول أسلوب الحكم ومن أظهر أدواته الصحافة نقطة التحول التى بدأت فى أعقابها تأخذ الثورة العرابية طريقها إلى النضج والاستواء فقد عجز الناقدون عن التعبير عما يخالج شعورهم بعد أن خلقت صحفهم وكسبت أفواه الباقيات منها ، فكان طبعياً أن يلتمسوا فى السر ما عجزوا عنه فى العلن فذشروا فى نوفمبر أول بيان سياسى لهم حملوا فيه على مساوىء الحكم الخديوى وأسلوب رياض السياسى وضياع المصالح المصرية بين استبداد الحكومة وجشع

(١) لومونيتور اجبسيان فى ٢٦ و ٢٧ مايو ١٨٨٠

(٢) الوقائع المصرية فى ٢٨ ديسمبر ١٨٧٩ (٣) الوقت ٢٨ فبراير ١٨٧٩

(٤) الوقت ١١ يونيو ١٨٧٩ (٥) الأهرام فى ١١ مارس ١٨٨٠

الممولين الأجانب، وطبعوا هذا المنشور من عشرين ألف نسخة بحجز رئيس الحكومة عن معرفة كاتبه أو ناشره (١) ثم رأى هؤلاء الناقدون من الوطنيين كـشريف باشا وسلطان باشا وغيرهما أن يبرروا عن رغباتهم في صحيفة مصرية تصدر في الخارج، فأوعزوا إلى أديب إسحق أن يصدر صحيفته في باريس لتكون لسان حالهم على أن يتمكفوا هم بتوزيعها في مصر، وكانت الصحيفة شديدة اللهجة في معارضتها، وقد استطاع خصوم رياض أن يوزعوها بالرغم من سلطان رئيس الحكومة وبعيونه من رجال الإدارة. (٢)

لا يجوز لمؤرخ الصحافة المصرية في تلك الحقبة أن يسقط من حسابه حين يتحدث عن صحافتها التيارات المختلفة التي تفاعلت مع الصحافة وأنتجت حوادث الثورة العرابية وخلقت معها صحفاً أخرى هي أهم الصحف في هذا الفصل. وقد ذكرنا حادث الأفغانى ومشروع شريف باشا في وضع قانون أساسى لمجلس النواب، وشرحنا موقف مصر الفتاة والصحف المعارضة وما لقيت من العنت والإرهاب، وتحدثنا عن الرقيين واختصاصاتهما الواسعة، ويبدو أن رياضاً بعنفه والخديو ببطانته والأجانب بمرابيتهم تآزروا جميعاً على تهيئة الفرصة لإعلان التبرم بالحالة التي شهدتها مصر إذ ذاك، فقد شكوا الضباط من استئثار الترك والأرناؤود بالرتب والرواتب وشكا الخاصة من استبداد الحكومة وانصرافها عن كل فكرة دستورية وتعطيلها مجلس شورى النواب زهاء سنتين، ثم شككت العامة من ضيق العيش والضرائب المرهقة.

أجمعت الطبقات جميعاً على الشكوى واتخذ التبرم صورة عملية فثار الضباط « لتتنزيل وزارة رياض باشا وجعل الحكومة دستورية » (٣) وطوحت الحوادث بحكومة رياض وعاد شريف باشا إلى رئاسة النظارة بعد الثورة العسكرية

(١) John Ninet : Arabi Pacha p. 37 (٢) المصدر السابق ص ٤٨

(٣) العصر الجديد في ١٣ سبتمبر ١٨٨١ وهي إحدى صحف سليم حموى

المعروفة ، واستأمنه الجيش على حقوقه وأمنه الأعيان على طلباتهم وأهمها الدستور
وأكد لهم شريف « أن تشكيل مجلس النواب هو الوسيلة الوحيدة لما يقصده
من الإصلاح ، (١)

هدأت الأمور بعد اضطراب وبدأت مصر تشعر بلون من الاستقرار في عهد
الوزارة الشريفة وإن زها نجم الجيش وزعيمه أحمد عرابي ، فقد كان هذا الجيش
مثلاً بحق لشعور المصريين جميعاً لأنه الطبقة الوحيدة بين هيئات الحكومة التي غلبت
عليها مصريتها ، غير أن الزعماء العسكريين تنحوا عن الميدان مؤقتاً يراقبون
الإصلاح المنشود في حذر ، واستقبل الأجنبيات العهد الجديد استقبالا لا بأس به ،
ولم يحملوا على الجيش الذي « قوى ما في مصر من رأى عام » وأملوا في أن يقضى
العهد الجديد على مساوىء الحكم التي تفشت في البلاد ، وطلبوا الصبر والأناة من
أصحاب الديون حتى تتم الحكومة الشريفة إصلاحاتها فتصبح حقيقة واقعة لا
خرافة طالما تشدق بها دعاة الاستبداد . (٢)

وقد استقبلت الصحافة الوزارة الشريفة استقبالا حسنا جدا فقد جاءت بعد
أيام مظلمة من اضطهاد الرأى وكبت اليراع ، ونفست عن نفسها في أسلوب حاد
كانت حدته موجهة إلى الأجنبي خاصة ، فقد اعتبرت الصحافة أن الضيق الذى
لحقها مصدره الأجنبي ورقبها مما وقتلهم فحملت عليهم حملة قاسية ذكرها اللورد
كرومر في كتابه قائلًا ، أخذت الصحف العربية في أثناء ذلك تستثير حفظة
الأهالى على الأوربيين وأسلوبهم فى الحكم وتحرك التعصب الدينى ، (٣)

أما الحملة على الأوربيين فحقيقة تاريخية أحستها الحكومة الشريفة فأخطرت
الصحف بها ولفقت النظر اليها فذكرت أن «الجرنالات تعودت من مدة على الخوض
فى كلام يتعلق بالأجانب مع غاية الحدة وإظهار التأثير منهم والتغليظ بلاسبب ولا

(١) الوقائع فى ١٧ و ١٩ سبتمبر ١٨٨١ (٢) التيمس ١٠ يناير ١٨٨٢

(٣) كرومر ج ٢ ص ٢١١ (٤) لورد كرومر ص ١٠٦

موجب ، لا يراعون في كلامهم حالة البلاد المصرية وعلاقتها السياسية مع أنه لا يوجد في داخلية البلاد ولا في روابطها الخارجية ما يوجب اندفاع الجرائد المذكورة في هذا الطريق على وجه يوجب اضطراب الأفكار العمومية ويخدش الأذهان »
ويبين الإخطار علاقة مصر بالسلطان وواجباتها نحوه ، ثم يوضح حرص الحكومة على مصالح البلاد أمام الدول جميعا ، ثم تنذر الصحف « بأن لا تخرج في مقالاتها عن حد الاعتدال وألا تتعرض لشيء من الطعن والتشديد بأحد من معاهدتنا لا على وجه العموم ولا الخصوص » (١) فهجمة الأجنبي إذن حقيقة تاريخية أقرها إنذار الحكومة للصحف ، أما التعصب الديني الذي يذكره كرومر فتذكره مواقف الصحافة الوطنية خلال الثورة جميعا ، حتى إن إحداها ذكرت أنه لا يعنينا أن يكون على رأس الحكومة مسلم أو مسيحي وإنما يرضينا أيهما إذا جعل مصالح الوطن فوق كل اعتبار ، وهي تسخف سقم تفكير السابقين في تعصبهم للدين « ولسكننا أبناء هذا الجيل يعار علينا أن نسلك ذلك المنهج ونجعل الاختلاف في المشرب والتباين في العقيدة علة لعداوة مواطنينا الذين ليسوا على شاكلتنا في الدين مع كونهم مشاركون لنا في الجنسية والوطنية ، ثم إذا بقي شيء من أدران الأقدمين في نفوس العامة فعلى النبهاء الذين تمورت أفكارهم وعلووا أن ما أصاب الأقدمين من الضعف وما لحقهم من الشر مسبب عن تعصبهم للدين أن يدعوا الناس إلى ترك هذا التناؤد الذي لا خير فيه » (٢) . ويؤكد وجهة نظرنا في براءة الصحف من التعصب الديني أن إنذار المطبوعات لها لم يشر إلى هذا التعصب في كثير أو قليل ، غير أن الحكومة أرادت وقف الحملة مهما يكلف الثمن وهي سليمة الطوية تتميز بسمة شعبيتها ، وقد أصاغت لها معظم الصحف إلا جريدة (الحجاز) وهي صحيفة حديثة العهد بالحياة ، فقد أنشئت سنة ١٨٨١ لصاحبها السيد سراج إبراهيم المدني ، إذ استمر صاحبها في حملته على الأجانب حيث كان يطعن في الدول

(١) مصر للمصريين ج ٤ ص ٢٠٧ (٢) المفيد ٢٤ أكتوبر ١٨٨١

الأجنبية طعنا غير أدبي ويسقط عند الكلام في شأنها بما لا يليق وكثيرا ما طلبناه ونهنا عليه وشددنا في الأمر وحذرناه من الرجوع إلى مثل ذلك... فلم يرتدع ولم ينزجر... ثم خالف المنشور العمومي الذي بعث به إليه وإلى جميع أصحاب الجرائد العربية إلى أن أتى في عدده الأخير بأزيد مما حذرناه منه مرارا، فمن أجل هذا صدر قرار مجلس النظار بإلغاء جريدته لغوا مؤبداً، (١)

والحكومة إذا حزمت أمرها في تهدة الحالة بإغلاق الصحف المتطرفة وهي كما نعلم حكومة شعبية قد تؤاخذ على مصادرة حرية الرأي بيد أنها حريضة على مصلحة مصر وإن أدى ذلك إلى تعطيل الصحف، وهي كذلك تأتي على الصحف الأجنبية في مصر أن تسيء إلى المصريين ومشاعرهم الدينية، فقد نشرت جريدة (ليجيت L, Egypte) في ٢ أكتوبر ١٨٨١ مقالا عرضت فيه بالنبي محمد، فهاجت لذلك الصحافة المصرية ولقتت النظر إلى هذا المقال فصدر الأمر بتعطيلها (٢) وحاول صاحبها أن يحتج بالقنصلية الفرنسية غير أن حزم الحكومة حال دون هذا التدخل (٣) وذكرت المحروسة في ابتهاج شديد نبأ إغلاق جريدة (ليجيت) وموقف الحكومة المشرف من القنصل الفرنسي الذي نصح لصاحبها بمغادرة البلاد (٤)

بدأت الصحف بعد أن تحررت من قيودها توجه المطاعن تلو المطاعن إلى إجحاف نظام الضرائب الذي وضعته المراقبة الأوربية فأعفت الأوربيين منها ولقت العبء كله على كاهل الوطنيين، كما أنها أنحت بأشد اللائمة على كثرة تعيين الفرنسيين والإنجليز في الوظائف ومنحهم المرتبات الباهظة (٥) وهي شكوى قديمة

(١) الوقائع المصرية ٨ نوفمبر ١٨٨١

(٢) الوقائع المصرية ٢٩ نوفمبر ١٨٨١

(٣) الراهي - الثورة العراقية ص ١٦١ (٤) المحروسة ٧ نوفمبر ١٨٨١

(٥) بلغ عدد الموظفين الأوربيين ١٣٢٥ موظف بلغت مرتباتهم المنتظمة ٣٧٩٠٥٦ جنيتها (٦٧ ص ١٨٨٣)

حديثه ، ثم راحت تطلب حياة الشورى لمصر والتعليم لأبنائها ، وفي ذلك يقول حسن الشمسي وهو من ضحايا العهد الماضي ، إنه سينهى دور صحيفته (المفيد) حينها ، يأتي يوم يقال فيه تذبذبة الغافل وتعلم الجاهل وغلت يد العادي وردت الحقوق لدونها وسلمت الأرض لبنيها ، وهو يتحدثنا عن صحيفته وهي إحدى الصحف المعبرة عن الحزب العسكري بأن ظلم المستبد حال بينه وبين التبكير في إصدار هذه الجريدة وذكر أن الصحف الباقية « إنما سارت الظالم وغيرها سقط في ميدان الشرف والجهاد ، وأنه فضل التعطيل على النهوض في ظل الظلمة المستبدين . (١) .

وتعتبر جريدة (المفيد) من خيرة صحف الثورة فقد دأبت على نشر افئدتها عن مصر ومشاكلها في أسلوب وطني عنيف ، ولصاحبها مقالات رائعة عن الاستقلال والحرية بعنوان « محاوره سياسية » (٢) وكان طبيعياً أن يعنف محرر (المفيد) في مقالاته وهو لسان جامع من أسنة الثورة وكان طبيعياً أيضاً أن تبرم به حكومة شريف لأنها ترجو الهدوء والاتزان ، لذلك جمعت في معاملتها المفيد اللين والشدّة معا لترضى الوطنيين والأجانب على السواء ، فعطلت (المفيد) أسبوعين فحسب وبذلك أَرْضت الدوائر الأجنبية ثم أَرْضت الدوائر الوطنية بهذا العقاب الهين ، ويظهر قدر (المفيد) بين صحف العصر من حزن زميلاتها على تعطيلها فقال كاتب (المحروسة) « ساءنى صدور الأمر بتعطيل جريدة (المفيد) أسبوعين فإن محررها في الجريدة نير الفكر قويم المشرب لا يظهر بما يخالف المصلحة أو يخرج عن الحد . . . وفي مأمولى أن (المفيد) يصدر من بعدها بمزيد الفائدة ويكون فى مقدمة الجرائد الداعية إلى الوحدة الوطنية الناهية عن الإحن والعداوات المذهبية العاملة على علم بأحكام الحرية » (٣) .

وبينما تلقى الصحافة الوطنية المتطرفة من الحكومة الشعبية هذا الحزم نجد

(١) المفيد ٥ أكتوبر ١٨٨١ (٢) المفيد فى ١٢ ديسمبر عام ١٨٨١ وما بعده

(٣) المحروسة فى ٧ نوفمبر عام ١٨٨١ واسكندرية فى ١١ نوفمبر عام ١٨٨١ وكذلك أنذر

مجلس النظار جريدة الوطن يوم عطل المفيد (١٨٨٢)

(الأهرام) تنجنب هذه المشا كل بالانصراف عن شئون مصر الهامة وتعنى بنشر
الكتب والمقالات الطوال عن البوسنة والهرسك والروسيا والمانيا ، وهى إذا
عطفت على الشئون المصرية فانما تنقل ذلك عن الصحف الفرنسية والانجليزية ،
ثم ينقل المحرر رأى الحكومتين الانجليزية والفرنسية فى الحركات السابقة على
تأليف الوزارة الشريفية وموقفهما الجديد « لسكنج كل حركة » وهى تنذر العرايين
« وسعادتو احمد بك عرابى » بالذات (١) . وقد عمدت الأهرام إلى التحدث
عن أوروبا وتقدمها من الناحيتين المادية والأدبية ، وقابلت بينها وبين تركيا ، فأفرطت
فى ذكر مساوىء الأخيرة ، ثم نقلت عن صحف لندن حملات على الباب العالى
وفى الفاظها ما لا يليق أن ينشر فأبدرتها الحكومة مرتين (٢) أما تدخل الدولتين
« فى الأعمال المصرية وما كان له ونشأ عنه » فعندها أن « فوائده جزيلة ومنافعه
عميمة » لأنه وقف تصرفات سيئة كان يجيزها المسئولون المصريون وأن السواد
الأعظم « مقتنع كل الاقتناع بحسن النتائج وواثق كل الثقة بما وراء العمل المتفق
من النجاح ، وقد أيدت له الحوادث هذه التصورات فزاد اقتناعاً وثقة ، ثم تعطف
الأهرام على الفرنسيين وتبرىء ذمتهم مما يتهمهم به المغرضون « فليس من يجمل
منا أن الدولة الفرنسية لا تقصد أمراً ولا ترغب شيئاً فى مصر » (٣)

وإذا وجد الوطنيون صحفا تعطف على أمانيتهم وتدعولهم وتعتبر عن أغراضهم
وإذا وجد الأجانب أو الانجليز والفرنسيون بمعنى أوضح صحفا تعترف لهم
بالفضل وتذكر أيادهم البيض على مصر ، فإن للتخديو فى هذا التيار الجارف من
النشاط الصحفى قدر محدود ، فقد أنشأ معوض فريد فى مدينة الاسكندرية مجلة
أسبوعية سماها (البرهان) فى سنة ١٨٨١ ويحررها الشيخ حمزة فتح الله اللغوى

(١) الأهرام فى ٨ اكتوبر عام ١٨٨١

(٢) الأهرام فى ١٢ فبراير عام ١٨٨١ والحروسة فى ١٤ يناير عام ١٨٨٢

(٣) الأهرام فى ٢٦ فبراير عام ١٨٨١

المصرى المعروف ، والبرهان تعان بأنها صحيفة السراى وتفخر بذلك كل الفخر
فقد حلت صحيفة البرهان من أعتابه العليا محل القبول ، وأن جنابه الفخيم يكاد
يستوعبها تلاوة ، وأنه أمر بأكثر من ثلاثين نسخة اشترا كالجمعية السنية ، والخديو
عند المحرر آية من آيات الدهر فاذا رأيت « ألفت في حياها ما يجذب إلى التسييح
الأفواه ، لا سيما إذا ترقرق ماء البشر في عزته ، وتفتق نور المجد من أسرته ،
وإذا كانت الصحافة العربية المصرية جميعا على اختلاف مشاربها تحبذ الشورى
وتدعو لها وتأبى الظلم وتحمل على الاستبداد فان الشيخ حمزة فتح الله يقول بغير
هذا في مقال ضخم بعنوان « الشورى ومجلس النواب المصرى » ، وذلك على أيام
من افتتاح هذا المجلس « نحن وإن كنا نعلم ما يترتب على الشورى من الفوائد
العميمة والمنافع الجسيمة وما ينجم عن التفرد بالرأى من سوء العاقبة ، غير أن
ذلك لم يكن يمنعنا من إبداء ما نراه من الملاحظات فى الأمرين كليهما ، أعنى الشورى
والتفرد بالرأى المعروف بالاستبداد ، فأما الشورى فانها وإن كانت بمدوحة عقلا
وشرعا بما ورد فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة فى غير موضع إلا أن ذلك ليس
على معنى أنها واجبة حتما على أولى الأمر ، بحيث لا تمضى بدونها بيعتهم ولا تنفذ
أحكامهم ، لأن هذا ما لا يقول به أحد ، بل إن مبلغ العلم فيها أنها من الأمور التى
ندبت إليها الشريعة المطهرة من قبل أئمة مكارم الأخلاق . ثم يمضى الكاتب
مبيناً وجهة نظر المعارضين للشورى « وأما الاستئناس بأن الخليفة الثانى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه قد ترك الأمة شوروية فهو غلط ظاهر ، ثم يستمد صورة
الملوك من العصور الوسطى ويدعو لها قائلاً « ألا وإن الملوك ظل الله تعالى فى
أرضه ، لا يجوز الخروج عن طاعتهم ولا البغى عليهم ولا تخاف ذمتهم ولا تنكث
بيعتهم ولا ينقض عهدهم فى حال من الأحوال اللهم إلا بكفر صريح لا يشمل
التأويل » (١)

في هذا القلم الرجعي أيد الشيخ حمزة الرجعية المصرية في وضوح لا يقبل الشك أو التأويل، ولا يرضى الصحفيون المصريون هذه النعمة بل ترد جريدة (مصر) لصاحبها أديب اسحق - وقد عاد من منفاه في باريس وأصبح ناظراً لقلم الإنشاء والترجمة بديوان المعارف - ترد على هذه الأقلام مادحة الديمقراطية المصرية الجديدة فقد نشر الكاتب في آخر ديسمبر ١٨٨١ بمناسبة افتتاح مجلس النواب مقالا يدل دلالة بيّنة على الغرض منه، وهو غرض مزوج بتقديس الشورى والفرحة الصادقة بالعهد الجديد، ذكر مفتتحاً مقاله بيت من الشعر:

صفحة لصفحة الدهر عن هفواته إن كان هذا اليوم من حسناته

« كيف لا وهو حاجة النفس وأمنية القلب منذ توجه الخساطر إلى السياسة الوطنية وانصرف العزم إلى إحياء الهمم وانعقدت النية على حفظ الحقوق واتحدت الوجهة في القيام بالواجبات، وهو النشأة التي كست الوطن رداء الفتوة قشياً. وهو البغية التي غرست للأمة غصن الأمل رطيباً. وهو ما رجونا زماناً ودافعنا الزمن فيه. وتمنيناه أعواماً وغالبنا الحدثنان عالية » ثم يقول « فيا حسنه من يوم رد فائت البهاء وأحيا مائت الرجاء. وأعاد شباب الأمة، وسدل ستور النعمة، وأظهر مقاصد الأمير وأبدى مساعي الوزير، وقضى لبانات النبهاء وحقق أمانى النزهاء، فلا زال مشرق الشمس مرفوع لواء الأئس، منقوشاً على صفحات الصدر بأحرف من نور على توالى الأيام والدهور ». وأديب اسحق يعبر في هذا المقال وفي غيره أصدق التعبير عن التيارات الفكرية التي تخالف تفكير حمزة فتح الله ومن على شاكلته. وهو يشتد على هؤلاء الرجعيين الذين يسفنون الرأي الحر كما يقسو على أبواق الأجنيبين من أصحاب الصف العربية الذين يعيون على الوطنيين تطرفهم « فالحزب الوطني غير متعصب إلا لوطنيته، والحزب الوطني غير معاد إلا للخائنين يروم إحياء مصر لسكان مصر وترومون إمامتهم جميعاً بأيها اللؤماء، ويريد أن يكون المصري في مقام الانسان مستقلاً بوجوده متمتعاً باستقلاله فائزاً بحقوقه

نظام السياسة

ال
منه
تتبع
بها

X

ناهضا بواجباته ، وتريدونه بمنزلة الحيوان يساق للحرث فإن عجز فللسخ ، ويطلب أن يكون الوطني آمنا في داره مساويا لجاره يستغل زرعه ويستدر زرعه ، وتلتمسون أن يكون غريباً في آله مصادراً بماله يطعم من يحرمه ويؤمن من يروعه ويحفظ من يضيعه ويصون من يبيع ، (١)

ووسط هذه المسائل العامة التي فرغت لها الصحف المصرية لم تنس أن لها حقوقاً فأخذت تفكر في حالها وما لها ، فالمطالبة بقانون للمطبوعات ينظم أمورها من أغراض الصحافة المصرية منذ أيام أسماعيل ، فلا غرو إذا تحدثت عنه اليوم والجت في المطالبة به . وهي تختلف في شأنه ، فبعضها يريد قانوناً حراً (كمصر) وغيرها وبعضها يريد صورة رضاها الشيخ حمزه فتح الله في مقال له عن (اليراع) (٢) وبعضها يرجوه وفيه من التضييق ما يلزم بالتمت ، وأكبر الظن أن المحرر - وهو هنا سليم النقاش صاحب (المحرسة) لم تسعفه ثقافته الضيقة بهضم المعاني الحرة الموجودة في القانون المطلوب ، فقد رأى أن يكون في التشريع ما يضطر الصحف إلى الاعتدال ، وأن تراعى فيه حالة البلاد وأطوارها الأدبية والسياسية ، وأن يحول القانون دون حرية الصحافة في شئون مصر الخارجية وخاصة ما اتصل بالدول الصديقة ، وهو يرجو ألا يستمد القانون أصوله من القوانين المعمول بها في فرنسا وانجلترا الآن عقلاء البلدين يشكون الحرية في هذين القانونين (٣)

ومهدت الحكومة لقانون المطبوعات بأن ضمت المطبوعات الفرنسية إلى العربية في إدارة واحدة ، وتساوت بذلك الصحف جميعاً في الحقوق والالتزامات (٤) ثم صدر قانون المطبوعات المصري في ٢١ نوفمبر ١٨٨١ وهو أول تشريع للصحافة يرتب شئونها ويحدد واجباتها ويعلن حقوقها ، وإلى أن يحين وقت الحديث عنه مفصلاً نذكر للتمس كلمة قالتها فيه تجمل الرأي عنه ، فهو عندها قانون شديد

(١) مصر ٢٩ يناير ١٨٨٢ (٢) البرهان ١٠ نوفمبر ١٨٨١

(٣) المحرسة ٧ نوفمبر ١٨٨٩ (٤) المحرسة ١٥ نوفمبر ١٨٨١

وهو أسخف من أن ينفذ (١) وقد أشارت إلى شدته الجريدة الفرنسية الرسمية في إحدى المناسبات (٢). وقد أصدرت حكومة شريف قانون المطبوعات ولم تطبقه على صحيفة من الصحف العربية بالرغم من صفة النزمت والتضييق الغالبة على معظم مواده، بيد أن جريدة (La Gazette Des Tribunaux) كانت الجريدة الفرنسية الوحيدة في مصر التي أنذرت بمقتضى هذا القانون في ٧ يناير عام ١٨٨٢ لخصها في المسائل السياسية دون أن يبيح لها ترخيصها ذلك، ثم لأنها استعملت الترميمات المنطوية على سوء القصد، (٣). وفيما عدا هذا الانذار بقي القانون معطلا عن أداء وظيفته في جو مملوء بالأحداث الجسام.

مضت الحكومة الشريفة تؤدي وظيفتها أحسن الأداء، وأفسحت صدرها للملاحظة والنقد؛ سواء من أعضاء المجلس أو من صحافة مصر، هي لا تنذرهما ولا تعطلها إلا مضطرة، وكادت تستقيم الأمور لها وتمكن الحياة الدستورية من التأصل والاستواء لولا أن هذا النجاح لم يرض الرقيين الأجبيين ولم يرض قنصليهما فإذا الأخير ان يخلقان أزمة فجأة غير مناسبة، فقد انتهزت الحكومتان الانجليزية والفرنسية فرصة انعقاد مجلس النواب فأرسلتا في يناير مذكرة مشتركة تعلنان فيها تأييدهما للخديو واستعدادهما لهذا التأييد بشقي المظاهر (٤). وكان لهذه المذكرة أثرها البعيد في تطور الحوادث وانتقال الثورة من اليمين إلى اليسار فقد رفضتها الحكومة وبلغت القنصلين هذا الرفض (٥) ثم أرسلتها إلى الباب العالي مع وجهة النظر المصرية ثم نشرت المحروسة رأى الحكومة العثمانية الذي وجهته إلى سفير إنجلترا وفرنسا وتبدى فيه سوء الاثر الذي حصل لها من جراء هذا العمل، وبعد أن ذكرت الجريدة محافظة الدولة على مصر وامتيازاتها وأن

(١) التيمس ٨ نوفمبر ١٨٨١ (٢) المحروسة ٧ يناير ١٨٨٢

(٣) الوقائع المصرية ١٤ يناير ١٨٨٢

(٤) Livres Jaunes 1881 - 1882 N 42.

(٥) Livres Jaunes 1881 - 1882 N. 28.

الشعب المصري هادى، وسعيد بحالته أبرزت كل هذه المعاني في قول الباب العالى
« وفي ظننا أنه يستحيل إبداء أقل الأدلة على ما ينافى ذلك أو الاستشهاد بأى حادث
داخلى متعلق بمصر يكون داعيا لإصدار مثل هذه اللائحة المذكورة، وبناء على ذلك
لازى شيئا مما يقتضى باستصواب ما أجرته الدولتان من تقديم تلك اللائحة لسمو
توفيق باشا» (١) وقد أخفقت المذكورة فى أثرها المطلوب فى مصر وتركيا ولكن
الدولتين أبتا إلا خلق المشاكل؛ فأرسل انفصلان بإيعاز من المراقبين الأجنبيين
يطلبان الحد من سلطان البرلمان فى تقرير الميزانية « ولما هو معروف عن مجلس
النواب من عدم الخبرة ومن ميوله العدائية نحو العنصر الأوروبى فى الحكومة » (٢)
وهو تحد ظاهر لأهم وظائف المجالس النيابية لم ترض عنه صحف مصر وحملت
على إهانة النواب المصريين حملة شعواء (٣)

وقد اضطرت الوزارة فى آخر الأمر إلى الاستقالة بعد أن رفض النواب وجهة
نظرها، فقد كانت ترى وجوب عمل الميزانية بموافقة المراقبين الانجليزى والفرنسى
ورقابتهما، والنواب لا يرون هذا الرأى ولا يقرون هذا التدخل، وقد علقت
(المحروسة) على الموقف برمته بأن الخديو والنواب وعامة الناس قد اعترفوا بالدين
وفوائده فليس من العدل حرمان المجلس التشريعى من أهم اختصاصاته وهى إقرار
الميزانية ما دام أمر الدين فيها ان يمس (٤) ولكن صحف القنصليتين الفرنجيات حملت
على الوطنيين وخاصة (الأجيشين جازيت Egyptinn Gazette) حملة عنيفة
تولت الصحافة الشعبية الرد عليها دون الحكومة التى شغلت بالالزمة عن كل شىء
وناقشتها وبينت مواضع الجور فى عمل الدولتين وظلمهما لمصر، هذا البلد الذى
يكرم الأجنب وهم يسيئون إليه، ثم عاتبت فى عنف الصحف الأجنبية وعلى

(١) المحروسة فى ٢٨ يناير عام ١٨٨٢

(٢) Livres Jaunes 1881 - 1882 N. 34, 38

(٣) مصر والمفيد فى أوائل نوفمبر عام ١٨٨٢

(٤) المحروسة ٤ فبراير ١٨٨٢

رأسها (الأجيشين جازيت) التي تؤكد للوطنيين وتزعم بعضهم للدين وحملتهم على المسيحيين، ونفت هذه السوءات عنهم وأكردت بعدهم عن التعصب في أمور الدنيا أو شئون الدين (١) ثم ساءمت الصحف الأوربية في لندن وفي باريس في هذه الحملة على المصريين ومجلس نوابهم وحكومتهم فيما خلا محرر التيمس، فكان رجلا واسع الفكر ملماً باللغات العربية وآدابها، وكان معتدل الرأي في المسائل المصرية فلم يرها كغيره من الصحفيين لا تعنى غير بورصة لندن، وكثيراً ما فتح صدر التيمس لآراء الوطنيين المصريين، غير أن هذا العطف من مستر شسنى المحرر بالتيمس على الأمانى المصرية لم يستمر، لأن مراسل هذه الجريدة وغيره من مراسلي صحف أوروبا في مصر كانوا يستمدون أخبارهم الهامة من السير أو كاند كلفن المراقب البريطاني، وكانت وكالتا روتر وهافاس خاضعتين لنفوذ المراقبة الثنائية، وكل منهما تتقاضى ألف جنيه في السنة، وكانت وكالة روتر لا ترسل برقياتها إلى لندن إلا بعد إجازتها من القنصلية أو الرقيب الانجليزي.

وقد أضر هذا الأسلوب الصحفي بالقضية المصرية في الخارج إذ وضعت - كما رأينا - الأنباء الصحفية تحت مراقبة الوكالات السياسية أو ما يشابهها، فقد كان لموظفي فرنسا وانجلترا في مصر «السيطرة التامة على الأخبار التي يجوز أو لا يجوز إرسالها إلى لندن» وكان أجر هؤلاء المراسلين إما مالا أو معلومات سرية لها خطر هافي الفن الصحفي (٢) وقد اشتركت الصحف في الخارج ووكالات الأنباء في مصر والصحافة الأجنبية المصرية وممثلو الدولتين، اشترك كل أولئك في قطع الطريق على الهدوء الذي حققته حكومة شريف باشا وأزرتها بعض الأحداث الداخلية كمؤامرة الضباط الشرا كسة (٣) وقصة الحكم عليهم (٤) وتطرف الصحافة المصرية فاستقالت الوزارة الشريفية وانتقلت مقاليد الأمور إلى الحزب العسكري وأنصاره.

(١) المحرسة ٧ فبراير ١٨٨٢ (٢) بلنت التاريخ السرى ص ١١٦ - ١١٧
(٤) الوطن ٢٩ ابريل ١٨٨٢ (٥) الوقائع المصرية ٢٢ مايو ١٨٨٢ (٢-٨)

وكانت الصحف قبل الحكومة البارودية الجديدة تشغل حديثها كله بشئون مصر العامة ، وكانت لسانا طيبا للحركات الحرة ومدافعا خطرا أمام الصحف الأجنبية في مصر أو في الخارج ؛ غير أن هذا الاتجاه المحمود صحبه لون من التحزب للجنس والوطن ، كان له أبعاد الأثر في انحراف الصحافة الوطنية وتنكبها مثلها الرفيعة واشتباها كما في معركة وزعت جهودها وفرقت شملها .

وكانت الصحف الوطنية المتطرفة تحمل على بعض المتصرين من انصحفيين ، ولم تتعد الحملة في أول الأمر بعض هؤلاء الأفراد غير أنها مضت تتحدث عن المصريين والشاميين في دوائر الحكومة والصحافة وخاصة الدوائر الصحفية ، فقد كان الصحفيون الشاميون في مقدمة العناصر الحرة يلتهمون حماسة لاستقلال مصر وحياتها الدستورية ، بيد أن هذه الأرقام الملتهبة خبت ثم انزوت ثم وقفت إلى جانب الخديو علانية لما تخرج الأمر كما وقفت الصحف الوطنية أرقامها ضده وضد أسرته . وكانت (المفيد) جريدة من جرائد الثورة العراقية بلغت حماستها غايتها في سنة ١٨٨٢ وهي لا تمثل العناصر العسكرية أو المذاهب السياسية وحدها ، بل حفلت صفحاتها بكثير من المقالات الاجتماعية والاقتصادية الممتعة ، فهي يوما تتحدث عن ذل المصريين المادى والأدبى (١) وتكتب في يوم آخر مقالا ثورياً عن الفلاح التعس « السيد في صورة العبد ورب الدار في موقف الخادم » (٢) وقد بلغت مكانتها الصحفية قدراً جعل الأجانب يحسون خطرها ويلتمسون عطفها وخاصة في مشروعاتهم الاقتصادية ، وقد حاولوا رشوتها لتجذب عند العامة فكرة اقتصادية خاصة ، فتأبى المفيد هذه الرشوة وتفضح أصحابها من الشرقيين والأجانب الذين نسوا في مساومتها أن « نفس الحر لا تبيع شرفها بثمان » (٣) ومنذ أهديت محاولة رشوتها في ذلك المشروع الاقتصادي اتخذت (المفيد) خطة جديدة نحو

(١) المفيد في ١٤ نوفمبر عام ١٨٨١ (من مقال ابراهيم الهلباوى)

(٢) المفيد ٢٣ يناير ١٨٨٢ (٣) المفيد ٢٧ مارس ١٨٨٢

الشاميين في مصر ، فهي تكتب المقالات تطلب من الحكومة فصلهم من وظائفها لأنهم غير خليقين بأن ينتسبوا اليها ، وإذا عاتبها الشاميون من أصحاب الصحف ردت عتابهم في ، تنطق لايسف وفي عبارة مهذبة بيد أنها عنيفة قاسية (١) وتشتد الخصومة بين (المفيد) والصحف الثورية من ناحية وبين صحف الشام التي تصدر هناك من ناحية أخرى ، وهي صحف قاسية الأسلوب زاد عنفها في أوار المعركة في مصر ، وتدخل (المحروسة) في أمر هذه الخصومة وهي آخر ما بقى في مصر من صحف الشاميين المتمصرين وهي ترجو في عبارة رقيقة أن تفصل في هذه المعركة وتقضى على هذا الخصام . بيد أن المفيد تتهمها بإيثار فرنسا على تونس يوم امتحن هذا البلد الشقيق بقسوة الفرنسيين وجبروتهم . ثم تأتي عليهم صفة الوطنية التي تدعيها لنفسها ، فهي قد ولدت تسبح بحمد الخديو توفيق سنة ١٨٨٠ وكانت صديقة لرياض باشا في وقت كان إرهاب الصحافة ديدن الحكومة وغايتها وفي ذلك من النفاق ما لا تقبله صحيفة وطنية العقيدة حرة الفكرة .

وقد رد سليم نقاش على المفيد رداً هادئاً استغرق زهاء صفحتين ونصف صفحة من صفحات المحروسة الأربعة ، عرض فيه موقف صحيفته وبين فيه مواضع التجنى عليها ، « فإنها وحدها تجرأت أيام الاستبداد المحض ونادت بالحكومة الشورية . . . ووحدها بين الجرائم العربية في ذلك الحين أخذت تناصر الحزب الوطني . . . وهي وحدها أيضاً عارضت النفوذ الأجنبي عند خوف الإفراط فيه وهي أول جريدة صرحت بسوء إدارة بعض المصالح الأجنبية . . . وهي وحدها تحملت غضب المسيو دوبلينيير وتحامله عليها وقد حرمت لذلك من فوائد جمعة حباً منها بالوطن وأهله . . . وكم وقفت وكم أنذرت وكم عطلت وكم حذرت . . . » وإن لم تنسك إعجابها بفرنسا ومثلها العليا في الحياة . (٢)

وتمضى (المفيد) في حملتها على الشاميين وصحافتهم وتقل عنها الصحف

الناشئة في أحضان الثورة حتى شغل هذا الموضوع حياة المصريين جميعا، وحتى اتهمت الصحافة الشامية في مصر والشام الحكومة المصرية بأن تلك الحملة من صنعها، وأنها تدفع صاحب (المفيد) وزملاء، إلى هذه الأزمة، واضطرت الحكومة إلى تكذيب هذه التهمة وإعلان هذا التكذيب في صحيفتها الرسمية مؤكدة أنها لا تنظر إلى موظفيها إلا من حيث كفايتهم وجدارتهم. (١) ولم يكن (المفيد) موقفاً في هذه الحملة التي جاءت في وقت اشتدت فيه الخصومة بين الخديو ووزارته، فاضطر كثيرون من الشاميين أصحاب الصحف وأصحاب الأعمال إلى الهجرة من مصر، وساء ذلك صحيفة (الطائف) لسان حال العراقيين الرسمي فكتبت مقالا بعنوان «المصريون والشاميون» تندد فيه بمن خالق هذه الأزمة وتسمى مهاجرة الشاميين إلى بلادهم نزوحا سيعودون بعده «بالسلامة ليعود للمصريين الأناضول ياخوانهم والفرح بسلامة بني جنسهم الذين يعز عليهم أن يروهم في روع أو اضطراب أفكار» (٢) غير أن حملة (المفيد) كانت قد أثرت في بعض أصحاب الصحف الشامية في مصر فاضطر صاحب الأهرام إلى الهجرة ولم يعجب (الطائف) أن يعن «بنو جنسها» في أمر لا يدعو إليه داع وهي ترى هجرة صاحب الأهرام عملا لا مبرر له وتذكر ذلك معاتبه «اختفت جريدة (الأحوال) (٣) لتغيب صاحبها فرارا مما توهمه كثير من المهاجرين (٤)

لم تعد الثورة نحتل صحفامعارضة فكانت أشد استبدادا من حكومة رياض، فقد اضطرت أديب اسحق وهو موظف في الحكومة المصرية ومن خيرة الشاميين الذين لهم في الصحافة أثر غير منكور، اضطرت إلى الانسحاب من جريدة (مصر)

(١) الوقائع ١٩ ابريل ١٨٨٢ (٢) الطائف ٢١ يونيو ١٨٨٢

(٣) جريدة الاحوال لصاحبها سليم تقلا ومدبرها بشارة تقلا صدر العدد الاول منها في

٧ يونيو ١٨٨٢ (٤) الطائف في ٢١ يونيو ١٨٨٢

والتخلف عن ميدانها بعد حملة المفيد وزميلاته (١) وفي شهر مارس ١٨٨٢ أعلنت جريدة (البرهان) وهي صحيفة الخديو توفيق أنها عززت الشيخ حمزة فتح الله من تحريرها (٢) وذلك لتمحفظ بوجودها ولا تتعرض لبطش الثورة وحكومتها، ومن الصحف التي لقيت حتفها في ذلك الوقت جريدة (الزمان) وذكرت المطبوعات أنها ارتكبت ما يخالف قواعد الدين الاسلامي وأنها دأبت على المطاعن الشخصية ثم أهانت جانب الحكومة. (٣) ولم يبق من الصحف الشامية إلا جريدة (المحرسة) فقد عاشت موالية للحكومة في الظاهر حتى تبين لها أن صاحب الجريدة يعبر عن رأى القصر ورجاله ويذيع من الأخبار ما يفاق الأمن وتضطرب له الأفكار، فأمر عرابي باشا بتعطيلها ثلاثة أشهر في يونيو ١٨٨٢ (٤)

طبقت الثورة قانون المطبوعات في شكل واسع لم يبق إلا على بعض الصحف الموالية ومن أهمها (المفيد والطائف) وكانت أهم وظائف هذه الصحف الحملة على الخديو توفيق وأسرته، وشغلت (المفيد) معظم صفحاتها بالحديث عن الخديو السابق حديثا هو غاية ما يمكن نشره من بذاء، فهي لا تتحدث عن شهواته في التواء بل تفصلها تفصيلا سواء اتصل الحديث بذكر أو أنثى، وهي تنشيء هذه المقالات ولحمتها الادعاء وسداها المبالغة التي لا تستند الى التاريخ (٥) وتقرن (المفيد) الحملة على إسماعيل بالحملة على الانجليز في أكثر من مقال، أما الخديو توفيق فقد سفرت في الحملة عليه وبعته بالجبان المستخذي. (٦) ولم تعد الصحف المصرية تطرق الموضوعات الدستورية أو تناقش المسائل العامة بخبرة الدارس الحصيف بل انتهى ذلك العهد وأصبحت الصحف المصرية تحرر بأقلام مصرية

(١) مصر في ٨ مارس ١٨٨٢. راجع وداع أديب اسحق لها في هذا العدد.

(٢) البرهان في ٣٠ مارس ١٨٨٢ (٣) المفيد في ١٧ أبريل ١٨٨٢

(٤) المحرسة في ٣ يونيو ١٨٨٢ وفيه نشرت أن الأهرام عطلت شهرًا

(٥) المفيد في ٢٧ أبريل ١٨٨٢ (٦) المفيد في رمضان ١٢٩٩ (١٠ رمضان)

خالصة ، وأصبح كل أصحاب الصحف من المصريين بعد اختفاء (الأهرام) وغيرها من الجرائد في الاسكندرية والقاهرة وبعد أن انزوى الكثيرون من الشاميين كتاب الصحف وقد ظهرت على أنقاض الصحف الشامية صحف مصرية كثيرة (كالفسطاط) (١) والسفير والنجاح (٢) بيد أن هذه الصحف جميعا لا تبلغ في مكاتبتها ولا في خطرها ولا في إنشائها وتحريرها ما بلغته جريدة (الطائف) التي كان يحررها كاتب حاد الطبع نابغ في الإنشاء وهو عبد الله النديم ، خطيب الثورة وكاتبها غير منازع ، كانت صحيفته في أول أمرها تحمل على المساوىء.



عبد الله نديم

- (١) من محضر استجواب رفعت بك - راجع مصر المصريين ص ١٧١ - ١٧٢
(٢) حرر الشمسي جريدة (السفير) وهي أقل أهمية من (المفيد) وأخيرا اختفى المفيد واستبدله الشمسي بجريدة (النجاح) في ١٠ أغسطس ١٨٨٢ (من مقال الشمسي في السفير ٢١ أغسطس ١٨٨٢) (٢) (١٨٨٢) ٧٦ في ص ٥)

الاجتماعية العامة كالمواخير والحانات والمراقص التي غزت القاهرة في ظل الامتيازات وتحت حمايتها، والنديم صحفي ممتاز كثيراً ما نشر المقالات الرائعة في جريدتي (المحروسة والعصر الجديد) اللتين كان يصدرهما سليم النقاش فجاء فيهما بالمعجب والمطرب، وكانت له صحيفة أدبية رائعة تسمى (التنكيت والتبكيك) أصدرها في ٦ يونيو عام ١٨٨١ في حجم كتاب عادي « صحيفة وطنية أسبوعية أدبية هزلية، وهي مجلة كما يقول «هجوها تنكيت ومدحها تبكيك ولغتها «لاتلجئك إلى قاموس الفيرزبادي ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا» وسخرتها «نفقات صدور وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنا بماضينا»، وهي في مجموعها مقالات اجتماعية عن الحياة في مصر.

انتقلت الطائف من المقالات الاجتماعية الخالصة إلى الموضوعات السياسية العميقة والأخبار الهامة التي تميزت بها في عهد الثورة حتى إن معظم الجرائد المعاصرة نقلت عنها أكثر ما نشرت، واحتفظت «التنكيت والتبكيك» وهي صحيفة ندیم الثانية بموضوعات الأدب والاجتماع. وكان من أهم وظائف الطائف الدفاع عن الثورة ورجالها وقد احتفى بها رجال الثورة وأنصارها فاشترك لها النواب بمبالغ كبيرة وأصبحت لهم لسانا فيه من العنف والشدة ما اضطر الشيخ محمد عبده إلى تعطيلها شهراً (١) وقد اتخذ عطف الهيئات عليها لونا رسميا فكتب محمد سلطان باشا رئيس مجلس النواب في ١٥ ربيع الثاني عام ١٢٩٩ هـ إلى «داخلية ناظري عطفوا فتلوا أفندم حضر تلى» يقول:

« حيث إن حضرة محرر الطائف أظهر ارتياحه إلى نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه وما يتبع ذلك مما يستدعي القيام بالحقوق الوطنية للمجلس رثى أنه لا مانع من مكاتبة الداخلية لتصدر أمرها إلى إدارة المطبوعات بمعرفة هذه الصحيفة بمتازة بهذا الاختصاص ونسبتها إلى المجلس على الوجه الذي قدمه حضرة محررها

الموما اليه» (١). وقد ذكرت جريدة (مصر) في ٢٣ مارس عام ١٨٨٢ أن مجلس النواب «قد اختار جريدة (الطائف) الغراء لنشر ما يروم إبداءه من الآراء والخواطر والتقارير والمحاضر فهي الآن صحيفته الشبيهة بالرسمية» ثم تقول «وجريدة (الطائف) جديرة بهذا الاختيار فهي موصوفة بالوطنية معروفة بصدق النية، منتشرة نافذة الكلام خطيرة مرعية المقام»

ظهرت خطورة الطائف في هذه الرسمية التي حبتها إياها الحكومة دون الصحف الثورية الأخرى، فقد استطاع محررها أن يكون على بينة من شئون الدولة وأن يجد في عطفها المادى والأدبى ما يعينها على تحطى المصاعب التي تعترض الصحف عادة وتحويل دون تقدمها، وهذه ميزات بجانب قدرة محررها تجعل لها مكانة خاصة بين الصحف المصرية خلال الثورة العرابية. ولم تقتصر الطائف على «نشر محاضر المجلس وأفكار نوابه» بل صورت الأعداد القليلة التي عثرنا عليها مدى العنف في تحريرها، وأظهر ما فيها تأريخ حياة الخديو اسماعيل في أسلوب فيه من النقمة عليه والتشفي منه ما أبعده عن التاريخ العادل، فقد بدأ المحرر فصلاً عن «الخديو السابق» بعنوان «سلب الأملاك من الملاك» في صفحتين كاملتين من صفحات الجريدة الأربعة، ثم مرض النديم وأقعده المرض عن إتمام الفصل فأرسل يعتذر عن تحرير جريدته «إلا ما كان من تاريخ حضرة اسماعيل باشا فيانى أتكلف بكتابتها لأن نشره من ضمن علاج ما بى»! (٢) ثم انتقلت من الحملة على اسماعيل إلى الإقذاع فى الخديو توفيق فى لهجة قاسية فيها تعريض بمقامه حتى أن حكومتها أمرت بتعطيلها نهائياً فى ١٧ مايو عام ١٨٨٢ ترصية للخديو واعتذاراً له عما ارتكبه صحيفته الحكومة من الإساءة إلى الحاكم الشرعى (٣)

تخرجت الأمور فى مصر قبيل الاحتلال البريطانى بثلاثة أشهر تقريباً فتدخلت

(١) مصر للمصريين ج ٧ ص ٢٤٨ (٢) الطائف ٦ مايو ١٨٨٢

(١) الرافعى. الثورة العرابية ص ٣٧٤

الدولتان الانجليزية والفرنسية بمذكرة تطلبان فيها استقالة الوزارة البارودية وإبعاد
عراي وبعض خاصته عن مصر وإعادة السلطان المطاق إلى الخديو توفيق، وقد
ترتب على هذه المذكرة استقالة الوزارة وتأليف النظارة الراغية ودخل فيها
عراي باشا وزيراً للحربية، ثم تطورت الحوادث سراعاً وحدثت مذبحة الاسكندرية
وانتقل الخديو إلى الثغر في ١٩ يونيه عام ١٨٨٢ واعتصم بها حتى قضى الأمر
باحتيال مصر وتسليم العرايين.

ومنذ ضربت الاسكندرية وانماز الخديو إلى الانجليز حين احتلوها أصبحت
في مصر صحافتان، صحافة في القاهرة تمثلها الوقائع المصرية والطائف - وقد عادت
إلى الحياة - (والنجاح) وما إليها من صحف الحرب والثورة، وصحافة
في الاسكندرية يقود زمامها الشيخ حمزة فتح الله في جريدة (الاعتدال) يحمل فيها
على عراي ورجاله «البغاة الجهال العاصين الخليفة ونائبه» (١) ويعاون فيها
أديب اسحق الموتور من العرايين بالمقالات والمنشورات (٢). وبقيت صحف
الثورة في القاهرة خلال الحرب العراية فيما خلا (الطائف) فهذه قد انتقلت إلى
الميدان الحربى حيث تحرر عن كذب في معسكر (كنج عثمان) وكانت معظم
مقالاتها لاستثارة الهمم والطعن على الخديو وانجلترا (٣) وعن (الطائف) نقلت
صحف القاهرة أخبار الحرب وتفصيلها فضلاً عن مقالات محررها (٤) ثم دأبت
الجريدة على إصدار ملاحق لها تذكر فيها مساوىء أنصار الخديو، ومن هذه
الملاحق الملحق الذى نشرته بعنوان «سليم وبشارة تقلا وتوفيق باشا» وهو هجوم
مقذع لا يليق، تحلل فيه الكاتب من أسلوبه المعروف وأسف فيه إسفاً منقطع
النظير (٥)

(١) مصر للمصريين ج ٥ ص ١٨٦ - ١٩٣ (٢) نفس المصدر ص ١٩٤

(٣) مصر للمصريين ج ٧ ص ٢٩ - ٣٠ من اعترافات عراي باشا أثناء محاكمته

(٤) مصر للمصريين ج ٧ ص ٢٦٦ من محضر استجواب حسن أفندى الشمسي

(٥) ملحق الطائف في ٨ شوال ١٢٩٩ (٢٥) ٥٢٢ ٣٧

كانت الصحف الثورية خلال الحرب تتبع اتجاه الحكومة ، فكان مدير المطبوعات - وهو إذ ذاك أحمد رفعت بك - يمد محرري الصحف بهذا ما جاء في الصحف الأوربية لإبرازها إن كانت في جانب مصر وللدرد عليها و مناقشتها إن كانت تخالف أغراض الثورة (١) وقد تركت الصحف « تقذف الخديو وشيعته معه نظراً لأن المجلس العام المنعقد بالداخلية والذي كان يضم جميع الوجهاء وأعاظم العلماء والذوات ورؤساء المذاهب المختلفة والبرنسات قرر توقيف أوامر الخديو لأنه خالف الشرع الشريف والقانون المنيف . أما الموضوعات الأخرى التي كانت تنشرها الصحف « فإن القطر المصري كان تحت القانون العسكري وقد بلغت ذلك الجهادية للداخلية وبذلك أصبحت الصحف تحت الرقابة وأن الرقيب كان يعرض على المجلس العرفي ما ستشره الصحف وأنه ممنوع منعاً باتاً نشر ما يشتم منه التعصب الديني أو الطعن الشخصي الغير سياسي ، وقد وبخ حسن افندي الشمسي رسمياً أمام المجلس العرفي لشره مقالا تعصبياً وطعننا شخصياً وخرج بذلك من جريدة (المفيد) وأقفلت جريدته (الفسطاط) لنشرها مقالا مماثلاً بأمر من المجلس العرفي ، (٢)

هذه كانت سياسة الحكومة نحو الصحافة في أدق مواقفها وهي مواقف على حداثة عهد المصريين بها تبين إلى أي مدى استوى تفكيرهم في علاج أهر المطبوعات فالصحافة المصرية خلال الحرب تتبع نظماً مماثل في طرائقها أحدث ما يتبع معها في الحروب الحديثة ، كما أن الدولة قد نزهتها عن التعصب والطعن الشخصي وعاقبت بعض الصحفيين من أنصارها حين امتنعوا عن تحقيق رغبتها وذلك أمر لا تجيزه الدعاية الصحفية إذا قامت حرب بين أعرق الأمم وأعزها في شئون الصحافة كما شوهد ذلك في الحرب العالمية الثانية .

(١) مصر للمصريين ج ٧ . ص ٢٦٥ (٢) نفس المصادر ص ١٧١ - ١٧٢



(٢) مصر للمصريين ج ٧ . ص ٢٦٥ (٣) نفس المصادر ص ١٧١ - ١٧٢

(٣) مصر للمصريين ج ٧ . ص ٢٦٥ (٤) نفس المصادر ص ١٧١ - ١٧٢

(٤) مصر للمصريين ج ٧ . ص ٢٦٥ (٥) نفس المصادر ص ١٧١ - ١٧٢

وقد وقفت الصحف الثورية عن الظهور بعد تسليم القاهرة ، ومهما يكن من أمر فإن تاريخها في الصحافة المصرية تاريخ حافل في كثرتها وفي أسلوبها المتميز بالعرف وإن غلبت عليه العبارة المشرقة والصور البديعة ، وهي صحف غنية بدراساتها للمسائل السياسية دراسة علمية موفقة وإن قطعت عليها الثورة هذه الدراسة الممتعة . وقد تحدثت صحف الثورة في كل موضوع اتصل بالسياسة أو الأدب أو الاجتماع ، فقد حيت الجمعيات الخيرية المختلفة إسلامية وقبطية ، وساعدت بدعايتها على تقدمها ، ثم نشرت القصص تباعا وطبعت الكتب العلمية والأدبية في مطابعها وباعتها بأزهد الأثمان . ومن أهم هذه الصحف العلمية الأدبية مجلة (المقتطف) فقد تكفلت بما كانت تقوم به صحف الدولة الرسمية كروضة المدارس وما إليها فنشرت طرائف العلم والأدب والتاريخ ، وكان أصحابها الثلاثة يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاربوس ينقلون إليها أروع وأفضل ما في « الكتب والجرائد العلمية والصناعية » في الغرب والشرق (١) .

وقد تحرت الصحف في أول الثورة الصدق في رواية أخبارها وإن انحرفت في آخرها عن هذه السمة الطيبة وغلبها القدر الشخصي فترة فجاء في أبواب الأدب مثلا رائعا يعني أصحاب البلاغة وأساطين البيان .

وجاءت صحافة الثورة بجديد غير معروف هو البراقيات الخاصة التي ازدحمت بها معظم الصحف وفي مقدمتها الأحوال والأهرام ، وإلى هذه الأخيرة تنسب صحافة الأحاديث ، فقد تخصص أحد أصحابها في مقابلة وزراء الدول وزعمائها في فرنسا وإنجلترا والتحدث معهم عن مصر وشؤونها وتسجيل هذه الأحاديث في كتب أرسلها إلى مصر ونشرتها الأهرام على مدى الأيام . وقد روجت صحف الثورة العراقية للاقتصاد الوطني فدعت إلى انشاء المصارف وحيث أصحاب الفكرة فيها وضربت على هذه النخمة الفينة بعد الفينة مدللة على ما للاقتصاد

(١) المقتطف في العدد ١٢ من السنة الثانية ص ٢٨٨

(١) هكذا أذاع المقتطف في العدد ١٢ من السنة الثانية ص ٢٨٨

الوطني من أثر في استقلال الشعوب وحرريات الأمم . وهي تعالج معالجة الخفيف
 مشروعات الحكومة الداخلية فإذا أنشأت الدولة بنكا زراعيا وهملت لتغطيه
 أسهمه صحفها (١) هاجها أسلوب تسكويته والمقيدين منه وهم « أصحاب الطين
 والأغنياء » ودارت المناقشة بين الصحف وأصحاب الرأي في البلاد في شأن هذا
 البنك (٢) . فإن كانت الأحداث السياسية في تلك الفترة من حياة مصر قد وقفت
 غالب الأقلام على هذه الأحداث فإن الصحافة المصرية لم تفوت البحث في شؤون
 غير شؤون السياسة في حرية ساعد عليها استقلال رأي محرريها وعدم ارتباطهم
 بحزب من أحزاب الرأي على الوجه المعروف من الارتباط بين الصحف
 والأحزاب فيما خلا فترة الحرب ورقابة الرقيب ؛ وهي فترة تميزت بالحزب
 العسكري وتحزب الصحف القاهرية له .

(١) المحرسة ١٤ يونيو ١٨٨٠

(٢) المحرسة ٢٢ و ٢٦ يونيو ١٨٨٠

الفصل التاسع

الصحافة المصرية منذ الاحتلال إلى الاتفاق الودى

وجدت الثورة العراقية من يعيها ويأخذ على رجالها أنهم أتوا كبيرة لم تعرفها أمة من الأمم ، والثورة العراقية في الواقع شيء تردد صداه في أقطار الدولة العثمانية طلباً للدستور والحياة الحرة التي ثارت من أجلها بلاد أوربية في حوض البحر الأبيض المتوسط في أوائل القرن التاسع عشر أو في أواخره ، والثورة العراقية ثورة عامة في مصر لم تدفع إليها طبقة دون طبقة بل شايعها الجامدون والمجددون على السواء وآزارها « جميع الوجاه وأعظم العلماء والذوات ورؤساء المذاهب المختلفة والبرنسات » (١) . ولم تخفق الثورة العراقية لأن أصحابها كانوا يرجون شيئاً بعيداً أو يتمنون حدثاً جديداً يغير طبيعة الحياة ويسئ إلى الأمم المتحضرة بل أخفقت الثورة لغموض السلطنة العثمانية في موقفها منها ، وقدرة الأجانب على حيك الدسائس لها ، وأخيراً لضعف قادتها من حيث تفكيرهم أو قوى جيوشهم .

لم تخفق الثورة فحسب بل نكبت في رجالها فأضحوا بين قتيل ومنفي وسجين واستلم الإنجليز أمة ذاهلة أو في شبه ذهول ، ليس لها قادة فقد أخرجهم الاحتلال من الميدان فظهر الخمود على الخاصة ، وبلغ الإعياء عند العامة مبلغاً مضى بهم إلى لون من التسليم والركون إلى القضاء والقدر ، ولم يعد أمام المحتلين أحد يطاولهم في رأى أو يناقشهم في حساب ، وأصبحت أمور مصر كلها وديعة في يد البريطانيين يتصرفون فيها على ما يشتهون .

(١) مصر المصرية بين ج ٧ ص ١٧١ — ١٧٢ من استجواب أحمد بك رفعت

وقد اتفق اللورد دوفرين Dufferin سفير إنجلترا في الأستانة زهاء نصف عام في مصر لينظم أمورها في ظل احتلال مؤقت ، وكان أظهر ما صنعه في تمثيل الرأي العام بإنشاءه مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، أما المجلس الأول فيتمكون من ثلاثين عضواً منهم أربعة عشر عضواً تعيينهم الحكومة ومثلهم تمنتخبهم الأقاليم وواحد ترسله القاهرة وآخر تختاره الاسكندرية (١) ثم يضاف إلى هؤلاء وزراء الدولة وستة وأربعون عضواً لتتكون الجمعية العمومية منهم جميعاً ، وليس لهذين المجلسين من مظاهر الحياة إلا قدر لا يعتد به في عظام الأمور فلم يكن لهما على الحكومة سلطان ولم يكن لرايها ما قطع في المسائل العامة فيما خلا حق الجمعية العمومية على الحكومة في إقرار الضرائب الجديدة (٢) . ولم تكن هذه هي الحياة الدستورية التي من أجلها هاجت مصر وكفحت فهي « صورة كاذبة للحكم الدستوري أجميد رسمها » كما يقول أحد أعضاء مجلس العموم البريطاني (٣) فلا عجب إن بقيت مصر أربعين عاماً وهي تفتقد مجلساً نيابياً يعبر عن أغراضها وينطق بلسانها . وهكذا كون الرأي العام الرسمي ، أما الرأي العام الشعبي ممثلاً في الصحافة المصرية فذلك أيضاً لم يخل من عناية اللورد دوفرين ، فإنه لم يفس وهو يخدم نظامه الجديد ذكر حقيقة هي أصدق ما قال في أمور مصر فانه يرى « أنه بقي فوق ذلك نظام واحد ضروري لجعل النظم التي تقدم وصفها فعالة مثمرة ذلك هو الصحافة الحرة » (٤) فالصحافة في تقرير Dufferin نالت جانب رعاية وهو جانب واضح لا لبس فيه ، ويرى بعض المؤرخين الإنجليز أن التفاتة اللورد وجدت صداها وتحققت معانيها حتى « أهمل قانون سنة ١٨٨١ إهمالاً تاماً ونالت مصر حرية صحفية لم تعرف في شمال أفريقية أو غرب آسيا » (٥)

(١) George Young. Egypt p. 150 - 151. London 1927

(٢) الرافعي . مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال . القاهرة في ١٩٤٢

(٣) مضابط البرلمان ١٨٨٣ مجلد ٢٦٧ ص ١٣١٠

(٤) مصر رقم ٦ سنة ١٨٨٣ ص ٥٠ . (٥) Young. p. 179-180.

ويكاد الباحث في تاريخ تلك الحقبة من تاريخ الصحافة المصرية يؤمن بأن إشارة اللورد دوفرن قد لقيت أذنا مصغية سواء كانت من الانجليز أصحاب النفوذ الحقيقي في البلاد أو من المصريين العاملين بارشادهم في تصريف الأمور ، ويقوى هذا الاتجاه أن تقارير السير بارنج السنوية قد أغفلت شؤون الصحافة مما يدل على أن أمورها قد استقامت وأنها خلو من الأحداث التي شهدتها الثورة أو عرفها عصر اسماعيل في خاتمته . ثم يفاجئنا اللورد كرومر في تقريره عن سنة ١٩٠٣ بحديث طويل عن الصحافة المصرية استغرق من التقرير ثلاث صفحات كاملات ، وهو يستهل حديثه عنها بأن إنما أغفلها في العشرين سنة الماضية لأنه لم تكن هناك حادثه ذات أهمية تتصل بشؤونها ، وهو يزعم أنه حرص على حريتها في تلك الفترة مع أن الاتجاهات العامة منذ عهد الاحتلال كانت توحى بالتضييق عليها والوقوف دون حريتها المطلقة ، وهو يشرح فكرة اطلاق العنان لها شرحا تلمية الثقة التامة بضعف أثرها وهوان خطرها ، فانه ما دام جيش الاحتلال قائما فلا خوف على سلطان الانجليز منها لأنه يحمي الموقف من كل تطرف صحفى . ثم يتحدث العميد عن فكرة التقنين للصحافة فيذكر أن فكرة إصدار قانون للصحافة سيستجيب إشكالا نحن في غنى عنه لأنه يستوجب سريان نصوصه على الصحافة الأوربية أيضا ، وفي ذلك من المشاكل ما يجدر أن نتجنبها ، وإذا اقنصر القانون على الصحافة المصرية وحدها فان ذلك يحمل المضرين على الاحتماء بالدول في حالة توظيفهم في الصحافة فلا ينال منهم القانون ويصبح لغوا لا فائدة منه ، هذا مع العلم بأن معظم الدول وبريطانيا في مقدمتها لا تميل إلى سن مثل هذا القانون .

واللورد كرومر يصارح حكومته بأن الصحف المصرية مهما تقل فلن تغير مجرى الحوادث وأن قضاياها مهما تكثرت فهي تدور في حيز ضيق يتصل بالصحف التافهة التي تتعرض للشخصيات وتبلغ في السكرامات ، وهذه صحف يستخط عليها الرأي العام وهي قلما تسمى إلى شخصيات ورؤساء الدول الأجنبية أو الخديو وأسرته . ولما كانت الصحف لا يحفل بخطرها كما يقول اللورد فانه أبى أن يجعل

شرط ظهور الجريدة حصولها على ترخيص سابق ، وسياسته هذه أنتجت في رأيه نتائج مرضية فقد سمحت لبعض الصحف بالظهور وفي أسلوبها من الشدة والعنف ما فيه غير أنه يراجعها ويجد فيها بعض الفوائد أحيانا ، وهي لم تستطع أن تكون حائلا دون التقدم في مدى العشرين عاما الماضية . واللورد كرومر يوصي الموظفين مصريين وبريطانيين بالصحف المعتدلة لأنها تفيد بنقدها وبشرح بعض الأخطاء التي تتلافها الحكومة فلا تمكن الصحف المعارضة من أن تجد أسسا قوية في حملاتها فتأتي معارضتها واهية لا أثر لها ، وقد طالع بنفسه بعض هذه الصحف فرأى أنه كان من الخطأ ألا يعرف ملاحظاتها سواء في ذلك الصحف التي أصدرها الأفراد أو الجماعات ، وهو يعيب على الرسميين كراهيتهم للصحافة كما يترمون بكل معارضة ، ثم يخطيء وجهة نظر القائمين بفرض قانون للصحافة لأن في قانون العقوبات ما يغني عن سن تشريع جديد (١) .

ويحذر بمؤرخ الصحافة المصرية في تلك الحقبة أن يصور موقف السلطات قبل مناقشة اللورد كرومر فيما ذهبت إليه أقواله عن الصحافة المصرية ، فالخديو توفيق لم تكن له صحف ذات أهمية ولم يسع هو إلى خلق هذه الصحف بل كان موقفه موقفا سلبيا وهو موقف سليم على أي حال ، أما تركية فكان لها بالطبع صحف تميل إليها أو تعمل لها بإيعاز من مختار باشا مثل السلطان في مصر فكان يدفع لبعض الصحف ألفا وخمسة جنيه لسكل منها (٢) وكان لفرنسا صحف كثيرة تنافسها في الاحتلال وتحمل عليه ، وهذه تعنيها مصالح فرنسا قبل أن يعنيها شيء آخر ، وكان للمصريين بعض الصحف المعتدلة وتتمتع أهمها على رعاية القنصلية الفرنسية أيضا ولم يفكر الاحتلال في أول الأمر في إنشاء صحف خاصة به بل كان الاحتلاليون وعلى رأسهم العميد البريطاني يعنون بالتمكين للاحتلال بنشر الدعاية له في الخارج وفي إنجلترا خاصة ، فقد تدخلت بعض الجهات في شؤون مصر تدخلًا أساء للورد

Blue Books 1903 p. 31 - 32 (١)

Blunt : My Diaries p. 167. (٢)

كرومر في سياسته العامة (١) فلم يكن بدله ولأنصاره من الدعوة لسياسته ونشاطه ، فعين الفرد ملنرسكرتير مستر جوشن Goschen في وظيفة بوزارة المالية المصرية ، وكانت وظيفته في الواقع لتنظيم الدعاية في صحافة إنجلترا تأييداً للاحتلال وسياسته في مصر ، وكان ملنر أفضل رجل لهذه الدعاية لأنه من الأحرار وله في صحافتها وشائج صلة وقربى ، وكان هذا الدعاية يستكتب الموظفين الانجليز المقالات للصحف والمجلات الشهرية الأوروبية عامة والانجليزية خاصة . (٢)

فالعناية الانجليزية بالصحافة بدأت في صحافة أوروبا ، أما في مصر فيختلف الواقع مع ما جاء في تقرير كرومر سنة ١٩٠٣ فالحكومة المصرية قد عاملت الصحف معاملة فيها من القسوة ما ينقض أقوال العميد البريطاني ، والحكومة المصرية هنا تمثل الرغبات الانجليزية ولا تجيز شيئاً لا يرضاه الانجليز فهي إن قست على الصحف المصرية فذلك رجوع الصدى ليس غير ، وقد ألغى الاحتلال بعد أسبوع بعض الصحف الوطنية منها جريدتا (الزمان) و (السفير) وكان الغناء الأولى « من قبيل الاستصواب وإلغاء الثانية مبنياً على أن صاحبها من ضمن أنصار عرابي ، وإذا أغلقت الصحف المعارضة وهو شيء طبعى مادام سلطان الاحتلال أناخ على جوانب الحكومة جميعاً فإن الغريب حقا أن تضيق الحكومة بكتاب من الأجانب يبدى رأياً لا يتصل بالسياسة وهو موظف بحدود الوظيفة والتزامات الموظفين إذا تحدثوا أو كتبوا ، فقد أذاعت نظارة الداخلية عقب الاحتلال أمراً قالت فيه « قد عثر في جريدة (الأحبشيان غازيت) على مقالة تتعلق بمواد التعويضات عن الأضرار التي لحقت بسكان القطر المصري من جراء الحوادث الأخيرة وعلم أن محررها هو المسيو فورين باشكشاف الجمر ك باسكندرية ، وأنه وإن كانت المقالة خالية من العبارات المخلة بشأن الحكومة إلا أنه لا يجوز لمستخدمي

Gromer ; Modern Egypt VI. P. 435 (١)

Blunt. W. S. My Diaries p. 44 (٢)

الحكومة جميعاً أن يكاتبوا الجرائد، (١) ولعل ذلك الضيق بالصحيفة الانجليزية
وبمن يكتب فيها أنها أخذت جانب العرابيين وهو موقف دفع له بلنت بسخاه (٢)
يسجل اللورد كرومر في تقريره أن الصحافة المصرية قطعت عشرين عاماً بعد
الاحتلال من غير تاريخ وهو تسجيل ينقضه بلاغ الحكومة الذي يحاسب صحف
(الوطن) و(اسكندرية) و(مرآة الشرق) و(البرهان) و(الأهرام) على
بعض مقالات النقد التي وجهتها للاحتلال، ثم يزواج البريطانيون بين الصحافة
المصرية والصحافة الأجنبية في المعاملة فيندرون جريدتهم (الأجيشيان غازيت)
ويغرمونها عشرين جنياً لأنها تجاوزت حدودها فيما نشرته من مقالات في يومى
٩ و ١١ أغسطس سنة ١٨٨٣ (٣) وينقض تاريخ الأهرام أيضاً ما ذهب إليه كرومر،
حقاً إنها بدأت بعودتها إلى الظهور في ٢٩ سبتمبر ١٨٨٢ (٤) حاملة على «العاصى
عراي ورفاقه البغاة» مادحة أنصار الخديو «كسعادتو سلطان باشا» (٥) ناشرة
صورة رائعة في صدرها للجنرال السير ولسلي قائد الحملة الانجليزية على مصر
مؤرخة حياته في معظم الصفحة الأولى وهى أول ما نشر في الأهرام من صور
فيما نعلم (٦) ومجمل القول إنها بدأت لينة محامية للاحتلال ورجالها وإن حفلت صفحاتها
خلال ١٨٨٢ بأراء الصحف الانجليزية والفرنسية في المسألة المصرية وجعلت يوم
الخميس وقفاً على أخبار مصر الداخلية
يبدأن (الأهرام) تحمل علم الجهاد و-دعاها منذ بدأت سنة ١٨٨٤ فتودع العام
المنصرم «وداعاً لا يمازجه أسف ولا يقابله كدر بل هو واقف إزاءه وقوف

(١) مصر المصريين ج ٦ ص ٢٤٢ - ٢٤٣

(٢) التاريخ السرى ص ٣٣٢ (٣) الأهرام ١٨ أغسطس ١٨٨٣

(٤) قضى قومسيون التعويضات الدولية المصرية المنعقد بالاسكندرية في يوليو ١٨٨٣

لسليم بك تقلاً بمبلغ ١٩٠ ألف فرنك تعويضاً عن الخسائر التي لحقت له خلال الثورة

المرابية وذلك بحكم رقم ٥٩٧٩ (راجع الوقائع المصرية في ٢٠ أغسطس ١٨٨٣)

(٥) الأهرام ٣ أكتوبر ١٨٨٢ (٦) الأهرام ٥ أكتوبر ١٨٨٣

ضعيف سلبه خصمه متاعه يستعطفه فلا يخنو ويستصرخه فلا يعي « ويبدو في هذا المقال الانحراف عن الاحتلال ودعائه ثم تعقب على ذلك بنشر ما سى مصر وإن لم يصدر ذلك من محررها، فهي تمتق أقوال الصحف الانجليزية التي برمت بالسياسة البريطانية في مصر فتقول عن لسان (ذى استاندارد) « يلوح أن حالة مصر في الحاضر أسوأ منها يوم تولى الانكليز إدارة السياسة المصرية عقب موقعة التل الكبير وولوج العساكر الانكليزية عاصمة القطر ». ثم تحدث في حياة مصر أزمة السودان وانهار الحكم المصرى فيه فتلقى الأهرام بدلوها في أمره وحوادثه وتعرض المسألة السودانية والأزمة التي أعقبتها وتصل خيبة الأمل التي لحقت جيوش مصر بموقف الانجليز، وتحدث عن نصيحتهم بتركه، ومعنى النصيحة كما نشرتها الأهرام أن تقبلها مصر « دون حدوث تردد أو إجراء جدال بالإطلاق طالما أن جيش الاحتلال مستقر في البلاد المصرية، والأهرام لا تعجبها هذه النصيحة الانجليزية لأن الوطنى الشريف في رأيها لا يوقع أمراً بإخلاء السودان لذلك اعتزلت الوزارة الحكم، وبعلق بشاره في اليوم التالى على موقف الحكومة الشرفية شاكرآ لها خططها المحموده وموقفها الوطنى المشرف ثم يعطف المكاتب على موقف مجلس الشورى والجمعية العمومية اللذين يشهدان تلك الحوادث وهما عليها سكوت (١). وتنعى الأهرام على من وافق على إخلائه أشد النعي وتشر أحاديث أمراء الأولوية بالجيش مبيته من هذه الأحاديث أخطاء الحكومة وإهمالها في الحرب (٢) ثم تذكر المحاربين المصريين الذين ضحوا بأرواحهم « تخليداً لذكر مصرنا العزيزة » (٣) وبذلك تولت الأهرام التنفيس عن المصريين، وكانت حوادث السودان من مواقفها المشرفة وهى حوادث أكبرتها في عين التاريخ عن المجلسين برجالهما وذواتهما.

فاذا فرغت الأهرام من المسألة السودانية ووجهت باستقالة ثابت باشا وزير

(١) الأهرام في ٢ و ٣ و ٨ يناير ١٨٨٤

(٢) الأهرام ٢٤ يناير ١٨٨٤ (٣) الأهرام ١٥ فبراير ١٨٤٤

الداخلية نتيجة لتعيين المستر Clifford Lloyd وكيلا للداخلية في ١٥ يناير عام ١٨٤٤ (١) وتخرجت الأمور بين الوزير والوكيل حتى اضطر الأول إلى الاستقالة لأنه لم يعد في وسعه « المحافظة على شرف المصلحة » (٢) تشرح الجريدة هذه الأزمة وتوضح أنها من صنع الانجليز وأنهم أصحابها ودعاتها ثم تعلق على الموضوع تعليقا وطنيا انفردت به وحدها . ويسافر مدير الجريدة إلى إنجلترا وتأخذ الأهرام في نشر رسائله المتصلة وأحاديثه المتباينة عن مصر وشؤونها ، وكان من أهم الأحاديث التي نشرتها الأهرام حديث مديرها في أول يوليه ١٨٤٤ مع ريفرز ولسن عن حالة مصر فإذا سأله Wilson عن حال البلاد أجابه « بأنها سيئة بفعال أبناء جلدته » ويحجبه عن سؤال يتصل بالأسباب التي تحول دون تأليف وزارة يكون من أعضائها رياض باشا وشريف باشا بأن ذلك يتم « إذا كان القصد خدمة مصر لا خدمة الانكليز » ويمضى مدير الأهرام عارضا مساوى الإدارة المالية الانجليزية في مصر .

ويستقبل المصريون هذه الأحاديث المنشورة استقبالا يضع الأهرام في مكان الزعامة من أفكارهم وآلامهم ، فإذا هي تطالع عليهم في ٤ أغسطس ١٨٨٤ وفي صدرها خطاب « من علماء وذوات ونواب شورى وغيرهم في الاسكندرية » يمدحون لها موقفها من مصالح مصر ويحفظون لها وفاءها لأمانتهم وتقرن نشر هذا الكتاب بكتاب آخر من أقاليم مصر الأخرى وهو يضرب على نفس النغمة من تكريم الجريدة وأصحابها .

نالت الأهرام تقدير المصريين كما نالت بر الدولة العثمانية بها أما فرنسا فأمر عطفها عليها معروف منذ عهد إسماعيل ، وتجميل جريدة الشعب في تأريخها للصحافة الوطنية هذا كله في قولها عن الأهرام إن « سياستها عثمانية مصرية تدافع عن مصالح فرنسا في مصر سواء كانت اقتصادية أو سياسية ولكنها لا تهمل المصلحة المصرية وهي تقر للحكومة الحسنة وتبين لها السوء وهي أكثر الصحف

(١) مجموعة الاوامر المالية عام ١٨٨٤ ص ٤ (٢) الأهرام ١٠ مارس ١٨٨٤

المسيحية عناية بمصالح الوطنيين وأحياناً تشتد في نقدها كما أكثر الصحف
الوطنية تطرفاً ،

ويذكر بعض خصوم الأهرام اتصالها بفرنسا كعار لا يمكن أن تمحوه
المواقف الوطنية المشرفة ؛ وفي هذا من التجني ما لا يقبله المؤرخ العادل ، فالأهرام
بقيت في تاريخ مصر الحديث عشر سنوات تحمل لواء المعارضة وحدها وتجيبي
ميت الرجاء في نفوس المصريين ، وهي التي نقلتهم من الذهول إلى يقظة مهتديت
للحزب الوطني وجوده ، وليس يعيبها بحال أن تعجب بفرنسا أو تعمل لها مادامت
« لاتهمل المصلحة الوطنية » (١) ولا يضيرها هذا في التاريخ وبعض الأمم تعجب
ببعضها وتعمل لها وتؤمن بمبادئها حتى لا تسلم أحياناً من تعريض استقلالها
ووجودها لخطر قريب أو بعيد ، وتاريخ الأهرام في الأعوام التي تلت الاحتلال
أفضل من تاريخ مجالس مصر النيابية وأعز عند المؤرخ منها ، وأن مصر نفسها لم
تختلف عن الأهرام في إيمانها بفرنسا وأملها فيها ، وعند ذلك تتفق الأهرام
ومصطفى كامل زعيم النهضة قبل الاتفاق الودي .

وإذا كان حظ الأهرام عند المصريين والسلطان والفرنسيين حظاً موسوماً
بالتقدير والاعجاب فإن الحكومة المصرية ومن وراءها رجال الاحتلال لا يرون
فيها هذا الرأي وهي تؤرق حياتهم بما تنشره من مقالات وأحاديث ، لذلك قررت
الحكومة تعطيلها شهراً « لأنها نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش سلطة
واعتبار الحكومة الخديوية » (٢) ولأسباب التعطيل نواح خفية لم يتضمنها بالطبع
أمر الإغلاق وأهمها رسالة مديرها من لندن المنشورة في ١١ أغسطس ١٨٨٤
فقد عرض فيها بشارة إلى أحداث مصر وغمز الحكومة المصرية يعتبر جارحاً في
تلك الأيام (٣) وفي ذلك تقول (العروة الوثقى) إن أسباب غلقها « نشر رسائل

(١) الشعب في ٨ مايو ١٩١٢ (٢) الوقائع ٢١ أغسطس ١٨٨٤

(٣) الداخلية ملف ١١ - ٢ - ٩٤٦ ج ١

مدير الجريدة وهو في لندن على ما فيها من بيان بعض مساوىء السياسة الانجليزية على خلاف رغبة الباشا - تقصد نوبار باشا - وقيل إن السبب نشر التشكر الذى قدم الى المدير والمحرر من أعيان البلاد ودلالة على استحسان مشرب الجريد (استقباح سياسة الإنكليز) « (١) ومهما تكن الأسباب الظاهرة والخفية فإن الأهرام عطلتها الحكومة شهرا. وإذا لم يكن المصريون يملكون ما يحول دون تعطيلها فإن القنصلية الفرنسية أثارت ضجة خطيرة لهذا الموضوع، وتبدأ قصة هذا الكفاح ببرقية إلى الداخلية من أحد موظفيها ينبئها فيها بأنه « صار اعلان قرار بتعطيل جورنال الأهرام إلى سليم بيك تقله نفسه في صباح تاريخه الساعة ٦ أفرنكى بعد توقيفه الكلى مع غلق المطبعة وتعلقه والختم على بابها بختم المحافظة وتعيين اثنين بوليس غرفة على الباب المذكور. وبعد نهو ذلك حضر مندوب من قنصلاتو فرانس وأمرنا بالخروج من محل مكتب الجورنال الذى كنا فيه لأجل تحرير المحضر فأورينا أن مأموريتنا انتهت وانصرفنا. ثم يبعث القنصل بكتاب إلى المحافظة يحتج على ذلك أشد الاحتجاج ويوضح له أن عمل الحكومة كله عمل غير قانونى من جميع الوجوه وفيه من الظلم ما لا يحتمله وهو اعتداء على كرامة القنصلية الفرنسية لا يقبل معه اعتذار كتابى أو شفهي قبل أن تفتح مطبعة تقلا بحضور ممثل القنصلية، ثم يهدد المحافظ بأنه سيكتب للقنصل العام فى القاهرة ليطلب الاعتذار الرسمى على إهانة السيادة القنصلية التى صدرت عن السلطات المحلية وعلى رأسها محافظ الشجر، وأرسل القنصل كتابا بمائلا لوزير الداخلية وإن صيغت عبارته فى ألفاظ رقيقة. ويبعث محافظ الاسكندرية ببرقية إلى ناظر الداخلية ينبئه فيها بمضمون كتاب القنصل وأهم ما فيه احتفاظه بحقوق صاحب الأهرام وطلبه رفع الأختام فى غضون نصف ساعة، بيد أن الوزير أمر المحافظ بتنفيذ التعليمات على ضوء ما أرسل اليه من رئيس النظارة. ويبدو أن القنصلية الفرنسية عجزت عن أن تحول دون تعطيل الأهرام فأوعزت إلى صاحبه باقامة الدعوى

على الحكومة أمام المحكمة المختلطة في ٢٧ أغسطس عام ١٨٨٤ (١) غير أن هذا الموضوع لم يقض فيه .

هذه هي إحدى الحوادث التي أنكر اللورد كرومر وجودها حين تحدث عن الصحافة المصرية في سنة ١٩٠٣ وهي أبرز حوادث الصحافة الوطنية إذ ذلك لأن الأهرام (٢) كانت تمثل في مصر المعارضة وتمثل مع غيرها المصالح الفرنسية وتعبر من ناحية أخرى عن سخط الباب العالي على الحالة في القطر المصري ، فهي حادث من حوادث مصر البارزة وتعطيها لون من ألوان الضغط على الحريات العامة .

لم يذكر اللورد كرومر هذا الحادث ولم يفصل تاريخ الوزارة النوبارية مع الصحف وهو تاريخ حافل كان تعطيل الأهرام مثلاً من أمثلته . وكان قرار هذه النظارة بمنع جريدة (العروة الوثقى) من الدخول إلى مصر مثلاً ثانياً للضيق بالرأى الحر فقد أصدر مجلس النظار في أول مايو عام ١٨٨٤ قراره هذا « حفظاً للنظام العمومي » (٣) وسيأتي الحديث عنها في فصل خاص بالصحف المصرية في الخارج . ثم الغيت الوطن في نفس السنة (٤) لأن صاحبها « نهج في جريدته منهج عدم الاستقامة المخالفة بنشر الجمل والأخبار المشوشة للأفكار والموجهة للقلق والاضطراب » (٥) . ومن الغريب حقاً أن تلغى الوطن وهي من الصحف

(١) محفوظات الداخلية ملف ١١ - ٢ - ٩٤٦ ج ١

(٢) أصدر بشاره تقلاً جريدة الشرق ، ورخصت له بذلك الداخلية في ٢١ مايو عام ١٨٨٣ ثم غير اسم الشرق بالنيل في ٧ مايو عام ١٨٨٧ ونقلت الأهرام إلى القاهرة في أول نوفمبر عام ١٨٩٩ ورفضت الداخلية إصدار الجريدة بالاسكندرية أو إصدار صحيفة فرنسية في القاهرة . ثم تغلب أصحابها على العقبة وأصدروها في الشفر باسم (الأهرام طبعة الاسكندرية) ثم غيرت إلى صدى الأهرام (راجع الداخلية المصدر السابق)

(٣) الوقائع المصرية في ١٥ مايو عام ١٨٨٤

(٤) الوقائع المصرية ١٢ مارس ١٨٨٤ (٥) الداخلية دوسيه رقم ٤ مكرر

الموالية لرئيس الحكومة الذي أصدر الأمر بالغائها فهي تستقبل الحكومة بعد الثورة العربية والاحتلال استقبالا منقطع النظير وهي تحمل على العرايين وإن مزجت الحملة بلون من التعصب الديني (١) وهي تحمل على استبداد النفي بحكم الإعدام في قضية عرابي حملة استغرقت معظم الصفحة الأولى منها فإذا أحست أن هذه الحملة آلمت الإنجليز وهم أصحاب الرأي في استبدال هذا الحكم اعتذرت بقولها «قد رأينا أن ندفع ما علق بأوهام البعض من أننا ندنا على إنكلترا في مصر والحال أننا لم نأت شيئا إداً ولم نخرج عن الحد أبداً ولم نستعمل حدة ولا شدة في كلامنا على نديحة محاكمة البغاة بل أن جريدة (الوطن) دون غيرها طالما دافعت عن سياسة إنكلترا ونشرت ما أثر أهلها ومكارم أخلاقهم ولما اشتد كرب تلك الفئة الباغية كنا نتمنى لو أتت دولة البرابرة لتتخذنا من مخالفيها فما بالك بدولة بريتانيا المتمدنة المشهورة بحسن السياسة ومزيد الكياسة ودهاء الرجال وسداد الأعمال فهل يظن أن يقابل معروفها بالغمط والكفران» (٢).

كان من الغريب حقاً أن تلغى جريدة (الوطن) وهذه هي سياستها وهي سياسة موالية أشد الولاء للإنجليز ورجالهم من المصريين، وأكبر الظن أن عقابها كان فجاً وعلى غير أساس لأنها عادت إلى الحياة بعد يومين من صدور أمر الإغلاق (٣). ومن الحوادث الصحفية التي أغفلها كرومر في تقريره إغلاق (مرآة الشرق) بقرار من مجلس النظار وهي من الصحف الوطنية القديمة التي طبعت بطابع الإخلاص والتضحية والمعارضة للاحتلال ورجالها وتعريب ما يقال فيهم بما يسوء صاحبها وكذلك الغيث جريدة (الزمان) بقرار من مجلس النظار في ٢٩ يولييه عام ١٨٨٦ (٤) وأندرت (الصادق) بقرار من وزارة الداخلية في ٢٥ سبتمبر لأنها نشرت مقالة تضمنت «كثيراً مما يشوش الأفكار ويخدش

(١) الوطن ٢٥ نوفمبر ١٨٨٢ (٢) الوطن في ٩ و ١٦ ديسمبر ١٨٨٢

(٣) الوقائع المصرية ٣١ مارس ١٨٨٦ (٤) الوقائع المصرية ٢ أغسطس ١٨٨٦

الأذهان « (١) وهذه الجريدة من الصحف المعارضة للاحتلال ، وقد أنشئت بإيعاز من مختار باشا الغازي المعتمد السلطاني في مصر بعد تعطيل (مرآة الشرق) وكلتاها من الصحف التي تربطها بتركيا وسياستها أقوى الروابط (٢)

هذه هي حوادث الصحافة المصرية العربية في السنوات الأربع الأولى من الاحتلال البريطاني وكانت جديرة بأن يتحدث اللورد كرومر عنها لا أن يهملها ويهمل ما جاء بعدها من الحوادث الخطيرة في حياة الصحف المصرية ، بيد أنه أبقى تسجيل حوادثها وأخفى أزماتها عن حكومته وبرلمانه فلم يعلق عليها بحرف .

ولست الصحافة المصرية العربية وحدها التي استبد بها الاحتلال بل أن الصحافة الأجنبية في مصر عانت من ضغطه وضغط رجاله مثلما عانت الصحف المصرية الحرة ، وأبرز المشاكل الصحفية لهذا العهد تعطيل جريدة (لوبوسفور أجبسيان Le Bosphore Egyptien) فهي صحيفة فرنسية النزعة تحتمى بالقنصلية الفرنسية ، دأبت على الخط من الاحتلال وتسوية سمعته وتلميع نقائصه ونشر فضائحه ، وهي من خصوم نوبار المعارضين له وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية معا ، وقد مضت (لوبوسفور أجبسيان) تعارض كرومر وسياسته في عنف وشدة وهي أول من أشار إلى الخلاف بين وكيل الداخلية والنائب العام بالمحاكم الأهلية وكلاهما انجليزي وهي تروى نبأ هذا الخلاف كفضيحة من فضائح العصر (٣) ثم أذاعت منشور المهدي ، وقد نشرته جريدة الفلاح في ١٥ يوليو عام ١٨٨٦ - الذي يتحدى فيه الحكومة المصرية ويدعو للثورة عليها وكان نشر هذا المنشور السبب المباشر الذي من أجله قرر مجلس النظار في ابريل عام ١٨٨٥ تعطيلها واقفال مطبعتها . وأثار حادث تعطيلها واقفال مطبعتها أزمة حادة بين

(١) مجموعة الاوامر العالية ١٨٨٦ - (٢) طرازي ج ٣ ص ٣٠

(٣) لوبوسفور أجبسيان في ٢٩ مارس ١٨٨٤ (١)

الحكومة المصرية والحكومة الفرنسية ، وقد وقفت الحكومة البريطانية إلى جانب مصر في أول الأمر لأن عماد الجريدة يلد للسلطتين معاً لأنها خصصتهما جميعاً ، وتروى (لوبوسفور أجبسيان) مراحل الأزمة فتذكر أن الحكومة المصرية طلبت من القنصلية في ٨ أبريل بعث مندوب لها ليشهد عمليتي التعطيل والاعلاق فكان رد القنصلية احتجاج قنصلها على ذلك ، بيد أن الحكومة أهملت احتجاج القنصل ومضت في تنفيذ قرارها وصادرت الجريدة وأقفلت المطبعة ، وأراد وكيل القنصلية أن يتدخل فأهين من السلطات المصرية ، فبعث القنصل العام لفرنسا في مصر إلى حكومته بمضمون ما حدث ولما كانت هذه هي المرة الثانية التي تهان فرنسا فيها ، فقد هددت بقطع العلاقات مع الحكومة المصرية إذا لم تعتذر الحكومة وتعيد الجريدة والمطبعة إلى الحياة ، ورأى الإنجليز المسئولون في مصر أن الأزمة قد بلغت حداً قد يؤثر في علاقات فرنسا وإنجلترا فتخلوا عن مصر ونصحوا لها بحل الموقف مهما يكن الثمن ، ففتحت المطبعة بدون قيد ولا شرط ، وذهب نوبار باشا بملابسه الرسمية إلى معتمد فرنسا وقدم اعتذاره رسمياً في ٣ مايو ١٨٨٥ وعادت الجريدة إلى الظهور في ٢ مايو من السنة المذكورة (١) وصدر كتاب أصفر يحتوي على المحادثات التي دارت بين الحكومات الثلاث (٢) وخسرت مصر بذلك الموقف خسارة أديبة لم تهتم الإنجليز في شيء غير أن هذه الأزمة التي حدثت بين الحكومات الثلاث قوت ساعد الأهرام ، فإن فرنسا قد كسبت المعركة وخسرتها الحكومة المصرية ومن ورائها المحتلون ، ونحن نعني بالأهرام وحدها في تاريخ صحافة ذلك العهد لأنها الجريدة الوحيدة التي عارضت في أسلوب عف وناقشت خصوصاً في عبارات معتدلة ، مع أنه كان بجانبها صحفيون « من أهل اللهجة العربية » ينشرون صحفهم وبعضها معارض ، غير أنها صحف كما تقول الحكومة

ويصدقها الواقع تعلم «الفحش والبذاء المفسدين لأخلاق العامة» (١)
قوى انتصار فرنسا في الأزمة الصحفية السابقة جريدة الأهرام؛ فاشتدت
معارضتها وحملت على الإنجليز وسياستهم في جميع أعدادها، وإذا نسي المجلسان
النيابيان وظيفتهما اللينة التي يجوز فيها لفت النظر أو إبداء الرغبة فإن الأهرام لم
تقف عند المعارضة الودية بل دعت إلى الجلاء وألحت فيه وهي تؤرخ للسياسة
الانجليزية في مصر التي بدأت منذ سنة ١٨٤٠ بإثارة أوربا على محمد علي باشا ثم
«نراها قد احتلت مصر» وتحمل على إنجلترا وتسمها بأقبح الأوصاف فهي عندها
أمة «كل يوم في شأن وكل ساعة في خطة» أما وعودها بالجلاء عن مصر فهي
مواعيد عرقوب «فإننا على ذلك لا نرى انكثرتنا وتني وعدا ولا تحفظ عهدا.

- ولا تمسك بالعهد الذي وعدت إلا كما يمسك الماء الغرابيل (٢)

وهي تعنى أشد العناية بمؤتمر الآستانة، وكانت وظيفة هذا المؤتمر التفكير
في أمثل الطرق لحل المسألة المصرية، وهي تعرض التيارات المختلفة بين الدول
وصحافتها المتباينة ثم تعلق في اتزان وعمق على ما يدور هنا وهناك (٣)

وكانت الأهرام أكثر الصحف انتشارا لأنها كانت الجريدة الوطنية الوحيدة
كما يؤيد ذلك محمد فريد بك رئيس الحزب الوطني (٤) وكان يقرؤها الرأي العام
النابه في خاصته والرأي العام القارىء في مجموعة المتعلمين، وقد أصبحت دعامة
من دعائم حرية الفكر، فلا غرو أن أثرت معانيها في أعضاء مجلس شورى
القوانين فقد بقي هؤلاء الأعضاء في موقف سلبي زهاء عشرة أعوام، منذ أنشئ
مجلسهم، بيد أنهم برموا بالمستشار الإنجليزي فرفضوا ميزانية عام ١٨٩٣ لأنه لم
يعرضها قبل الموعد المحدد لظهورها بوقت كاف وهذا موقف جديد بالنسبة لهذا

(١) الأهرام في ٣١ أكتوبر ١٨٨٤ (٢) الأهرام في ٢ يناير ١٨٨٧

(٣) الأهرام في ١٢ مايو وأول يوليو و ١٣ يوليو ١٨٨٧

(٤) نقلا عن Jeune Turc في ١٦ يناير ١٩١٠

المجلس (١) والأهرام تذكى هذه اللفتة الجديدة وتحذر الأعضاء من الشراك
التي تنصب لهم في الخفاء (٢) فإذا بهم يظهرون استياءهم من اتصال العميد
البريطاني ببعضهم ثم يرفضون اعتماد نفقات جيش الاحتلال . وهو أول موقف
كريم عرف لهذا المجلس ، وقد ساء الصحافة الإنجليزية هذا الموقف وساءها
انضمام رياض باشا إلى الأعضاء وإعلانه مشاركة الحكومة للمجلس فيما ذهب
إليه عن الجلاء (٣)

تنشر الأهرام هذه المواقف الجديدة في حياة مجلس الشورى وتمتدح أعضائه
ثم تفسح صدرها للمصريين الذين آن لهم أن يتنفسوا ويخرجوا من بأسهم وقنوطهم
فقد فقدوا الحرية والاستقلال معاً ، وانحلت المقاومة الأهلية وأصبح الاحتلال
معنا على مرافق الحياة العامة ومصالح الدولة ووزاراتها جميعاً ، وليس في ميدان
المعارضة جريدة ذات اعتبار إلا (الأهرام) ، فكانت للوطنيين نعم السند والنصير
وفي ذلك الوقت ظهر في بيئة الوطنيين قتي له في تاريخ مصر وصحافتها الشأن
الأول إذا كانت الحياة جهاداً وكفاحاً حقاً ، واحتفلت به جريدة الأهرام وفسحت
صدرها لقلبه ، فكانت أهم مقالاته فيها مقالة استغرق صفحتها الأولى عن الوعود
"الصريحة" وعود الجلاء المتكررة من الإنجليز ، وهو بوجه المعارضة في عنف وشدة
قلما رأى الاحتلال مثلها في صحيفة عربية فإن الإنجليز بمحافظتهم على هذا
الاحتلال الثقيل « قد تذكروا لأعز شيء » يتباهون به ويفخرون أعني بذلك
الشرف البريطاني الجليل الشأن الرفيع البنيان « ثم يعقب على هذا المقال في يوم
آخر بحديث جرى بينه وبين السير بارنج له خطره ومكانته كعمل صحفي ، وله آثاره

(١) الرافعي . مصطفي كامل ص ٣٤٧ - ٣٥٢

(٢) الأهرام في شهرى نوفمبر وديسمبر عام ١٨٩٣

(٣) راجع تقرير الحكومة الذي تلاه رياض باشا في مجلس الشورى في ٢٣ ديسمبر

كعمل وطني (١) وتمدد الأهرام في رحابها لمصطفى كامل فقد استنكر هذا المعارض
الوطني الجديد انشاء (المحكمة المخصوصة) وهي محكمة ألفت لمحكمة الأهالي الذين
يعتمدون على الجنود الإنجليز وهي لا تتقيد بقانون العقوبات ، فنشرت له احتجاجا
نارياً على إنشاء هذه المحكمة بعنوان « صواعق الاحتلال » (٢)

ينسكركم اللورد كرومر هذه المواقف جميعاً لأنه اختط لنفسه خطة جديدة قد
تسكفل له البطمانينة على مركز الاحتلال في مصر ، فإذا كان في غير مقدوره
أن ييطش بالصحف والصحفيين خوف الرأي العام الإنجليزى أو المشاكل الدولية
كما حدث في موضوعي (الأهرام والبوسفور أجسيان) فلا بأس أن تكون في
مصر صحافتان ، صحافة حرة مطلقة تتحدث بما تشاء كالأهرام مثلاً وبعض الصحف
الصغيرة الأخرى ، وصحافة أخرى حرة مطلقة أيضاً تعمل لحسابه (كالمقطم) وهو
مطمئن إلى هوان الأولى لأنها عزلاء من المال ومن الأخبار يساط عليها سيف
قانون العقوبات ، وهو مطمئن إلى خطر الثانية بما ينفجها هو من مال ، وما تقدمه
لها الدولة من إعلانات وأنباء ، وقد رأى العميد الإنجليزى أن يحارب الصحافة
بالصحافة ، فأوعز إلى أصحاب (المقتطف) أن ينشئوا صحيفة يومية سياسية تنافس
الأهرام وتعارضها وتحمي المصالح البريطانية كما كانت الأهرام تؤيد المصالح
الفرنسية ، فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكار يوس إلى إدارة
المطبوعات في ١٨ ابريل عام ١٨٨٨ يرجون الترخيص لهم بإنشاء « جريدة سياسية
تجارية غرضها خدمة الوطن واسمها (المقطم) ويكون صدورها يومياً ، وهم
يعتمدون في طلب الترخيص على سمعتهم الصحفية ومراعاتهم في كل أقوالهم
وكتاباتهم « صالح العموم » وهذه « شواهد مقبولة لديكم على إخلاص نيتنا وحسن

(١) الأهرام في ٤ و ٢٨ يناير ١٨٩٥

(٢) الأهرام ٤ مارس ١٨٩٥ وقد ذكر لنا المرحوم جبرائيل تقلا باشا أن

مصطفى كامل كانت له حجرة خاصة في الأهرام يستقبل فيها أنصاره

طويتنا ومراعاتنا لقوانين «كومتنا السنوية» (١) ورخصت نظارة الداخلية «إدارة المطبوعات» للشركاء الثلاثة باصدار (المقطم) في ٢٩ ابريل عام ١٨٨٨ وهم ينالون الترخيص كرعايا مصريين وفي ظل الخديوى ، غير أن تاريخ المقطم في سنواته الاولى ينقض ما جاء في طاب ترخيص أصحابه وتقول في ذلك جريدة (الشعب) وهى تؤرخ (المقطم) إنه «انجليزى صرف وكل أعمال الحكومة ممدوحة لديه ، وهو يترجم ويطبع تقرير المعتمد» (٢) ويقول محمد بك فريدان الإنجليز أنشؤه ليدعو لسياستهم (٣) وأعلن المستر بلنت فى أوربا « أن وزارتى الحربية والداخلية دفعتا لصحيفة المقطم مبلغا عظيما من المال لتدافع عن تصرفات الإنجليز فهما ، ويقرر الأستاذ أمين عبده المحامى أن المقطم دأبت على التعرض للخديوى فأراد أن يقدمها للمحاكمة بمقتضى قانون المطبوعات الصادر فى عام ١٨٨١ فأعلن كرومر أن هذا القانون قد جبه قانون المطبوعات فى المادة ٢٥ من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية و لا يوافق على تقديم المقطم للقضاء لأنه من أنصار حرية الرأى وحرية الصحافة وأر — هذه الحرية من قواعد العدالة التى جاء بها الإنجليز إلى مصر (٤)

وتقول عنها (الاتحاد المصرى) وهى إحدى معاصراتها فى ١٢ سبتمبر ١٨٨٩ « إن هذه الرقطاء تحاول الجمع بوقت واحد بين المتخالفين فهى تتزلف تارة بالمقال وتستعين بالتدليس والخداع حتى تخيل للمصريين أنها عريقة الحسب وأن بينها وبين رجال مصر قرابة ونسب . . . »

هذا بعض ما ذكره المعاصرون من المصريين والإنجليز عن (المقطم) وسياستها وهم يقطعون بأن سياستها انجليزية وأن دارالوكالة البريطانية حالت دون سلطان الحكومة المصرية ودون عقابها مع أن أصحابها من الرعايا المصريين ، وهى خصيم

(١) وزارة الداخلية دوسيه رقم ١ (٢) الشعب ٨ مايو ١٩١٢
(٣) جون تيرك ١٦ يناير ١٩١٠ (٤) الشباب ١٦ مارس و ٢٠ ابريل ١٩٢٦

للخديو تعرض بمقامه مع أنها نشأت ، في ظل الحضرة الفخيمة الخديوية ، ولا
عذر لنا إن أنكرنا هذه الحقائق التاريخية فقد حفلت فعلا بمقالات الإعجاب
بالاحتلال وتقدير رجاله ونالت من الخطوة ما جعل مصالح الحكومة في خدمتها
تمدها بالأخبار جليلها وتافهها ، بينما حرمت الصحف الأخرى منها حتى استطاعت
نشر بعض الأحكام القضائية قبل النطق بها بعدة أيام (١) وهي تدافع عن أصدقاء
الانجليز المصريين كمصطفى فهمي باشا فتعرض لاستقالته وتودعه في مقال طويل
كله إعجاب به وثناء عليه ، وهي تمزج تقديرها له بتقدير الانجليز وسياستهم الطيبة
نحو مصر (٢)

ولا تقف المقطم عند هذا الحد من موادعة أنصار الاحتلال وملاطفتهم بل
تذهب إلى أكثر من ذلك فتعاود الحديث عن الحكومة الفهمية البغيضة إلى الخديو
والوطنيين ، وتذشر للمصريين تهديد الانجليز وتسخيف فكرة الوفود التي ذهبت
إلى عابدين تأييداً للخديو ، ويستشيط طلاب المدارس العالية غيظاً فيهمجون على
(المقطم) وإدارتها في ٢٠ يناير ١٨٩٣ إعلاناً بسخطهم على موقفها من شعور
المصريين (٣) والمقطم لا تثني على الانجليز أو أصدقائهم في مصر فحسب بل إن
سياستها تتجه إلى مناوأة السلطان والجملة على تركيا وهذه الجملة ركن من سياستها
العامة ، (والاهرام) و (الوطن) تناوأنها فيما ذهبت إليه وتعرضان على قرائهما
هذه الجملة (٤) وتبينان خطرهما حتى استاء الرأي العام من المقطم وسياستها
فاضطرت الحكومة إلى إنذارها في ابريل ١٨٩٣ وقالت في إنذارها « قد رأينا
مع الأسف أن جريدة المقطم نشرت من زمان بعض مقالات وبعض مكاتبات
تمس دولتنا العلية وحيث أن الحكومة الخديوية لا تسمح بذلك مطلقاً فقد أصدرنا

(١) نشرت الحكم الصادر ضد جريدة البوسفور قبل النطق به بأسبوعين (راجع الشباب

في ١٦ مارس ١٩٣٦) (٢) المقطم في أول مايو ١٨٩٣

(٣) الرافعي - مصطفى كامل ص ٣١٠

(٤) الاهرام والوطن في أواخر وأوائل ابريل ١٧٩٣

هذا الإنذار إلى تلك الجريدة حتى تنكشف عن هذه الخطة « (١) .
نجحت سياسة كرومر التي لم يشرحها في تقريره آنف الذكر من حيث محاربة
الصحافة بالصحافة فقد تمكنت (المقطم) من الذبوع والانتشار وكانت خصما
لا يستهان به في إخراجها وتحريره ، ولم تعد (الاهرام) باتزانها و(الوطن) بتفاهة
تحريرها قادرتين على مواجهة حماسة (المقطم) ففكر الوطنيون في إنشاء صحيفة
وطنية يكون في مقدمتها تسفيه المقطم ومحاربة الاحتلال ، وساعدت الظروف
الوطنيين وواتهم بحكومة تعطف على فكرتهم ، فاجتمع لطيف باشا سليم
الحجازي وحسن باشا عاصم و ابراهيم الهلباوي وغيرهم واستقر رأيهم على أن
يتولى حجازي باشا عرض فكرة إنشاء صحيفة على رياض باشا ، على أن تحارب
الاحتلال وتعلن أخطائه وتنشئ الأحداث على كراهيته ، ولم ير رئيس الحكومة
مانعا يحول دون إنشاء (المؤيد) (٢) فصدرت في أول ديسمبر ١٨٨٩ لصاحبها
الشيخ علي يوسف من أئمة الصحفيين في ذلك العصر وصاحب مجلة (الآداب)
ومن تلامذة الأفغانى المؤمنين بمبادئه واتجاهاته . ومن أهم أغراض المؤيد كما تقول
خطته « بث الأفكار المفيدة والأخبار الصادقة والمبادرة إلى نشر الحوادث الداخلية
من باب الاعتبار والتحذير أو الترويح والتبشير . . . غير تاركة شأن التجارة
الداخلية والخارجية » (٣) وقد كانت (المؤيد) موالية لحكومة رياض عاملة
على بث الأغراض التي من أجلها أنشئت في هوادة وتؤدة ، وبذلك أغنت القارىء
المسلم الوطنى وأرضته .

أصبحت (المؤيد) مجالاً للأقلام الوطنية الناشئة في البيئة المصرية ، فكان
مصطفى كامل أحد كتابها المعروفين وإن لم يكن من أعضاء تحريرها ، وقد ذاع
أمرها واشتد ساعدها وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية في مقالات طويلة

(١) الوقائع المصرية في ٥ ابريل ١٨٩٣

(٢) الشباب العدد الثامن في ١٩٣٦ (٣) المؤيد في أول ديسمبر ١٨٨٩

المصنف
المرادف
المؤيد
القياس

جداً قد تبلغ الصفحة الأولى جميعاً (١) كما نشرت بحوثاً عن الاستعمار النمساوي في السودان (٢). وقد كانت (المؤيد) فريدة بين زميلاتها فيما نشرته من مقالات ضد الاستعمار أياً كان لونه أو مدهاه، وهي تدأب في الحملة على الأجانب كلما اتصلت ظروفيهم بالمسلمين في أى مكان من الأرض اتصال الظالمين بالمظلومين، ووجدت دار الوكالة البريطانية أن ساعد هذه الصحيفة الوطنية الجديدة قد اشتد وأنها تقرأ في بلاد الشرق جميعاً فأمرت بمنعها من دخول السودان، وحوربت بشتى الأساليب فكانت تصادر هنا وهناك دون علمها فلا تصل إلى مشتركيها (٣) ثم أطلقت الصحف الموالية للإنجليز أقلامها على صحيفة الوطنيين وما يلود بها من صحف كجريدة (المقياس) التي كانت تطبع في مطبعة (المؤيد) وتكتب مقالاتها بوحى من صاحبه وأنصاره وقد ذهبت (المقياس) مذهب التعصب الصريح للوطن والدين معا فحملت على (المقطم) حملات شعراء وأسماء للمسيحيين إساءات واضحة لا لبس فيها ولا إبهام (٤) فنشرت (المقطم) مقالا بعنوان « يضرمون نار التعصب وينكرون » وهي تذكر ما نشرته (المقياس) من نشر وشعر تدعو فيه إلى أن يسلم المسلمون « سيوفهم » ويقتلوا « الكافرين لأنهم زلزلوا صروح دين المسلمين » وتعتبر (المقطم) صاحب (المؤيد) جاهلاً بأداب المناظرة وتحمل على مصطفى كامل لأنه دعا إلى تسكريم (المؤيد) لأنها أقدر الصحف على الإساءة إلى (المقطم) وأصحابه، ثم تلفت الصحف الأوربية إلى ما تنشره (المؤيد) ثم تحتكم إلى الرأى العام ليحافظ على التقاليد الخديوية المشهورة بمنع التقسيم بين الرعية « وتبين للصحف العربية خطر دعوة (المؤيد) وأذنا به من الصحف وتوجه نظر جريدة (الحقوق) إلى ذلك « لأننا لا نجد جريدة أخرى بين الجرائد العربية التي انتصرت للمؤيد تستحق أن تذكر على مسمع أهل الفضل

(١) المؤيد في ٨ مارس ١٨٩٣ (٢) المؤيد في ١٤ فبراير ١٨٩٢

(٣) عن (المنبر) وهي تؤرخ للمؤيد في ٢٢ يناير ١٩١٦

(٤) المقياس العدد العاشر ١٨٩٥

والأدب» (١) واهتمت الصحف الأجنبية في مصر بعد مقال (المقطم) ومثلت هذا الاهتمام (لوبروجريه أجيبسيان) التي ردت على الشيخ علي يوسف وحملت على سياسته التعصبية ولفتت نظر الحكومة إلى هذا التعصب الذي من شأنه أن يعرض الأمن للاضطراب وحياة الأوربيين للخطر، لأن الشيخ علي يوسف يدعو إلى أن يقوم قسم من الشعب بذبح القسم الآخر (٢). وعندى أن مسأله التعصب، وإن صدرت في بعض المعاني التي نشرت في (المقياس والمؤيد) فانها ليست السبب في حملة (المقطم) أو الصحف الأجنبية الأخرى، وإنما الخصومة مصدرها تفوق (المؤيد) في الدفاع عن المصالح الوطنية وقدرة صاحبها على رد أصحاب (المقطم) وتسوية سمعتهم وفضح الاحتمال وتزمية الجماهير تربية استقلالية بما كانت تنشره من مقالات محررها أو أنصاره من الوطنيين.

وظهرت بجانب (المؤيد) صحيفة (الأستاذ) في ٢٣ أغسطس عام ١٨٩٢ وهي للسيد عبد الله النديم، صدرت أسبوعية «علمية تهذيبية فكاهية» نصيره للوطنيين وللخديو عباس الثاني، ويحمل صاحبها ما ذهبنا اليه في قوله عن احتجاب صحيفته إن الجرائد الفرنسية في مصر وانجلترا حملت عليه وادعت أنه متعصب للدين عدو للأجانب وقد برم بها اللورد كرومر فامر باغـالاقها كما فرض على صاحبها مغادرة مصر (٣).

لم يحتمل الانجليز جريدة (المؤيد) بيد أنهم لم يستطيعوا وقفها كما صنعوا بالأستاذ، فضت قدماً تؤرخ للصحافة المصرية ككفاحها في ذلك الوقت حتى بدأت التجريدة البريطانية المصرية في فتح السودان، ووقفت (المؤيد) موقف الخصيم لهذه الحملة مبينة ما فيها من خفض سلطان المصريين عليها، وقد دأبت على

(١) المقطم في ٢٨ سبتمبر ١٨٩٥ ✓

(٢) لوبروجريه إجيبسيان في ٣٠ سبتمبر ١٨٩٥

(٣) الأستاذ في ١٣ يونية ١٨٩٣ والرافعي . الثورة العرابية ص ٢٥٥

نشر أخبار الحملة برقا ومن بيدها البرقيات الدائرة بين الحربية وقادة الحملة ، وفيها من الأسرار ما يهز جوانب العملية الحربية الدائرة (١) فقدمتها الحكومة للقضاء ولكنه برأ ساحتها وأنقذ محررها .

وظهرت المسألة المصرية من جديد باحتلال الفرنسيين « فاشودة » في جنوب السودان وهي من أملاك مصر ، وتخرجت الأمور بين إنجلترا وفرنسا ، وظن الوطنيون المصريون أن فرنسا ستعاق إخلاء فاشودة على جلاء الإنجليز عن مصر وفي ذلك كتبت الصحف المصرية وخطب مصطفى كامل وأعدت (الأهرام) (والوطن) و (المؤيد) تاريخ الاحتلال البريطاني ونشرت وعود الجلاء التي صدرت من الإنجليز المسؤولين إلى سنة ١٨٩٨ غير أن هذا الحادث الذي بنى عليه المصريون آمالهم قد انتهى بانسحاب مارشال من فاشودة واستيلاء كتشنر عليها ، ولم توضع المسألة المصرية موضع البحث من جديد . ومنذ حادث فاشودة بدأ الإنجليز يشددون في معاملة المصريين ولا يتحرجون من إساءة الخديو فعزلوا النائب العام المصري حين قنش منزل صديقهم السيد توفيق البكري الذي نشر قصيدة ضد عباس الثاني ونصبوا مكانه إنجليزياً ، فقامت (المؤيد) على رأس الصحافة تحمل على هذا التصرف الذي من شأنه أن يخل بواجب المصريين نحو مليكهم الشرعي ويجعل الموظفين منهم عرضة للرفق أو عرضة لاهمال واجباتهم خوف الاحتلال وإذلاله .

لم تعد الصحافة المصرية منذ حادث فاشودة تعتمد كل الاعتماد على قوة أجنبية لترد لمصر استقلالها وتفرض على الإنجليز حلاهم عنها ، فأصبحت الصحف الوطنية تستنهض الهمم المصرية لتحقيق الأمان القومي ، وهي تطلب إلى المصريين أن يضعوا نصب أعينهم هذه الحقيقة الماثلة ، وكان يمثل هذا الرأي مصطفى كامل بما نشر من مقالات وأذاع من خطب في القاهرة والاسكندرية خاصة ، فقد اعتبر

هذا الزعيم الشاب أن حادث فاشودة دليل حسي على نفوذ فرنسا يدها من
المسألة المصرية. (١)

واتسع أفق الحركة الوطنية في مصر والخارج ومضى مصطفى كامل إلى أوروبا
وخطب هناك ونشر المقالات ، وكانت وكالات الأنباء تنقلها إلى جوانب المعمورة
و(الأهرام) تنشرها برقاو (المؤيد) تذيبها تفصيلا ، وقد برم الاحتلال بهذا
الفتى الوطني الخطيب الكاتب فرأى تجنيده ، وأذاع هافاس هذه المؤامرة وهاجت
الصحف لها حتى صحيفة الحكومة الشبه رسمية وهي (لوجورنال أجبسيان
Le Journal Egyptien) فقد حذرت الحكومة والاحتلال من ارتكاب هذا
الإثم (٢) وكانت الصحف الأجنبية في مصر تكاد تجمع على تكريم مصطفى كامل



مصطفى باشا كامل محرر اللواء

(١) هكذا كان رأيه فيما بعد . اللواء ١٨ ابريل ١٩٠٤

(٢) مصطفى كامل للرافعي ص ٨٤ - ٨٥

فقالت (لاريفورم) في ١٤ أبريل عام ١٨٩٦ في إحدى المناسبات « إن جهاده لجدير بالفخر ، ونشرت صحيفة (لوفار دالكسندري) تحية له في نفس اليوم ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا بعض صحف قليلة في مقدمتها (الاجبشيان جازيت) أغفل اللورد كرومر في تقريره الذي صدرنا به هذا الفصل الحركة الوطنية ونصيب الصحافة فيها كأنها كمهمل لا غناء له ، وقد عرضنا لتاريخ (الأهرام والمؤيد) وشرحنا نشأة (المقطم) وسياستها العامة ويجب أن نذكر أنه كانت هناك صحف أخرى أكثرها قليل الأهمية غير أن بعضها جديد على صحافة ذلك العهد في أسلوبه واتجاهه ، ويمثل هذه الصحافة جملة (حمامة منيتي) وهي « جريدة هزلية فكاهية انتقادية أسبوعية ، كما تقول أعدادها الكثيرة ، بيد أنها صحيفة غريبة تجرى في غير مستقر لها معقول ، وتعيش بطرق لا تقرها الصحافة الشريفة فهي تحمل على اليهود والأروام وتسب (المؤيد) وصاحبه (١) كما تحمل على (المقطم) ومحرريه (٢) وهو اتجاه كما يبدو لنا غير مفهوم ، إذ الحملة على أصدقاء الاحتلال وخصوصهم في اعتبارها سواء وإن لم تخل هذه الحملة من النكتة الرائعة والملاحظة العابرة واللفتة البارعة ، غير أنها جعلت من أغراضها الأولى « تأهيب الاحساسات العاهرة لخدمة الهلس الشريف واستئصال الجد العنيف » (٣) وقد صدر بجانب (المؤيد) والصحف الوطنية والاستعمارية الأخرى بعض الجرائد الغريبة في مشربها ، غير أن هناك صحيفة لا بأس بها زاملت المؤيد والأهرام وإن لم تجر في تيارهما هي صحيفة (المنار) وقد أنشأها السيد محمد رشيد الرضى في ١٥ مارس عام ١٨٩٨ وجعل من أهم أغراضها « الحث على تربية البنات والبنين لا الحط على الأمراء والسلاطين . . . » على أن تجتهد جريدته « في تأليف القلوب المتنافرة ووصل العلائق المنقطعة وجمع الكلمة المتفرقة . . . » وتنبه العثمانيين على أن

(١) حمامة منيتي ١٩ ذى الحجة ١٣١٦ (٢) حمامة منيتي العدد الثاني

(٣) حمامة منيتي في ٢٣ فبراير ١٨٩٧ . غرة شوال ١٣١٥

الشركات المالية هي مصدر العمران وينبوع العرفان» ثم يقول عن مذهب الصحيفة
السياسي إنها «عثمانية المشرب حميدية اللهجة تحامي عن الدولة العلية بحق وتخدم
مولانا السلطان الأعظم بصدقة وتتحامى المطاعن الشخصية والأماديج الشعرية» (١)
ويؤرخ رشيد لها في كتابه عن الأستاذ الإمام فيذكر أن الشيخ محمد عبده
فرض شخصيته عليها وقرر ألا تنتمي لحزب من الأحزاب والألا ترد مجاملة الصحف
لها، وأنها ينبغي أن تكون أكبر من خدمة الكبراء بل يحسن أن تستخدمهم
هي، وأن الأستاذ الإمام صاحب تسميتها وقد روج لها في جميع الأوساط حتى
عند الخديو نفسه (٢) وقد أظهر اتجاهها وأسلوبها أنها كانت بحق صحيفة الشيخ
ولسانه ومهما يكن أمر دفاعها عن السلطان والمسلمين فإنها حرصت على تجنب
الاحتلال وكفاحه، ومصدر هذا الموقف فيما نعتقد الصلات الطيبة الناشئة
بين وليها محمد عبده ورجال الاحتلال في مصر.

وفي ختام القرن التاسع عشر لم تكن للوطنيين صحيفة ذات ذكر من حيث
أهميتها عند الاحتلال إلا المؤيد سواء المؤيد العربي اليومي أو المؤيد الفرنسي
الأسبوعي، وهو رجع الصدى لأهم ما نشر في زميلته اليومية، وقد لوحظ على
هذه الصحيفة الوطنية فتور من حيث ترحيبها بمقالات مصطفى كامل أو العناية
بالمسائل العليا التي تتصل بحياة مصر، فقد حدثت اتفاقية السودان المعروفة في
سنة ١٨٩٩ ولم تنشر المؤيد شيئاً عنها إلا بعد اعتمادها من الطرفين المصري
والانجليزي، ويبدو غريباً أن تهمل التحدث عنها جميع الصحف المصرية قبل
التوقيع عليها، غير أن المؤيد توضع موضع المؤاخذة إن هي أهملت أمراً كهذا
الأمر وهي المعروفة بقدرتها على تسقط الخبر وتاريخها في حادث التلغراف أشهر
من أن يذكر. ولم يرتح الوطنيون للفتور الذي خيم على جهاد (المؤيد) واللين
الذي تخلل سطوره في معارضة الانجليز والتجهم الذي بدا من صاحبه في تأييد

X الوطنيين ، فأعد مصطفى العدة لإنشاء (اللواء) ١٨٩٩ ثم صدر العدد الأول منه في ٢ يناير ١٩٠٠ (أول رمضان ١٣١٧) ويتحدث منشئه عن الأسباب في تسميته باللواء حيث يخفق عند هذا الاسم كل قلب وتجتمع أصدق الآمال « أما خطة الجريدة فهي خدمة الوطن والاسلام بأشرف السبل وأنفعها . . . والسعى وراء الاتحاد والاتفاق بين المصريين وبعضهم من جهة وبين كافة المسلمين من جهة أخرى والعمل لتربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية وترقية التجارة والصناعة . . . وهو يحدثنا عن أبواب الصحيفة وهي « المنبر العام » وباب « أوروبا والإسلام » وباب « أخلاق وآداب » ، وباب « بريد العالمين » وفيه أخبار الخارج ثم خصص فصلا بعنوان « آيات الوطنية » وهو للقصاص الوطنية في تاريخ الأمم والشعوب المختلفة ثم يختتم الكاتب مقدمته بالدعاية للسلطان و« عزيز مصر وأميرها عباس » . ويعتبر إنشاء (اللواء) مفترقا للطرق في صحافة مصر الوطنية إذ ذلك فقد حمل علم الجهاد وحده تقريبا في إيمان الواثق بحقه المؤمن بعقيدته ، وستكون (اللواء) فيما بعد لسان حزب لعب في حياة مصر دوراً كبيراً ، وهي الصحيفة الوطنية التي كان نظام العمل فيها مثلاً يحتذى من حيث التحرير والإدارة وهي الصحيفة الثانية التي استخدمت الآلة الكهربية في طبعتها ، ومن أولى الصحف التي عنيت بمادتها وفسحت صدرها لجليل الأمور وخطيرها في صفحات ثمان ، وهي أول الصحف المصرية التي نشرت أخبار مصر وخطب المسؤولين فيها ووصفت الحفلات الكبيرة بالبرق ، ومحورها أول من ألف الشركات الكبرى للصحافة بالتزاماتها القانونية كما يحدث في أوروبا عادة (١)

وإذا صح ما نشرته جريدة (الاكسبريس) في ٢٣ أكتوبر ١٩١٥ عن مالية (اللواء) فإنه كان أغنى الصحف المصرية فيما خلا (المقطم) و(الأهرام) ، فقد قدرت موارده من هنا ومن هناك بثمانية وثمانين ألف جنيه مصرى وهو مبلغ فيما نعلم قادر على تقديم الصحيفة بين زميلاتها خير تقديم ، بجانب رأس مالها من الوطنية

الضحيحة وحرارة كاتبها وشيعته من الوطنيين المعروفين ، وقد أورد مصطفى كامل
(باللواء) صحيفة شهرية تشتمل على خلاصه لأطيب ما أذيع في (اللواء) اليومية
من رأى أو مقال (١) ولا يؤخذ على اللواء في نشأتها الأولى إلا حماسها الدافقة
لتركيا وخلافتها ؛ وذلك لاعتقاد المحرر بأن الخلافة في الدولة العلية يقوى بها الدين
الاسلامى ، وهو يرى أن فصل السلطتين المدنية والدينية يقضى عليهما معاً (٢)
وذلك رأى قد أنكره التاريخ وينقضه كيان كثير من الأمم التي فازت بالخير
عند ما تم فصل هاتين السلطتين . وقد اتجه اللواء اتجاهاً آخر قد لا يتفق معه
كثيرون من أبناء جيلنا الحالي الذي لا يؤمن برجعية المرأة ويجب لها التصرف
في الشؤون تصرف الرجال ، أو يعتدل فيرجو لها بعض الحقوق التي أبتها (اللواء)
في مقالاتها الاجتماعية بين آن وآن ، وأظهر هذه المقالات الرجعية صحيفة
نشرها محمود سلامة الأديب المعروف وفيها يدعو إلى الحجاب والحجاب الثقيل ،
ويعيب على جيله نشاطه في خصومة الحجاب وتجاوزه إلى حرية يراها مسيئة إلى
حياة الأمم والشعوب . (٣)

وبجانب هاتين الناحيتين اللتين أبدينا فيهما بعض الملاحظات العابرة نذكر
صفحات (اللواء) لم تكن معروفة ولا معهودة بين صحافة ذلك العهد ، فقد شغل
(اللواء) صفحاته بأمور التعليم والتعليم الشعبي الذي ينبغي أن يقوم على أكتاف
الشعب ليحس أثره الشعب نفسه فمتحقق أغراضه في الحرية والاستقلال ، وقد
استطاع مصطفى كامل أن يجعل من هذا الموضوع علماً يجتمع عنده الوطنيون على
اختلاف مذاهبهم وتباين حماسهم ، فشرعوا ينشئون المدارس ويفكرون في جامعة
مصرية تنشئ الشباب تنشئة يعجز أمامها الاحتلال إذا طلب السلامة أو أبى الجلاء
ثم أراد اللواء أن يظهر مشاعر المصريين ويوقظهم من غفوتهم فدعا إلى الاحتفال
بالعيد المئوى لولاية محمد على مصر وهو يدعو هذه الدعوة فيرى القصر وصاحبه

(١) أصدر محرر (اللواء) وهو طالب مجلة (المدرسة) في ١٨ فبراير ١٨٩٣

(٢) اللواء في ٤ يناير ١٩٠٠ (٣) اللواء في ١٥ مارس ١٩٠٠

ولا تستطيع قوى الاحتلال أن تحول بين المصريين وبين الاحتفال بذكرى جد
الوالي الشرعي على البلاد، ويقصد (اللواء) بهذه الدعوة أن يستعيد التاريخ
المصري الحديث وفيه من المعاني الوطنية ما يوقظ إحساس الأمة مهما رانت عليها
الغفلة أو انقطع بها الرجاء (١) وقد استقبلت الصحف الأجنبية هذا الدعوة استقبالا
حسنا وحيث بعضها الفكرة كما صنعت جريدة (لاريفورم) (٢) فإذا تم الاحتفال
وخطب فيه مصطفى كامل كتب خليل مطران يصفه (في الأهرام) وصفا هو من
روائع الأدب والانشاء. ووصفت (البصير) الحفل ونشرت خطاب محرر اللواء
وتحدثت (لوفار دالكسندري) مرتين عن الاحتفال إحداهما بعنوان « مصر
المصريين » وكذلك شاركت مصر في هذا الاحتفال جريدة (لاريفورم
والسكورييري إجينيانو) واحتفت بالفكرة وصاحبها أحسن احتفاء ثم لم تجدد
الأجيشيان جازيت) بدأ من الاشتراك في هذا الموضوع بيد أنها كانت في حديثها
متحفظة أشد التحفظ (٣) هذا فضلا عما تكلف به (اللواء) من نشر الخطاب
وجميع التعليقات وصدى الاحتفال في جميع الجهات.

لقد اشتركت الصحف في العيد المئوي وساهم فيه المصريون وقصدوا مكان
الاحتفال بالاسكندرية من أعماق الريف وأبعد القرى في السودان، وحضره
كثيرون من العظماء في مقدمتهم الأمير محمد إبراهيم الذي كان من خطبائه (٤)
وقد هن هذا الاحتفال عواطف المصريين وأوجز لهم تاريخ البطولة المصرية وعين
لهم المراحل التي انتهت بالاحتلال وبين لهم واجبههم في سبيل الحرية والاستقلال
وكان مصطفى كامل يدعو في جريدته إلى الصناعات الوطنية والمدارس الصناعية
ويمجد جمعية العروة الوثقى لأنها تفكر هذا التفكير السليم، وهو يعتبر أن الاهتمام

(١) اللواء ٣ فبراير ١٩٠١ (٢) الراقصي مصطفى كامل ص ١٥٩ - ١٦٠

(٣) راجع الأهرام في ١٤ مايو ١٩٠٢ والبصير في ٢٢ مايو ولوفار في ٢٢ و ٢٣ مايو

والسكورييري والأجيشيان جازيت في ٢٢ مايو

(٤) الراقصي . مصطفى كامل ص ١٥٩ وما بعدها (١)

بالصناعات يخلق « روح الصناعة في البلاد » وهو « بلا مرء أسمى خدمة تقدم إليها
وأكبر سعادة تجهز لرجال الغد » (١). وكان محرر (اللواء) يتخذ من سير
المجاهدين العاملين عظة وعبرة ، وهو دائم التحديث عن عطاء المصريين وهو يرى
أن « لا شيء يرفع مقام الوطنية في بلاد مثل إحياء ذكرى الرجال الذين أخلصوا
في خدمتها وقضوا أعمارهم في العمل لإعلاء شأنها وتحقيق آمالها ولا شيء يमित
الوطن والوطنية مثل تمكن داء النسيان في أمة وجهلها لتاريخها وعدم تقديرها
للرجال المخلصين في خدمتها » وهو لا يعني من مقالاته الناحية الإنشائية أو الفائدة
العابرة بل هو يعاتب مواطنيه في عنف إذ « بليت هذه الأمة المصرية العزيزة بذلك
الداء العضال ، فتراها لا تذكر الرجال إلا إذا كانوا القابضين على أزمة أمورها
أو المحركين لحركة العامة فيها . . . فليس للبصائب في نفوس أبناءها أثريقي ؛ وليس
كذلك للعظمة الماضية بقية باقية في الأفتدة والضمانر ، فلا غرابة إذا كان ذلك
سبباً من أسباب تأخرها وعلة من عطل انحطاطها » (٢)

أنتج توجيه اللواء أثره في إيقاظ الشعور العام من حيث تقدير الوطن
والإحساس بحقوقه المهضومة في الداخل والخارج ، وبدأت في الصحف المصرية
نعمة الكراهية للأجانب وليكل ما هو أجنبي وإن كان (اللواء) أخف الصحف
أسلوباً في هذا التيار ، ويبدو أن حرب تركيا واليونان ، وحرب إيطاليا للحبشة
واستبدالهم في تونس أساء إلى الناحية الشرقية والاسلامية في المصريين فوق ما
يلاقه المصريون فعلا من اضطهاد الاحتلال وتغلغل الأجانب في كل ميدان
وقد أغضب مصطفى كامل من قبل اليونان وصحفتهم في مصر يوم دعا إلى تعليق
الجلاء عن اليونان على الجلاء عن مصر .

وقد أساءت جريدة (الكوريري إيجيزيانو Il Corriere Egiziano) في
لفظ أو تعبير وهي تتعرض لمسائل مصر العامة فتحدثها (المؤيد) في مقال عن

X

م

ع س
الملك المعظم

م

س

م

١٦٢
١٦٠

٥
١٥٠

« الإيطاليين في مصر » وإخوانهم في إيطاليا في سخرية لاذعة وعبارات قاسية وقد ردت الكوريري على المؤيد رداً يماثل ما جاء في مقالته من عنف وقسوة (١) وتناقلت الصحف الأجنبية في مصر مقالاتها بالتهجين وشاركتها في شعورها نحو المصريين ويذكر (المؤيد) أن أنهرها قد « فاضت بأنواع العدوان والسفاهات ضدهم وضد المصريين كافة وضد الإسلام والمسلمين عموماً وذهبت كل مذهب في المطاعن والشتائم » ويحيل إلى الباحث أن أمر الخلاف قد انحسم بهذا المقال غير أن المؤيد تطالع علينا بمقال لعله المقال الوحيد الذي أسف فيه صاحبه ، فقد حملت على الأجانب ثم تجهمت إلى « أمة الطليان أخس الأمم وأدناها وأسمجها وأسفلها » وهي يسخر من تاريخ هذه الأمة التي زهت به صحف مصر الإيطالية وتعتقد مقارنة بين تاريخ إيطاليا وتاريخ مصر الذي يرد « إلى أصليين عظيمين فيما أنها تنتسب إلى المصريين القدماء وتاريخهم أقدم من الرومانيين ، وإما إلى العرب وفضلهم على الأوربيين لا يعادله فضل ولا يدانيه مدان » ومهما يكن من أمر هذه الأزمة بين المصريين وصحافتهم والأجانب وصحافتهم فإن (المؤيد) كانت في طليعة الصحف المصرية التي دافعت عن مصر أحر دفاع ، وشاركتها الصحف الأخرى الصغيرة بأسلوبها العامي ولفقات ذهنها الساخرة الماجنة ومن أطرف ما لوحظ على هذا الجدل أن مصر الفرعونية ذكرت بالخير خلال النقاش وهي لفظة تعمدت الصحافة المصرية جميعاً أن تنكرها في كل جهادها منذ الاحتلال البريطاني وحرصت ألا تؤلم الباب العالي بتقوية الصلات بين مصر التركية الإسلامية وبين مصر الوثنية الفرعونية . وبينما تقود المؤيد حملة المعارضة على الأجانب كان مصطفى كامل يستعيد في اللواء فكرة الحرية والدستور وهي مطالب ما كانت الصحف تطالب بها من قبل حيث كان اتجاهها العام إلى الجلاء ورجاء تحقيقه والإلحاح في الاستقلال أولاً وقبل كل شيء ، وقد أهملت اللواء المجلسين التشريعيين ودعت إلى حياة

(١) المؤيد في ٧ سبتمبر ١٩٠١ والكوريري في ١٠ منه

الفصل السابع

الصحافة المصرية منذ الاتفاق الودى إلى الحرب العظمى

كان الاتفاق الودى فى سنة ١٩٠٤ عاملاً من العوامل الأساسية فى تغيير الاتجاهات الصحفية وتنسكب أصحاب الأقلام فيها عن سياستهم الأولى ، فقد كانت نتيجة هذا الاتفاق فتور الحماسة الوطنية فى نفوس الكثرين ، وقد فترت معاشدة معظم الصحف الوطنية (فالمؤيد) لانت سياسته و (والأهرام) التزمت جانب الحياد إلى حين ، ولم تمض فى سياستها الأولى إلا (اللواء) فقد أبت إلا أن تبلغ بهذه الأزمة القاسية ذروتها من حيث الجهاد الرائع واستيكال عناصر الوطنية وتوحيدها فى نفوس المصريين ، فبدأ مصطفى كامل يغذى فى المصريين وطنيتهم ويحاول بمقالاته أن يحتفظ بحماسةهم بالرغم من الحياة الفرنسية للأمانى المصرية وذلك فى وقت هزت الصدمة كبار الرجال وأذلت أعناقهم كما يقول ، واتجه مصطفى كامل فى لوائه اتجاهها جديداً ، فالأمم الأوربية جميعاً سواء فى استعمارها وهذه حقيقة - كما يقول - يجب أن يعرفها المصريون وتستلزم منهم الاعتماد على أنفسهم ، وبولندا وإيرلندا أحسن مثلين لهم فى الكفاح والحرص عليه (١) .

واعل الفترة التى سبقت الاتفاق الودى كانت تحتل المؤيد واللواء معاً بل إن (اللواء) على الجهد المبذول فى تحريره وإخراجه لم يستطع بلوغ ما كان عليه (المؤيد) من الذبوع والانتشار ، فالمؤيد صحيفة إسلامية قديمة لها خطرها وقدرها فى حياة المصريين والشرقيين جميعاً ، وظهور (اللواء) لم يجد من نشاط (المؤيد)

(١) اللواء فى ١٨ أبريل و ٢٥ مايو سنة ١٩٠٤ ، وفى العدد الأخير حملة على

رياض باشا لأنه مدح كرومر فى احتفال مدرسة محمد على الصناعية

أرى يحول دون قدره في نفوس الجماهير لأنه لم تشبه الشوائب ولم تؤخذ عليه
المآخذ، غير أن صاحب (المؤيد) انحرف بعض الشيء واستطاع الاحتلال
أن يضمه إلى جانبه واحتفى به الانجليز يوم زار بلادهم وقال في عاصمتهم كلمته
المشهورة « إن لوندرة كعبة المصريين السياسية » ففقد بذلك جزءاً كبيراً من
عطف المصريين والأتراك معاً، وبدأت صحيفته تهوى وأخذ (اللواء) يتقدم
عليها. ثم جاء الاتفاق الودي فكان فاصلاً في تاريخه إذ كان موقفه منه موقفاً هيناً
فاتراً. وكانت خاتمة (المؤيد) كمنزوع اللواء ومنافس له ظاهرة بعد قضية صاحبه
المشهورة بقضية الزوجية، وهي قضية عامة كان للعنصر الشخصي جانب كبير فيها
وكان للسياسة جانب آخر، كما كان للحياة الاجتماعية أثر في تكييفها وتحليلها،
ونال الصحافة منها في الدوائر الشعبية والرسمية حظ موفور. أما العنصر الشخصي
في هذه القضية التي شغلت مصر وصحافتها فهو أن الشيخ علي يوسف رأى أن
يتزوج ابنة السيد عبد الخالق شيخ السادات الوفائية، ورأت السيدة هذا الرأي،
فانعقد عزمهما على إتمام هذا الزواج دون علم شيخ السادات الذي عارض الفكرة
أشد المعارضة، وتم العقد كما يقضى بذلك الشرع، غير أن والد العروس أبي الواقع
وثار عليه فأقام الدعوى أمام المحكمة الشرعية ليحال بين ابنته وبين زوجها لأنه
دونها في النسب والحسب ولأنه يمتن مهنة لا يكرم بها صاحبها. هذا هو ملخص
القضية التي أصبحت قضية عامة، وكانت معظم الصحف المصرية والرأي العام في
جانب شيخ السادات، وكان اللورد كرومر والحكومة المصرية في جانب الشيخ
علي يوسف، وهي صورة معاكسة لقضية (التلغراف) الصحفية المشهورة،
وحاولت الحكومة أن تحول دون فصل الزوجين وتنفيذ قرار القاضي، وكاد
قاضي القضاة يثير أزمة حادة في دوائر القضاء، ويقف القضايا الشرعية جميعاً
ويغلق أبواب المحكمة لولا أن الحكومة نزلت عند أمره وحالت بين الزوج
وزوجته إلى أن يفصل في القضية (١).

هذه القضية مزاج غريب من الحياة الاجتماعية والسياسية فان حادث الزواج وأسلوبه فضيحة في نظر الرأى العام إذ ذاك بل هو فضيحة في نظر الرأى العام في أيامنا الحالية وإن كانت شرائط العقد قد تمت على الصورة التي يقرها الشرع والدين ولم تجرؤ صحيفه عربية من الصحف الموالية للاحتلال على الدفاع عن الأسلوب الذى اتبعه الشيخ في قرانه من ابنة السادات ، ولم تتدخل صحف الأقباط في هذا الموضوع لأن له بالدين الإسلامى أوثق الصلات ، ولم تناقش صحيفة من الصحف مسألة الحسب والنسب التي تنزل بكفافة رجل له مكانه في مصر لأنه يحاول القربى من حسيب نسيب . ويرى المؤرخ في موقف بعض الصحف الإسلامية في هذه القضية بعض الهنات التي كان يجب أن تنتزه عنها ، فهي أولا قضية خاصة لا يليق أن تكون ماثراً للمجادلة على صفحات الجرائد ، ثم هي قضية صحفى ينبغى لزملائه أن يحترموا من أجل المهنة كرامته ، ثم إن الصحافة باعت في سوق نافقة فكسبت رضاء الرأى العام ولم تفكر في رأى حر تذيعه خشية سخط الجماهير ، وليست بصحافة تلك التي تهاب سخط الجماهير ، وهي بموقفها هذا قد سمحت للسلطات القضائية برأى فيها مهما يكن أمره فهو رأى يسوءها وهو أهم ما يعنيننا في تاريخ هذه القضية . فيذكر محامى السيد شيخ السادات أن « الصحافة لا تشرف إلا بشرف استعمالها » وهذا تقرير صحيح لولا أن المحامى يعتبرها مع ذلك « حرفة دنيئة » ويقول « اليدت عبارة عن الجاسوسية العامة وهي معدة للاشاعة وكشف الأستار وهذا أمر منهى عنه شرعا فضلا عن نشرها الإعلان عن الخمر وأمكنة اللهو » . هذا رأى محامى السادات وهو رأى يسوء الصحف جميعا فهي عنده « حرفة دنيئة » مهما يعتذر عنها بشرف الصحفي وعلوهمته ، لأن الصحف عامة تشترك فيما نهى عنه الشرع وهو إذاعة الأخبار وإشاعتها بين الناس وهي في أكثرها تنشر إعلان الخمر وأخبار الملاهى ومنتدياتها ، وفي هذا من الاتهام الصريح ما كان يحمل بالصحافة المصرية أن تتكاتف على رده مهما تختلف نزعاتها السياسية واتجاهاتها العامة حتى لا تعطى المحكمة بعد المحامى فرصة لتأييد

وجهة نظر المدعى وحط قدر الصحافة . فاذا دافع الشيخ علي ومحاميه عن مهنته وعن علمه رده المحكمة في ذلك جميعاً فهي ترى « أن صناعة التحرير لا تنهض دليلاً على العلم » ثم تقول عن الصحافة « وحيث أن حرفة الصحافة التي نسبتها المدعى لنفسه قسيمان ، قسم يبحث في علوم وفنون مخصوصة وهي المجلات غير اليومية وهذه شرفها بشرف ما تبحث فيه وغزارته وهذه الصحافة لا يدعيها الشيخ علي لنفسه ، وقسم لا يختص بموضوع مخصوص وهي الجرائد اليومية ووظيفتها إرشاد من تتكون منهم المملكة من الأفراد والعائلات والهيئة الاجتماعية والحكومة فهي معدة للإرشاد العام ، وهذه الصحافة جليلة جداً لها أثرها في رقي المملكة من ناحيتها الداخلية والخارجية ويجب أن يتوافر في صاحبها أعلى أنواع الثقافة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية كما يجب أن يكون على قدر من شرف النفس ونبل الضمير وأن يكون من أشد الناس محافظة على الكلمات والآداب حتى يمكنه أن ينفع بنصحة وأن يجمع الناس إلى رأيه فضلاً عن وجوب علمه بالسياسة الداخلية والخارجية » إلى أن تقول « ولكن المدعى عليه لا يمكن أن يدعي لنفسه هذه الصحافة أيضاً ، ذلك لتقلبه في المبادئ لغير سبب وتعرضه للشخصيات في ثوب المصالح العامة وسكوته عن بعض ما يلزم الكلام فيه لأغراض بعض من يهيمه رضاؤهم . . . ولا يزيد أن ندد له ما فعل وكفى بهذه القضية وحدها دليلاً على ذلك . وعلى ذلك فالمدعى عليه ليس مشغلاً بالصحافة قائماً بها وإنما هو يشتغل بشيء يشبهها لأغراضه ما لبس له ثوب الإرشاد والمصلحة العامة وهذا اشتغال بأخس الحرف وأدنتها ، وعلى ذلك لا يكون محترفاً للصحافة وإنما هو يحترف حرفة أخرى دنيئة » (١)

ومهما يكن من أمر هذا الحكم فإن الصحافة خسرت فيه لأن اتهام قطب

من أقطابها بجعله السياسة الداخلية والخارجية كفيل وحده بأن يسقط كثيراً من الصحف والصحفيين في ذلك الوقت، وهو حكم لا يتصل بالشرع لأن الغرض ظاهر فيه، وكان الأندى قاضي القضاة والخديو معه والتقاليد من حولها قد تكاثفت على إصداره في هذه الصورة التي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن السياسة وحدها كانت مهيمنة على الموقف جميعه. أما الصحف المصرية - عربية وفرنجية - فقد تبين موقفها من هذه القضية، حرصت معظم صحف الأقباط على عدم الخوض في هذا الموضوع فيما خلا مصر والمقطم فأما (مصر) فقد ساءها قرار محامي السادات في الصحافة فهي ترى أن «مقاله الشيخ الفندي وكيل السادات تعريضاً بالصحافة وحساباتها من المهن الدنيئة المضرة بقول لا يصدر إلا عن الجاهلين الأغبياء الذين لا يدركون ولا يفهمون». وأما (المقطم) فقد حرصت على نشر تفاصيل القضية نشرأ يظهر فيه الغرض والتشفي دون أن يعلق السكاتب على اتهام المحامي والمحكمة الصحافة بأسوأ ما تتم به حرفة من الحرف ثم كانت (المنار) الصحيفة العربية الموالية لصاحب (المؤيد) في قضية الزوجية وأما (الأجيشيان جازيت) صحيفة المعتمد البريطاني فتمدح الشيخ علي يوسف على الرغم مما بينهما من خلاف ثم تذكر أنه «قل أن يوجد بين الصحفيين من يستطيع الوقوف إلى جانب صاحب (المؤيد) ولا يوجد ذو مسكة من العقل لا يضع على يوسف في أعلى طبقة من طبقات رجال الصحافة... فإنه تمكن بالجد والاجتهاد والمثابرة من إيصال جريدته إلى درجة (التيمس) لا في العالم العربي فقط بل في جميع العالم الاسلامي» (١) ثم نحت هذا النحو جريدة (ذى أجيشيان مورننج نيوز Tge Egyptian Morning News)

(١) المؤيد في ٢ أغسطس (المقطم) في ٢٧ يوليو و٤ و١١ أغسطس وما بعدها
(المؤيد) في ٩ أغسطس (والاجيشيان جازيت) في ٨ أغسطس من سنة ١٩٠٤
(٢-١١)

عرضنا لتقرير كرومر سنة ١٩٠٣ وحديثه عن الصحافة وبيننا مقدار ما فيه من غبن لها منذ احتل الإنجليز مصر إلى السنة التي بدأ اللورد كرومر يذكرها في تقاريره ، وقد وضع لنا أن (الأهرام) تولت المعارضة زهاء عشرة أعوام وشرحنا كيف نشأ (المقطم) خصيصاً لجريدة الأهرام ثم ذكرنا الأسباب التي من أجلها أسس (المؤيد) والدواعي التي صدر من أجلها (اللواء) بعد انحراف صحيفة الشيخ علي يوسف، ويرى المؤرخ لهذه الصحافة أن القصر بقي بعيداً عنها في مرحلتها الأولى وأن الوطنيين دون الخديو توفيق أصحاب الفكرة في إنشاء الصحف الوطنية وأن اللورد كرومر ابتدع سياسة الحكم بالصحافة . وقد عنى العميد البريطاني أشد العناية بهذه السياسة بعد تولية عباس الثاني أريكة الخديوية وكان شاباً شديد التطلع إلى استقلال بلاده وجلاء الإنجليز عنها ، ومواقفه في أوائل عهده من الاحتلال ورجاله أشهر من أن تذكر ، فلا غرابة في اتفاق مزاجي الخديو ومصطفى كامل وهو مزاج شاين يرجوان هدفاً واحداً مهما تباين الدوافع والأسباب .

ساعد كرومر بعض الصحف وقدم لها من التأييد ما هياً لها فرصة التقدم والبقاء وعلى رأس هذه الصحف جريدة (المقطم) وساعد الخديو عباس بعض الصحف وقدم لها من المال والجاه ما هياً لها فرصة الذيوع والانتشار . وفي مقدمة هذه الصحف جريدة (اللواء) ولا يعنيننا ما ذهب إليه بعض الصحفيين وهم يؤرخون للصحافة الإسلامية من أن الخديو دفع للواء مبلغ خمسة عشر ألف جنيه (١) وهو زعم أن صح لا يعني إلا تدعيم الصحيفة الوطنية وهو عمل يشكر عليه من كان في مقدوره البذل والعطاء في سبيل الاستقلال والجلاء . وقد نشأ عن ذلك كفاح بين الصحف بعضه ظاهر وبعضه خفي . أما كفاح العليان فقد تولته (المقطم) و(اللواء) وأما الكفاح الخفي وهو أقل شهرة في تاريخ الصحافة المصرية فكان بين بعض الصحف الصغيرة من الجانبين وهي صحف أبي كرومر أن يصدر لها قانوناً لأن هذا

دوني مني ولفه

القانون يفيد الخديو الذي يعاديه بعضها في غير تحفظ وفي غير احتياط، وهو لا يملك ردعها واسمه ومكانته فوق التهم والمهاترات، ولا يضير الاحتلال في شيء أن تهاجمه هذه الصحف لأن نقده والجملة عليه شيء طبعي وفيه تنفيس عن الشعور العام وفي ذلك صمام الأمان.

وكان الشيخ محمد عبده هدفا لـ «الصحف الخديوية» وكان يلبى في ذلك الوقت وظيفة الإفتاء، وقد أفتى حينئذ بجواز أكل المنخنقة فحملت عليه الصحف وكان أشدها حملة جريدة (الظاهر) لمحمد أبي شادي بك المحامي المصري المعروف ومضت تقذع في الشيخ الامام وتطالب بعزله من منصب الإفتاء، وذلك لأمر آخر لم يأت ذكرها في أسباب هذه الحملة وإن فصلها يوسف طلعت باشا صاحب جريدة (الراوى) اليومية في تقريره إلى السلطان، فقد ذكر عن هذا الموضوع أن «الخديو بعد أن رأى نفسه عاجزاً عن عزل المفتي الذي يعارض مساعديه في الأزهر والأوقاف شرع في معاكسته بأمرين، أحدهما الاستعانة بمولانا الخليفة الأعظم على عزله بحجة أنه أفتى بما يخالف الشرع وثانيهما إنشاء جريدة اسمها (الظاهر) لأجل إسقاط نفوذه الديني وإضعاف حزبه المؤلف من طائفة العلماء ومن أكثر رجال الحكومة» (١) وقد أسفت (الظاهر) في الحملة على الشيخ محمد عبده خاصة وخصوم الخديو عامة مع أنها ادعت «أن دستور الجرائد في حياتها الأدبية هو قانون الأخلاق العمومية والآداب الاجتماعية» (٢) وتولى هذه المهمة الشيخ محمد الشربتلى وهو خصم للإمام من قديم ادعى عليه الدعاوى في تدريسه في الأزهر وسجن من أجل ذلك، ولكنه عاد إلى (الظاهر) وتولى فيه تقييح الشيخ والزراية به، ومع أن (الظاهر) لم تكن كثيرة الانتشار إلا أن الصحف الوطنية روعها ما فعلت إحداها من أذى للشيخ محمد عبده فردت عليها جميعاً فيما عدا (اللواء)، وبينت الغرض والضغينة في حملتها وشرحت السبب الصحيح للحملة

ودافعت عن الإمام وإفتائه دون أن تذكر اسمها تحقيراً لشأنها ، وسلبتها الحكومة بعض امتيازاتها كالامتياز الخاص بنشر الاعلانات القضائية .

ومن الصحف الصغيرة التي شكها الجمهور منها صحيفة (الحمار) وهي من خصوم الشيخ محمد عبده وقد فاقت زميلاتها جميعاً في بذاءة الحملة عليه فنشرت للشيخ صورة ما جنة فصورته بين جماعة من نساء الفرنجة في وضع لا يليق وذلك تسويةً لسمعته وتهويناً لقدره كمفت للديار المصرية ، وقد قبضت النيابة على صاحبها وقضت المحكمة بسجنه (١) . وقد هاج العقلاء أمر هذه الصحف فقد عاشت من نهش الأعراض وفرضت الأتاوات على بعض الناس يؤدونها على ما تحب وإلا جرحت كراماتهم ، وقد اهتمت بهذا الأمر الجمعية العمومية فذكر أمين بك الشمسي في إحدى جلساتها أن « أسافل الناس يقدمون على إنشاء الجرائد وقد ملأوا الدنيا سفاهة وتعدياً على الأعراض ، على أن الجرائد هي مرشد الأمة والحكومة والمطبوعات هي ركن من أركان العمران » . ثم اقترح على الجمعية « أن تطلب من الحكومة الاتفاق مع وكلاء الدول على سن قانون عمومي للمطبوعات يقي الناس من هذه الفوضى » وتحدث الشيخ محمد عبده في هذا الموضوع وضم اقتراحه إلى اقتراح زميله (٢) . وفي سنة ١٩٠٤ أعاد مجلس شورى القوانين السكرية في هذا الموضوع وطالب بنفس ما طالبت به الجمعية العمومية في سنة ١٩٠٣ (٣) غير أن اللورد كرومر لم يوافق على رأى الجمعية العمومية أو مجلس شورى القوانين ، وتضمن تقريره عن سنة ١٩٠٤ هذا الرأى وإن شارك المجلسين في رأيهما من حيث السخط على هذه الصحف الخفية ، وهو يريد أن يحتاط لصحافته الكبرى فلا يقبل إصدار تشريع يستغله الخديو في القضاء على السنة الاحتلال ، لذلك يزعم العميد الإنجليزي أن الذين يدفعون لهذه الصحف خوف التشهير لو امتنعوا

(١) الاستاذ الامام ج ١ ص ٥٦٤ عن قصة (الظاهر) و ص ٦٦٩ عن قصة الحمار

(٢) محضر الجمعية العمومية في ٢٦ مارس ١٩٠٢

(٣) مجموعة محاضر جلسات مجلس شورى القوانين في شهر يونيو ١٩٠٤

عن البذل لها لاستحجال على هذه الصحف البقاء ، ثم إن قانون العقوبات كما يقول اللورد قد تضمن مادتين حديديتين هما المادة (٢٨٢) والمادة (٢٨٣) وهما كفيلتان بردع من لا يردع وقد تبلغ العقوبة أحياناً السجن ثلاثة أعوام . ثم يعدد كرومر الصحف الثمان التي تخصصت لابتزاز الأموال والتشهير بندى المقامات والأكل على جميع المواثد ويذكر أن بعضها قد عوقب على تبذله ثم يقول « يجب أن لا يظن أن هذه الصحف عنوان للصحافة المصرية فإنها جميعاً قليلة الأهمية وإنها في أساسها إما صحف هزلية أو ساخرة » (١) وبالرغم مما يؤخذ على هذه الصحف مما دعا إلى الضيق بها من كل الجهات فإنها تمثل النسكته المصرية الرائعة والسخرية اللاذعة وتعيد مجد أبي نظارة وحماتها يعقوب بن صنوع .

لم تظهر السياسة الإنجليزية نحو الصحافة إلا في تقرير كرومر عن مصر سنة ١٩٠٦ فقد كان فيها واضحاً كل الوضوح مع أن الصحافة المصرية لم تنل من اهتمامه في سنة ١٩٠٥ إلا ستة أسطر (٢) وهو يبدأ حديثه عن حرية الصحافة بأنه كان دائماً في جانب هذه الحرية ، وهو هنا لا يميل إلى ترديد النغم السابق من حيث تقديره لها ، فالصحف المصرية في رأيه لا تعبر عن الرأي العام لما امتلأت به من حشو وما حفلت به من العبارات النابية ، وهو يذكر أن بعض كبار مصر يرى رأيه هذا فأضعفت الصحف بذلك حجة أنصارها المدافعين عنها وعلى رأس هؤلاء الكبراء الخديو عباس الثاني ، وأنه ذاته أصبح يميل إلى وضع شيء من القيود لهذه الحرية المطلقة التي منحتها الصحف حفظاً للنظام وعناية بمستقبل الاحتلال في مصر ، وهو يبني أحكامه الجديدة على الصحافة المصرية من قراءته المتصلة للمعارضة منها وهي صحف فارغة لا تجد فيها بحثاً ذا قيمة في المالية أو التعليم أو أعمال القضاء لذلك كانت سوءاتها بالنسبة للمصريين أكثر من حسناتها ، هذا على حين أن

(١) Blue Books 1904 p. 59-60 (٢) المصدر السابق ص ١٣ ط ١٩٠٥

الصحف الأجنبية في مصر لها كما يقول مكانها الرفيع من حيث مادتها وأسلوبها المعتدل الرصين (١) وبذلك لم يعد كرومر نصيراً للصحافة المصرية بعد أن كان يستفيد منها كما يقول ويدافع عنها بحرارة في سنة ١٩٠٣ وهو يلتبس اليوم لخصومها المعاذير وهو في الواقع أخطر خصومها في تلك السنة؛ ذلك لأن مصطفى كامل زلزل سلطانه عقب حادث دنشواي في ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ إذ قاد الحملة عليه زهاء شهرين كما كتب في صحف أوروبا، وكان من نتائج مقالاته في الفيجارو Figaro في ١١ يوليو سنة ١٩٠٦ أن عزل كرومر من منصبه.

برم اللورد كرومر بالصحف المصرية بعد حادث دنشواي وهو السبب المباشر لسخطه عليها غير أنه استعاد من غير شك المشاكل التي خلقتها له الصحف المصرية في الأعوام الأخيرة؛ فكل عمل قصده الاحتلال منذ استقالة رياض من رئاسة الوزارة أصبح حديث العامة قبل الخاصة من جراء انتشار الصحف الوطنية، وقد استطاع أن يتخلص من معظم هذه الصحف ويستميل معظم الصحفيين الوطنيين إليه ولم يبق في ميدان الصحف المعارضة أهم من (اللواء)

حقاً لم يستمر الود بين الخديو ومحرر (اللواء) طويلاً، إذ ظهرت عليه علامات اليأس بعد حادث فاشودة والاتفاق الودي (٢) وبذلك أصبحت (اللواء) وأنصارها وحدهم في الميدان، وقد تعرض الخديو نفسه لاعتاب (اللواء) يوم حضر عرض الجيش البريطاني في نوفمبر سنة ١٩٠٤ واعتذرت المعية بأن تلك الحادثة تمت بمجرد المصادفة المحضة، غير أن تلك الحادثة تكررت في العام التالي وفي نفس الشهر، فسكتبت (اللواء) تعلق على موقف الخديو وتسخر قائلة «وإذا كان من الصعب تحميل (المصادفة) مسئولية هذا الحادث مرتين فمن المرجح أن المعية لا تمشر بلاغا في هذا العام وتفضل السكوت على الكلام» ولم يستطع الخديو أن يتحمل مهاجمة (اللواء) له في السنة التالية فأبى حضور العرض في سنة ١٩٠٦

(٣) المصدر السابق ص ٨-٩ عام ١٩٠٦ (٢) مصطفى كامل للرافعي ص ٣٣٠-٣٣٢

وعلقت جريدة (الامبرسيالى) الإيطالية قائلة « ولعل سمو الخديو أراد باطالة إقامته في الاسكندرية العدول عن الخطة التي اتبعها سنة ١٩٠٤ فهل فازت الصحافة الوطنية بنصائحها واحتجاجاتها؟ » (١)

وقد لاحظ اللورد كرومر أن (اللواء) تتبعه بالتفصيل والتفسير في كل خطوة من خطواته، فقد اعتزم اللورد زيارة الأقاليم في فبراير سنة ١٩٠٥ والاتصال بالجمهير وبجثة المسائل العامة معهم والقاء النصح للأعيان والعمد، فحمل (اللواء) حملة شديدة على ذلك التصرف ثم مضى في اليوم التالي يتحسر على ما آل إليه حال مصر حتى أصبح المعتمد البريطاني يجول في أرجائها كأنه « صاحب الحل والعقد والأمر والنهي الذي لا يعارض في شيء » (٢) وقد انتهت حملة (اللواء) المتصلة حماسة بين المصريين وكرهية شديدة للاحتلال البريطاني. وظهرت تلك الكراهية واضحة بين العامة قبل الخاصة في مشكلة العقبة بين تركيا وانجلترا في سنة ١٩٠٦، وما يؤثر عن هذه المشكلة إعلانات المؤيد لميولها الإنجليزية، فقد انحازت إلى جانب الإنجليز كما انحازت اللواء إلى جانب الأتراك، ومما يؤسف له أن البلاد افتقدت صحيفة تبحث مكان مصر وحققها من هذه المشكلة.

عرضنا لبعض الأحداث التي دعت اللورد كرومر إلى التبرم بالصحافة وحربتها وأهمها من غير شك الحملة الصحفية في اللواء عقب محاكمة دنشواي، وقد أنتجت المحاكمة حملة صحفية في الخارج لفتت الانجليز إلى سوء السياسة التي يمثلها معتمدها في مصر مما ترتب عليه عزل كرومر في أبريل سنة ١٩٠٧. ويبدو أن عزل كرومر فتح صفحة جديدة في تاريخ الصحافة المصرية، وهي صفحة كتب معظمها (اللواء) وصحفه، وهي مدرسة في صحافتنا جديدة، وكتب أقلها بقية الصحف المعاصرة بزعامة المدرسة القديمة ممثلة في المؤيد، وقد أسس صاحب (اللواء) شركة مساهمة لإصدار جريدتين أوريبتين في مصر بعد حادث دنشواي

(١) مصطفي كامل للرافعي ص ١٨٦-١٨٧ (٢) اللواء ٦ و٧ فبراير ١٩٠٥

في نوفمبر سنة ١٩٠٦. وعندى أن إنشاء هاتين الصحيفتين من أبرز خدمات مصطفى كامل للقضية الوطنية لأن إنشاء الصحيفتين ليس شيئاً بجانب ما نشر فيهما من المعاني التي كان يعز عرضها على الأجانب في مصر، ثم أنه استطاع أن ينال موافقة جريدة (لوفيجارو) على أن تأذن للجريدة الفرنسية الوطنية بنشر مقالات بيير لوتي Pierre Loti على مصر على أن يكون نشرها في الجريدتين في يوم واحد، وهو عمل صحفي نادر المثال في ذلك الوقت، كما أنه رأى أن يعد لصحفه بيئة صالحة فأوفد أحد محرري (اللواء) إلى باريس ليتلقى علومه الصحفية نظراً وعملاً في مدارسها وصحفها الكبرى (١)

ويحسن بمن يؤرخ للصحافة المصرية في تلك الفترة أن يعرض للتيارات الصحفية المختلفة منذ عزل كرومر وبدأ جورست سياسته الودية مع الخديو ليستقيم تاريخ الصحافة في هذا العهد الجديد ونصبح على بيئة من عموميات هذا التاريخ، فقد استقبل جورست صحافة من أهمها (اللواء) و (الأهرام) و (المقطم) و (المؤيد) وهي صحف معروفة النزعة، وقد بينا مذهبها من حيث اتصالها بالحركة الوطنية أو الاحتلال، وكانت بجانبها صحف أخرى من أظهرها (المحروسة) وهي صحيفة تميل إلى الخديو وتخالف (المؤيد) وتحمل على (المقطم) ومع ذلك فهي تدين للاحتلال ثم (الوطن) وقد أعادها إلى الوجود جندي إبراهيم بك في سنة ١٩٠٦ (٢) وهي من أصدقاء العميد البريطاني وفي خصومة مستمرة مع المسلمين، وتميزت (مصر) بقبطيتها وميلها إلى الاحتلال ومعارضتها كل فكرة دستورية، ولها هي و (الوطن) تاريخ حافل في الخلاف الديني الذي سنعرض له فيما بعد ثم (البصير) وهي جريدة تجارية لا رأى لها وإن مدحت الحكومة كلما نال الأقباط خير في مصر وأخيراً (الجريدة) وهي صحيفة المعتدلين، غير عشرات من الصحف والمجلات الأخرى التي لا يؤثر إنكارها في ماجريات الحوادث. والجريدة هي

(١) الرافعي . مصطفى كامل ص ٤١٨ (٢) محفوظات الداخلية دوسيه رقم ٤ مكرر

أحدث الصحف الهامة التي نشرت في العهد الجديد ، وقد قيل إن كرومر أوعز بإنشائها وأنه أوحى بالدعاية لها في الأقاليم بين الذوات والأعيان (١) وهذه واقعة يعوزها التأييد والبرهان ، فإذا كان بعض الذوات من أنصارها كحمود باشا سليمان وحسن باشا عبد الرازق في علاقات طيبة مع الاحتلال فليس معنى هذا أنهم يعدون له بوقاً يضاف إلى أبواقه السابقات ، وآية ذلك أن (الجريدة) خلت من الدعاية للاحتلال والمحتلين وكان لها بعض المواقف التي تزين الصحافة الوطنية من حيث التفكير الوطني واعتدال المزاج فيه ، وبجمل القول فيها إنها صحيفة بعض الأعيان وبعض المفكرين أيضاً . وقد صدرت (الجريدة) في سنة ١٩٠٧ برأس مال قدره عشرون ألف جنيه (٢) وقد سدت بوجودها فراغا كان شاغراً في بيئة الصحافة والصحفيين فقد خلت الجريدة من المطاعن الشخصية وتأنق محررها أحمد لطفي السيد في اختيار عباراته ومعانيه وعنه سمي الخديو « صاحب السلطة الشرعية » وقيل عن ممثل إنجلترا في مصر « صاحب السلطة الفعلية » وقد اختارت (الجريدة) فئة من الكتّاب النابغين للعمل فيها وبحث المسائل الأدبية والعلمية والموضوعات الاقتصادية والزراعية وذكرت أصدق الأخبار وقبلت انتقاد الناقدين ، وهي على صلة طيبة بجميع المصالح ولم تخاصم صحيفة من الصحف أو تسيء إلى فرد قصد الإساءة فحسب . وقد ظهرت الجريدة عقب حادثة العقبة بعد أن انقسمت الصحف إلى قسمين ، بعضها انحاز إلى الانجليز وأكثرها مال إلى تركية ولم تحظ مصر بسند من إحداها فصدرت (الجريدة) صحيفة مصرية خالصة وذكرت في عددها الأول المادة الثالثة من قانون شركتها وهي تؤكد أنها « مصرية بحتة غرضها الدفاع عن الصوالم المصرية على اختلاف أنواعها وإرشاد الأمة بأسرها إلى منافعها الحيوية الصحيحة ونشر ما فيه من فائدة مادية أو أدبية ونقد كل عمل له مساس من أية جهة كانت بتلك المنافع والصوالم سواء كان ذلك العمل عاماً أو خاصاً مهما كان مصدره ومهما كانت صفة القائم

أو الأمر به وبيان صالح ذلك العمل من فاسده وقول الحق في الحاليتين حتى بهذا يتكون رأى عام قائم على أساس متين من صدق النظر وحسن التفكير يقول قوله بلسانها ولا تنطق هي إلا عنه . . . لا فرق في ذلك بين الأديان ولا تمييز بين الأجناس ، هذا مع نبذ الشخصيات وعدم الخوض في المنازعات الدينية المحضه وأن لا تؤجر في غرض وأن لا تستخدم لأحد مع التزام الاعتدال في جميع الأحوال . هذه هي خطة (الجريدة) وقد حققت في تاريخها أكثر ما ذكرته المادة الثالثة من قانون شركتها وكانت هذه الصحيفة ترجمان حزب الأمة ولسانه وهو حزب يرى اللورد لويد أنه يتكون من جماعة من المفكرين بعيدي النظر والذين كان اتجاههم إلى كسب التقدم الدستوري بطرق معتدلة (١) ولم تكن (الجريدة) في يوم من الأيام تقر رأيا تركيا أو تزعم للدولة العلية السكياسة وبعد النظر وسلامة الفكرة ، وهي صفات كانت تؤمن بها معظم الصحف المصرية ، بل اختطت دون الصحف الوطنية خطة الملاحظة على ما تصنع تركيا ونقدتها بين حين وآخر وهي تدعو إلى تحقيق الأمانى الوطنية باتفاق يحدث بين الاحتمال وبين أعيان المصريين وخدمهم لأنهم أصحاب المصالح الحقيقية ، وتدعو إلى الرضا بكل ما يكسبه الوطنيون من هذا الاحتمال حتى تتوافر السكفايات للحكم الذاتى . وإذا كانت (الجريدة) قد أصبحت صحيفة المعتدلين فقد استمر (اللواء) لسان عامة الناس والمتطرفين منهم خاصة وقد زاد قدره في عيون المواطنين إذ استطاع صاحبه بقلبه فى مصر والخارج عزل عميد الاحتمال بعد أربعة وعشرين عاما من الكفاح المتصل ولم تتغير خطته بعد عزل كرومر وتعيين إيدون جورست Eldon Gorst مكانه بل ان التزاماته كانت أخطر فى ذلك العهد من جميع العهود السابقة فقد جاء العميد الجديد بسياسة لينه نحو القصر لا نحو مصر ، فتغير الخديو وتبدلت أساليبه الوطنية فكان بالأمس يدافع عن الحركة الوطنية ويخطى خصومها

علانية في أحاديث صحفية وينسكّر تعصبها الديني ويرى أن شعبه « طيب بفطرته
نزبه مجد ومعتدل متسامح » (١) غير أنه يعود فيذكر لمكاتب (الديلي تلغراف)
في مايو ١٩٠٧ أنه لا يعمل ضد الاحتلال ويبين له أن المعتمد البريطاني لا يستطيع
حكم مصر وحده وأنه مستعد للتعاون معه وأنه لا فائدة للمصريين من استبدال
احتلال باحتلال وأن الاحتلال البريطاني خير من أي احتلال آخر (٢) ويأبى
(اللواء) على هذا الخصم الجديد ما ذهب إليه فيضيف إلى أعدائه عدواً خطير
الشأن بيد أنه يشرع في محاصمته فوراً فإن الشعب المصري « لا يقبل مطلقاً أن
يكون حكم مصر بيد سمو الخديو بمفرده أو بيد المعتمد البريطاني أو بيد الاثنين
معاً بل يطلب أن يكون حكم هذا الوطن العزيز بيد النابغين والصادقين من أمثاله
وأن تكون نظمات الحكومة دستورية ونيابية » ثم يقول في موضع آخر متحدثاً
عن الخديو « فهو إن قال كلمة في صالح الحركة الوطنية خدم نفسه وعرشه واستمال
أمته إليه وإن عمل ضدها أضر بنفسه وعرشه ونفر أمته منه ولكنه في الحالتين
لا يستطيع الإضرار بهذه النهضة لأنها نهضة المطالبين بالحياة والوجود ومثل هذه
النهضة لا يضرها إنسان مهما كان قوياً وعظيماً ، (٣)

لقيت الصحافة بعد تغيير كرومر شيئاً من العنت والضيق لحقها جميعاً سواء
في ذلك صحف الاحتلال وصحف الاستقلال إذ لم يعد للانجليز حظ في حرية
الصحافة والتحكيم لها ، وقبض الخديو يده عن مساعدة الصحافة الوطنية فقد
انتفت الأسباب التي تدعو إلى ذلك كله وهي الخصومة القديمة بين صاحب السلطة
الشرعية وصاحب السلطة الفعلية وأصبح الطرفان لا تعوزهما قوة من القوى
لتحقيق أغراضهما ، وكذلك انتفت السطات الأجنبية في هذا الرأي مع السلطتين

(١) من حديثه مع مكاتب (الطان) - راجع الرافعي ، محمد فريد ص ٦٥ - ٦٦

(٢) الرافعي في كتابه - مصطفى كامل ص ٣٣٣ ومحمد فريد ص ٦٥ - ٦٦

(٣) اللواء في ٢٦ و ٢٧ مايو ١٩٠٧

الرسيميتين في مصر وخاصة بعد الاتفاق الودي سنة ١٩٠٤ فلم يعد لحماية القنصلية الفرنسية أثر في الحيلولة دون بطش العميد أو الخديو بالصحف اللائنة بها . وكانت الصحف الصديقة للاحتلال أول ضحايا سياسة الوفاق الجديدة في سنة ١٩٠٧ فقد اتهمت (المقطم والوطن والشرق) مأمور مركز كرموز بأنه يقبل الرشوة لاقضاء حاجة الناس وحملت عليه في بضع مقالات ضمنتها رأيها في أن المصريين لا يصلحون لوظائف المأمورين ، وأن هذه الوظيفة جديرة بعقدالة الانجليز ، وقدمت هذه الصحف للنيابة العمومية ولم تحل العلاقات القديمة بينها وبين دار الوكالة البريطانية دون محاكمتها والحكم عليها ، وقد علق (المقطم) على الحكم زاعمة أنها حملة أحكم تدبيرها للقضاء عليها واستغاثت بالصحف الأجنبية في مصر لتؤازرها وتدفع الظلم الواقع عليها (١) وقد أنكرت النيابة عليها أنها لسان من ألسنة الأمة وقطعت بأن أخبارها غير صحيحة وتعوزها الأدلة والبراهين وأنه لا يجوز لها أن تتعرض للشخصيات وتسيء بالسب إلى الموظفين العموميين .

لم تفتت الحركة الوطنية بعد وفاة مصطفى كامل في مطلع سنة ١٩٠٨ بل بقي تاريخها في الجهاد متصلًا في كل ناحية من نواحي الحياة المصرية ومن ورائها كتلة من الوطنيين المصريين ممثلة في الحزب الوطني الذي ضم عنصرى الأمة وقضت وحدته على الخلافات المذهبية التي طالما عير بها المصريون في مصر والخارج وكانت سبباً من الأسباب التي تدخلت في شؤون مصر قبيل الاحتلال والتسكين لهذا الاحتلال بعد وقوعه ، وقد غذى هذه الحركة نجاح الحركة الدستورية في تركيا في يوليو سنة ١٩٠٨ - وإن كان نجاحها في تركيا جاء متأخراً بعد أن انفصمت العلاقات الودية بين الخديو والحزب الوطنى - ولم يكن هذا النجاح في تركيا شيئاً لا يعنى المصريين بل شد أزرهم وقوى فكرة الحكومة الدستورية في مصر ، وكان ذلك أمراً طبيعياً للصلات الأدبية والمادية بين التابع

والمشروع ، فقد كان الكشيريون يرون مزاج البلدين واحداً غرو أن اشتد ساعد الدستوريين في مصر ومضت الصحافة المصرية تطالب بالدستور وطفحت صفحاتها بالحديث عنه ، والصحافة المصرية ليست حديثة عهد بهذا الموضوع فقد عنيت به منذ رئاسة مصطفى كامل للحزب الوطني وقد كان لأثر مقالاتها صدى في الجمعية العمومية في شهر مارس ١٩٠٧ حيث طالبت هذه الهيئة النيابية بإنشاء مجلس نيابي واضطرت الحكومة الفهمية إلى الرد عليها « بأن الوقت لم يحن لتشكيل مجلس نواب يرجي منه النفع العام الذي ينتظر من المجالس النيابية ولكنها تشتغل الآن في توسيع اختصاص مجالس المديرية » (١) والصحف الوطنية التي أذاعت هذا الموضوع وعالجته مراراً ودعت إلى تحرير العرائض للخديو وسأهم في توقيعها بعض السيدات والآنسات وهذه ظاهرة جديدة في حياة الأمة المصرية لم تكن معروفة من قبل (٢) . واضطر السير جورست أن يوضح سياسة الاحتلال في هذه الحركة الخطيرة فهو يعلم أن الخديو لا يرضى عن حياة الشورى حتى لا تكف يده عن السلطة وسياسة الاحتلال قد سمحت له بها في قدر كان قد حرمه زهاء خمسة عشر عاماً ، ويعلم أن وجود حكومة دستورية تسلب الاحتلال سلطانه أمر يخالف السياسة الانجليزية في ذلك الوقت فتحدث إلى (المقطم) في أكتوبر قائلاً « إن ما حدث في تركيا ليس له أقل دخل في مسألة استعداد المصريين للحكم الذاتي » ثم قال « إن مصر حاصلة على دستور الآن وأعني به الدستور الذي يتضمنه قانونها النظامي الصادر سنة ١٨٨٣ أما إذا كان المقصود من هذه الصيغة في طلب الدستور إنشاء حكومة نيابية بإطلاق المعنى كما هي الحال في إنجلترا وفي بلدان أخرى أوربية فليس عندي على ذلك إلا واجب واحد وهو أن الشروط اللازمة لإدارة البلاد بموجب نظام مثل هذا النظام غير متوافرة الآن والتفكير في إدخال

(١) محفوظات الجمعية العمومية لدور انعقاد سنة ١٩٠٩ وثيقة رقم ٧

(٢) اللواء في ٢٦ فبراير ١٩٠٨

تغيير يحدث انقلاباً كهذا الانقلاب ضرب من الحماسة والجنون» ثم دعا جورست المصريين إلى مساعدة بريطانيا في توسيع اختصاص مجالس المديرية والمجالس المحلية (١). وقد عادى جورست فكرة الدستور عن طريق الصحافة فجعل الموضوع كله على صفحاتها، فشرعت (اللواء) تفنيد الرأي الانجليزي وتحمل عليه حملة كان لها أبعاد الأثر في الجهات الرسمية النيابية (٢) فاجتمع مجلس شورى القوانين في ٣١ أكتوبر عام ١٩٠٨ وأثيرت مسألة المجلس النيابي في الجلسة ورأى بعض الأعضاء تأجيل النظر في هذا الموضوع إلى ديسمبر، وكان على خلاف هذا الرأي عشرة من أعضاء المجلس سبهم اللواء «العشرة الكرام» وكان من رأيهم المطالبة فوراً بإنشاء مجلس نيابي على أحدث النظم الدستورية في أوروبا (٣) وغذت الصحف الوطنية هذه الحركة ونشرت البرقيات المختلفة في هذا الصدد. ثم مضت تدعو إلى الفسكرة الدستورية كل يوم، ولما اجتمع مجلس شورى القوانين في ديسمبر ذكر (اللواء) أعضاءه ما وعدوا به من النظر في أمر الحكومة النيابية، فأصدر المجلس قراراً «يطلب من حكومة الجناب العالي إعداد مشروع قانون يمنح الأمة حق الاشتراك الفعلي مع الحكومة في إدارة أمورها الداخلية وتدير شؤونها المحلية وأن يكون رأيه تقريرياً في مشروعات القوانين واللوائح التي تطبق على الأهالي وفي تقرير الضرائب والرسوم بحيث يكون لهذا القانون تأثير على نصوص المعاهدات الدولية والامتيازات الفصلية والدين العمومي وأحكام قانون لجنة التصفية ما يتعلق بالأوربيين من المصالح والحقوق الواجبة الاحترام ولا على وركو الآستانة ولا على كل ما ارتبطت به الحكومة من التعهدات والاتفاقيات وبعد إعدادها هذا القانون يبعث به إلى مجلس شورى القوانين لإبداء رأيه فيه وهذا عملاً بالمادتين ١٨ و ١٩ من القانون النظامي» (٤)

(١) المقطم في ٢٣ أكتوبر ١٩٠٨ (٢) اللواء في ٢٦ فبراير و ١١ أبريل وشهر سبتمبر ١٩٠٨

(٣) اللواء في شهر أكتوبر ١ و ٢ نوفمبر ١٩٠٨

(٤) مجموعة محاضر جلسات مجلس شورى القوانين في ١٩٠٨

وكان هذا القرار الصادر من مجلس شورى القوانين حديث الصحف عامة والوطنية خاصة ولم ترفضه واحدة منها وإن اختلفت في التعليق عليه ، وكانت اللواء أول ما عنى به واهتم له ودعا إلى تحقيقه وإن كان في نظرها لا يحقق جميع الأمانى الدستورية .

ومهما يكن الإخفاق الذى أصاب هذه الحركة فإن الصحافة المصرية جعلت الفكرة الدستورية غاية من الغايات الوطنية ، وفرضت إيجادها على المجالس النيابية المصرية وصورت بمقالاتها الحكم القائم فى نظر الناس حكماً غير عادل ، وجعلت الجماهير تفكر فى أشياء معنوية لم تكن تعنى بها بجانب عنايتها بحمايتها المادية اليومية ، ولم يعد الجلاء وحده الغاية الأولى والأخيرة بل أصبحت فكرة الحياة الدستورية ملازمة للجلاء فى ذلك الوقت وبعده ذلك الوقت بسنوات .

وقد برم جورست بالحالة التى خلقتها الصحافة الوطنية ، فهو يتحدث فى تقريره عن مجلس الشورى فى سنتى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ حديثاً ملؤه الحق على معارضة هذا المجلس معارضة « تحشوها أعمدتها الصحافة الوطنية للمعادية للحكومة » ويقول عن خطر هذه الصحافة فى موضع آخر « وموطن الضعف فى المجلس الآن هو السهولة التى يلقاها المتطرفون فى اقتياد معظم الأعضاء وتضليلهم وشدة اهتمام جميع الأعضاء باجتنب الطعن فيهم فى الصحف العربية واتهامهم بضعف الوطنية وهذا الطعن يصيب كل من يؤيد اقتراحات الحكومة ولو تأييداً ضعيفاً » (١)

ثم استقالت عقب هذا وزارة مصطفى فهمى باشا وهى وزارة بقيت موالية للانجليز زهاء ثلاثة عشر عاماً ولم تكن حريصة على ود الخديو فى يوم من الأيام فكان طبيعياً أن تنقذه منها سياسة الوفاق الجديدة ، وقد ولى الوزارة بطرس باشا غالى (٢) وحمل عليها (اللواء) بعد ولايتها شئون مصر بثلاثة أيام فى مقال عنيف

(١) Blue Books . 1908-1909

(٢) الوقائع المصرية ١٤ نوفمبر ١٩٠٨

وأكد أنها جاءت تشجيع البقيصة الباقية من الحرية إلى مدفنها وأنها وزارة الوفاق
الذي تم على حساب المصالح المصرية (١)

توجس الوطنيون شراً من هذه الوزارة الجديدة بيد أن ذلك لم يعق صحفهم
عن مهاجمتها ومهاجمة الاحتلال في كل مناسبة من المناسبات ، ونال الخديو من
معارضتها هذه كثير من التهم القاسية التي بدت لينة في ملاحظات عن العلاقات
الجديدة بين جورست والسراي (٢) ثم تطورت إلى اتهام صريح للخديو بأنه
يحابي الاحتلال على حساب مصر في سبيل مصالحه الخاصة (٣) وهناك أسباب
أخرى دفعت إلى هذه الشدة الصحفية على جورست والخديو والحكومة مصدرها
فيما نعتقد أن شئون الدولة العليا أقيمت إلى مسيحي وهو أمر تبرم به غلاة المسلمين
إذ ذلك (٤) . وزاد (اللواء) حدة أن الشيخ عبد العزيز جاويش تولى تحريره منذ
٣ مايو ١٩٠٨ فحمل على دانلوب في المعارف ثم حمل على الحكم الإنجليزي في
السودان وسمى القضاء على الثورة هناك « دنشواي أخرى » ثم عاود النشر في هذا
الموضوع مستخفاً بتكذيب الحربية لمقاله الأول (٥) وانتهى به الأمر إلى القضاء
ومع ذلك فقد استمر في مقالاته الحادة يهجو بأسلوبه القاسي جميع الجهات ،
وامتازت عباراته بالإنشاء الحماسي الذي يلهب النفوس ويشير الهمم في مصر أو في
غيرها من البلاد الإسلامية .

ويعتبر اللورد لويد أن تفكير الحكومة في تقييد حرية الصحافة مصدره
كتابات الشيخ القاسية في اللواء (٦) إذ رأى المسئولون أن قانون العقوبات وإن
كانت له آثاره على الصحف الصغيرة المماجنة إلا أنه لم يستطع أن يحد من
تطرف الصحافة الوطنية الكبرى وهي تعارض معارضة لا تشوبها شائبة ، لذلك

(١) اللواء ١٧ نوفمبر ١٩٠٨ (٢) اللواء في ١١ أبريل ١٩٠٨ ثم لوجورنال

دى كير في ٨ أبريل ١٩٠٨ (٣) الشباب ٦ أبريل ١٩٣٦

(٤) الوطن ٢٣ مارس ١٩١٠ وفيها تفصيل لهذا الرأي

(٥) اللواء في ٢٨ و ٣١ مايو ١٩٠٨ (٦) LLOYD VI , p. 88-89

قررت الحكومة العودة إلى قانون المطبوعات الصادر في سنة ١٨٨١ وأعادته فعلاً في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ وتقدمت به إلى الرأي العام مبينة الأسباب التي من أجلها قررت معاملة الصحف بمقتضاه

بينت الحكومة وجهة نظرها قائلة : إن الحكومة لم تنفذ منذ عام ١٨٩٤ قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ وحيث أن الجمعية العمومية طلبت من الحكومة في ٢٦ مارس ١٩٠٢ ردع الجرائد عن تجاوزها الحدود وعن الفوضى التي وصلت إليها وأرسل إليها مجلس شورى القوانين طلباً مثل هذا في ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٤ وحيث أن عدم تنفيذ قانون المطبوعات لم يزد هذه الجرائد إلا تمادياً في التطرف والخروج عن الحد حتى أدى ذلك بشكوى الناس بلباس الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين من هذه الحالة التي أضرت بمصالح البلاد ضرراً بليغاً فقد قرر مجلس النظار ما يأتي : يعمل بأحكام قانون المطبوعات فيما يتعلق بنشر الجرائد في القطر المصري ، (١)

هذه هي الأسباب التي سوغت بها الحكومة عودة قانون المطبوعات القديم ، وكان أمر هذه العودة خطيراً من حيث حرية الرأي التي لم تكفلها سلطة من السلطات فاحتج الحزب الوطني على ذلك رسمياً (٢) وظهرت بعض وسائل الاحتجاج الأخرى على هذا القانون في ٢٦ مارس ١٩٠٩ وأخذت (اللواء) تتعلق عليه وعلى العمل به تمليق الخبير العارف بالتشريع وأضراره معتمدة على أقوال الشراح والمقننين (٣) بجانب إثارة الشعور العام على هذا التشريع وخاصة مقالها في ٣١ مارس الذي دعت فيه المصريين إلى الاحتجاج حتى تشعر الحكومة بمدى السخط العام على تصرفاتها إزاء الصحافة وهي الحصن الوحيد للوطنيين ، وقد شاركت (اللواء) الصحف المصرية الأخرى في الشعور نحو هذا القانون إلا

(١) الوقائع المصرية ٢٧ مارس ١٩٠٩ (٢) الرافعي - محمد فريدص ١٠٧ - ١٠٨

(٣) اللواء في ٢٩ و ٣٠ و ٣١ مارس ١٩٠٩

صحيفتنا (الوطن) و (مصر) ، ويؤرخ لهذه الحقبة قريبا قص ميخائيل في كتابه « أقباط ومسلمون تحت الحكم البريطاني » (١) بأن المقصود من هذا القانون كان كبت العنف الذي جرت عليه الصحف الوطنية في علاجها للمسائل السياسية وغيرها من المسائل العامة ثم يذكر أن الصحافة القبطية استقبلته بحمية له كعامل من عوامل تهدئة حدة الصحف وعنفها .

وقانون المطبوعات هذا قانون أبتز لأنه لا يسرى إلا على المصريين أو المقيمين بالجنسية المصرية ، لأن محاكمة الأجانب مهما تكن مخالفتهم أو جرائمهم تتبع أحكام دولهم وقوانينها ولا تملك مصر إذ ذاك فرض قانونها عليهم لتمتعهم بالامتيازات الأجنبية منذ عدة قرون ، فأصحاب الصحف من الأجانب في مأمن من هذا القانون وليس هنا مجال نقده ، وإنما تحضرنا بعض الملاحظات على تسويغ الحكومة الرجوع إليه ، فهي تدعى أن الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين قد هالهما إسفاف الصحف وتجاوزها الحدود وتماديها في التطرف ، والمجلسان النيابيان لم يشيرا قط إلى القصد من حرية الصحافة بحال وإنما أشارا إلى الصحف التي تنهش الأعراس وتخوض في الكرامات والصحفيين الذين ينالون طعامهم على كل الموائد دون رعاية لخلق أو عرف ، وقانون ١٨٨١ إنما تعيده الحكومة لتطبيقه على (اللواء) وما يناصره من الصحف ، ولم يطلب المجلسان العودة إلى هذا القانون بل طلبا « سن » قانون جديد ، وفرق بين الطالبين ، لأن سن قانون يقتضى عرضه عليهما ومهما يكن رأيهما استشاريا فلن يسكون في عنف قانون الثورة العراقية وبجمل القول في هذا القانون إنه طبق على مدى واسع وعلى الصحف المعارضة خاصة ، فقد كتب الشيخ عبدالعزيز جاويش في (اللواء) مقالا عن ذكرى دنشواي (٢) واعتبرت النيابة المقال سباً في رئيس الحكومة وتأريخاً لحياته من وجهة نظر معارضة تهون من شأنه في عيون الناس ، وقضى الاستئناف بسجن الشيخ (٣)

(١) أقباط ومسلمون ص ٩٨ (٢) اللواء في ٢٨ يونيو ١٩٠٩ (٣) الرافعي - محمد فريد ص ١١٢ - ١١٣

ثم أخذ (اللواء) ينشر مقالات عن حادث (دنجرا) وهو طالب قتل كبيراً من رجال الانجليز السابقين في الهند ، وكانت أخطر هذه المقالات المقالة الرابعة (١) حتى اعتبرتها الحكومة تحريضاً على القتل السياسي وإعجاباً به (٢) . وكانت قضية الشيخ جاويش أولى حوادث الصحف الوطنية من حيث تعرضها لقانون المطبوعات وقد اختلفت في شأنها الصحف المصرية المتباينة ، فكان معظم الصحف من عربية وفرنجية في جانب اللواء إلا (الأجهشيان جازيت) وجريدة (المقطم) وخاصة الأخيرة فقد ذكرت في قضية الشيخ تفاصيل ما سيجرى في المحكمة وما سينطق به القضاء ، وقد صح ذلك وجاء الحكم مطابقاً تمام المطابقة للمقدمات التي أذاعها المقطم في صفحاته (٣)

ومن الصحف التي راحت ضحية لقانون المطبوعات جريدة (القطر المصري) ذلك لأن صاحبها نقل عن إحدى صحف الأستانة مقالا لم يعجب المحرر فأخذ يفند ما فيه وينقد رأى كاتبه ويعارض اتجاهه غير أن الحكومة رأت في نشر المقال ما يمس النظام والأمن العام فأمرت بإغلاق صحيفة القطر المصري دون النظر إلى ما علق به الصحفي المصري وهو قمين بأن ينقذ صحيفته من سوء الظن وإن لم يعفها في نظر الحكومة من سوء التقدير (٤)

لم يحل قانون المطبوعات بالرغم من شدته دون عنف الصحف الوطنية، فكان كلما استبد القانون بها اشتدت هي في المعارضة ، وأصدق ما يجرى على هذه الحقيقة مشروع مد امتياز قنائة السويس وهو مشروع شغل رأى العام المصري في نهاية عام ١٩٠٩ وأوائل سنة ١٩١٠ وكانت الحكومة تأمل في موافقة السلطات التشريعية على هذا الموضوع ، غير أن اللواء أحس الاتجاه فبدأ محمد فريد بك يهاجم المشروع ابتداء من أواخر أكتوبر مهاجمة عنيفة مؤيدة بالحجج والأسانيد ونقلت عنه معظم الصحف المصرية عربية وفرنجية .

(١) اللواء في ١٧ أغسطس مم في ١٠ و ١١ و ٢٠ يولييه ثم في ٧ و ١٩ أغسطس ١٩٠٩
(٢) اللواء ٥ أغسطس ١٩٠٩ (٣) الشباب العدد الثامن (٤) الرافعي محمد فريد ص ١٢٨

كان الناس ينظرون في أول الأمر إلى فكرة مد امتياز قناة السويس نظرة مادية خالصة فكانت المناقشة تدور حول ما تنتفع به مصر من الناحية المالية ؛ وكان هذا هو اتجاه الصحف في نظرتها إلى المدسوع غير أن محمد فريد بك نشر في اللواء مقالا ممتعاً تحت عنوان « مسألة قناة السويس - اعتبارات سياسية » (١) وكان هذا المقال حجر الزاوية في رفض المشروع فيما بعد إذ نقل الكاتب الفكرة من البحث المالي إلى الناحيتين الأدبية والمعنوية وعلاقة ذلك بكرامة الوطن وحقوقه. وبهذا المقال وبغيره مما نشر في اللواء والصحف الأخرى رفض مشروع مد امتياز القناة وانتصرت الصحافة في أعظم معركة اهتمت لها الحكومة اهتماماً منقطع النظير ، واعتبر ذلك الرفض من وجهة النظر العامة أول انتصار وطني على الاحتلال منذ وجد في مصر ولم يفد دفاع الصحف الموالية للانجليز أو المتحدثة باسمهم في إنقاذ فكرة المشروع . وفي أثناء مناقشة هذه الفكرة حدث أن اغتال ابراهيم ناصف الورداني رئيس الحكومة بطرس غالي في ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ لأسباب ذكرها القاتل بأنها تعود إلى تاريخ بطرس باشا ومواقفه في الحركة الوطنية وأساليبه في تناول الحكم ، ويذكر الورداني أن الذي دفعه إلى هذا الجرم أن رئيس الحكومة قد وقع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ثم رأس المحكمة المخصصة في قضية دنشواي ، وفي وزارته صدر قانون المطبوعات ووزارؤه أكثر الوزراء تحمساً لتنفيذ مد امتياز قناة السويس (٢) وكان لهذا الحادث أثر كبير جداً في تضيق حرية القول والكتابة ، كما كان له أثر خطير في انقسام وحدة الأمة بعدئذ ؛ وقد أجمعت الصحف والحزب الوطني على استنكار هذه الحادثة ومع ذلك فإن (الأجبشيان جازيت) ردت أصول الحادث وفروعه إلى اللواء (٣) وهي تهول في ذلك وتكبر وتمضى في أثناء محاكمة الورداني تكرر وتعيد في ذلك ، وترجم بعض مقالاتها جريدة (المقطم) وشاركتها صحيفتا (المؤيد والوطن)

(١) اللواء ابتداء من ٢٥ أكتوبر ١٩٠٩ نم ٣٠ يناير ١٩١٠ (٢)

(٢) الزافى ، محمد فريد ص ١٧١ (٣) الاجبشيان جازيت ٣١ فبراير ١٩١٠ (٢)

في الحملة على الحزب الوطني وإلقاء التبعة على مقالاته التي هاجت الناس وطوحت
بإحساساتهم حتى خرج منهم هذا المجرم الشنيع ، وقد صدر بمقتل بطرس غالى
ثلاثة قوانين كان مجلس الشورى قد أبى أن يقرها من قبل (١) الأول يقضى
بإخراج الجنايات والجنح التي تقع بواسطة المطبوعات من اختصاص قضاة
التحقيق والمحاكم الجزئية ويحيلها كآنها جنائيات عادية ارتكبت ضد القانون على
محاكم الجنايات التي ليس لها محلفون وليس لحكمها استئناف ، والقانون الثانى
يتعلق بنظام المدارس وهو يعاقب بالطرده من المدرسة كل طالب يشترك في
مظاهرات في داخل مدرسته أو خارجها أو يكتب في الصحف أو يمدّها بأخبار
أو يقوم لها بعمل ما ، ويعاقب القانون الثالث ما يقع من الاتفاقات (الجنائية)
بين شخص فأكثر بالحبس مدداً مختلفة ، والاتفاق الجنائى يتضمن كل ألوان
التآمر والجمعيات السرية (٢)

وبالرغم من صدور هذه القوانين مضت (اللواء) في معارضتها للحكومة
والاحتلال وإن تحاشت اللفظ الشديد ولم يعفها الحذر أو التلطف في العبارة من
المؤاخذة كلها تعقبت سياسة الاحتلال بالملاحظة والنقد ف نشرت مقالا بعنوان
« الزراعة والصناعة في عهد الاحتلال بين مصر والهند » وهو من أمتع البحوث
التي اعتمد فيها كاتبها على الأرقام والمقارنة قبل اعتماده على شيء آخر ومن المقالات
المتعة التي تزين تاريخ الصحافة المصرية وتوضح كفايتها ونضجها (٣) غير أن
الحكومة لم يرضها هذا البحث ولم تقر هذا التوجيه فاعتبرت (اللواء) قد خرجت
« عن حد الاعتدال واستعملت عبارات من شأنها إهاجة الخواطر بالطعن على
أعمال الحكومة تحت ستار إسناد هذه الأعمال إلى الأمة الانكليزية ونسبتها إلى
كثير من المعاييب التي تمس كرامتها ، ثم قضت بانذار (اللواء) في أكتوبر
للمرة الثانية .

(١) العلم ٣١ مايو ١٩١٠ (٢) الاجيشيان جازيت ٣٠ مايو و٢ يونيو ١٩١٠

(٣) اللواء ١٨ أكتوبر ١٩١٠

رأت (اللواء) في هذا الإنذار تعنتاً لا نظير له فأقامت الدعوى على الحكومة بشأن إنذارها (١) وشغل هذا الإنذار الصحف المصرية جميعاً فحملت عليه جريدة (العلم) (٢) بالطبع لأنها الصحيفة الثانية للحزب الوطني وسخرت منه (البلاغ المصرى) ومن المعانى التى انطرت عليه (٣) وأبت (الجريدة) أن تقره فى أسلوبها الرفيع المعروفة به (٤) ورأت (المؤيد) أن ماجاء بالإنذار سخيف وأنكرت على المقالة التى أنذرت من أجلها (اللواء) أى خروج على النظام (٥) ورأت رأيها هذا جريدة (وادى النيل) (٦) وعلقت جريدة (البصير) بالاسكندرية على هذا الموضوع راجية أن يتسع صدر الحكومة للصحف وأن تقلل من مؤاخذتها لها على الصغائر التى لا تضر بالمصلحة العامة (٧) ومضت (المقطم) تطعن فى الحزب الوطنى وصحفه (٨) وتزعم أنه حزب ثورى يعرض بالجناب الخديو ويخزن السلاح توطئة لثورة يقيمها فى مصر (٩) ولم ترض معظم الصحف الأجنبية فى مصر عن هذا الإنذار فحملت عليه حملة تتفاوت بين الشدة واللين (١٠)

ثم حدث خلاف بين ورثة (اللواء) والحزب الوطنى وعين يوسف بك المويلحى حارساً قضائياً، ولهذا الخلاف أصول أرخت لها الوثائق فى إدارة المطبوعات وبينت الكفاح الذى دار حول الصحيفة بين القصر والحزب الوطنى فقد أوحى المعية إلى الحارس القضاء أن يتدخل فى توجيه سياسة الجريدة وأبى زعيم الحزب هذا التدخل وترك (اللواء) وبقى الكفاح متصلحاً حتى انتهى الأمر

-
- (١) محفوظات ادارة المطبوعات دوسيه رقم ٥ (٢) العلم فى ٢٥ أكتوبر ١٩١٠
(٣) البلاغ المصرى فى ٢٥ أكتوبر ١٩١٠ (٤) الجريدة فى ٢٦ و ٢٧ أكتوبر ١٩١٠
(٥) المؤيد ٢٥ أكتوبر ١٩١٠ (٦) وادى النيل فى ٢٧ أكتوبر ١٩١٠
(٧) اللواء ٢٦ أكتوبر ١٩١٠ (٨) المقطم فى ٢٦ و ٢٩ أكتوبر ١٩١٠
(٩) اللواء فى ٢٧ أكتوبر ١٩١٠ (١٠) الاجيشيان جازيت فى ٢٥ أكتوبر وجورنال دى كير ولا بورص أجيشيان فى ٢٦ و ٣٠ منه ولا ريفورم فى ٣١ منه

بتوقيع الحجز على آلات الجريدة وخسرت الحركة الوطنية أعظم أسنتها وأقدمها (١) ثم قررت اللجنة الإدارية للحزب الوطني في أول مارس سنة ١٩١٠ نشر جريدة (العلم) برأسمال قدره خمسة آلاف جنيه زيدت إلى أحد عشر ألف جنيه ، وهي شركة غير تجارية ولا أمل فيها لربح شخصي إذ تقرر أن تضاف الأرباح إلى رأس المال . وقد قام مكاتبو (اللواء) ومراسلوه بالدعوة له في المدن والأقاليم وتعريف الناس على أنه لسان الحزب الوطني ثم عين لها مندوب في الآستانة يمددها بالأنباء الخارجية وهو أحد المتهمين في قضية الورداني

ولما لم تفلح الحكومة في القضاء على حركة الحزب الوطني بالقضاء على (اللواء) أُنذرت (العلم) تم استبدلت بالإنداز التعطيل لمدة شهرين في ٢٠ مارس سنة ١٩١٠ حتى تتخلص من نقده ومعارضته في أثناء نظر مشروع القناة في الجمعية العمومية وخلال محاكمة المتهمين في قضية الورداني ، وذلك بناء على إشارة الوكالة البريطانية مع أن صحف (مصر الفتاة) و (المؤيد) كتبت موضوعات مماثلة وأشد طهجة من (العلم) دون أن تنذر أو تغلق (٢) فنشر الحزب الوطني جريدة (الاعتدال) ثم (الشعب) ثم (العدل) إلى أن عاد (العلم) إلى الظهور في ٢٠ مايو سنة ١٩١٠

وقد شاب هذه الحركات الصحفية الحرة نزعة لم يعرفها مؤرخ الصحافة المصرية في تاريخها جميعه وتزهت عنها الصحافة الوطنية في أدق مواقفها مع ما بذل من الجهد لإثارتها في الثورة العراقية أو خلال حركة مصطفى كامل ، وهذه النزعة هي المشكلة القبطية الاسلامية التي أثارها عدة عوامل بعد وفاة زعيم الحزب الوطني في سنة ١٩٠٨ فقد بدأت الصحف الاسلامية ، و (المؤيد) و (الجريدة) خاصة ترد في شهر مايو من تلك السنة على جرائد الأقباط التي بدأت تبحث في أمر الوظائف والموظفين وعدالة القسمة فيها بين النصارى والمسلمين ، ووقفت (الوطن)

(١) محفوظات المطبوعات دوسيه رقم ٥ (٢) وزارة الداخلية دوسيه العلم رقم ١٦٨

لكليهما وحملت عليهما في عنف وشدة (١) ومع أن مقالات (المؤيد) و(الجريدة) خلت من هذا العنف الذي نشرته (الوطن) فإن الوطن اعتبرت الحديث في أمر الوظائف والموظفين شيئاً يستوجب هذا العنف فاضطر (اللواء) إلى النزول في الميدان ونشر الشيخ جاويش مقالا عنيفا جداً رداً على ما جاء بمقال (الوطن)، وهو يرد على هذه اللهجة العنيفة بعنف مماثلها ويزيد عليها في أسلوبه المأثور عنه (٢). وقد أدى هذا النقاش الصحفي إلى خصومة عنيفة بين المسلمين والأقباط كان صداها في تلك البرقيات التي أرسلت من المسلمين إلى ناظر الداخلية ليحاكم صاحب (الوطن)، كما أرسلت برقيات بمائة من الأقباط يحتجون على عبارات (اللواء) « بإحساسات مجروحة يلتمسون من عطوفتو أفندم ناظر الداخلية وجناب المعتمد البريطاني بسرعة ملافاة الأمر قبل استفحاله » وكاد الأمر يستفحل حقاً فقد دعا الأقباط إلى اجتماع بحديقة الأزبكية كادت تحدث فيه فتنة، وذهب كثيرون إلى المفوضية الفرنسية يشكون الشيخ جاويشاً على اعتباره من رعايا فرنسا التونسيين (٣).

وقد استطاع الحزب الوطني أن يرأب الصدع ويقف هذا التيار بمجهود العقلاء والحريصين على وحدة البلاد، غير أن السياسة الانجليزية ما فتئت تخلق المنازعات بين العنصرين وأظهر ما صنعتها في هذا الميدان تعيين بطرس غالي باشا للنظارة، وتحمل (الوطن) و(مصر) خاصة وزر العودة إلى الموضوع كما تتحملة أيضاً الصحافة الوطنية الإسلامية، فقد كان اتجاهها إسلامياً محضاً، حتى الصحف التي صدرت معارضة للحركة الوطنية وموالية أشد الموالات للاحتلال جعلت من أسس حياتها الأولى الناحية الإسلامية، وقد ر أن يكون على رأس الصحفيين الوطنيين رجل متحمس كعبد العزيز جاويش وصل السياسة بالدين وجعل للدين أثراً في

(١) الوطن في ١٥ يونيه ١٩٠٨ (٢) اللواء في ١٧ يونيه ١٩٠٨

(٣) محفوظات الداخلية دوسيه رقم ٥

السياسة العامة ، وقد أعقب فترة الهدوء بين العنصرين مقتل بطرس باشا فأعاد هذا الحادث أدوار الحركة من جديد .

ونحن نقرر في جزم أن بعض الصحف المسيحية تتحمل أكبر قسط من المسؤولية في استئناف هذا الموضوع فقد عادت (الوطن) إلى التحدث فيه تحت عنوان « هنا وهناك » (١) وأخذت تسب « اللواء المرذول جريدة حزب الخراب والشر » ثم تستعيد ما نشر في صحيفته في ظروف مماثلة . ومع أن أسلوب محرر (الوطن) بدأ في إثارة الأزمة ليناً ورفيقاً إلا أنه أعاد الكرة بعد بضعة أيام شيراً من طرف خفي إلى تخوف الأقباط من الدستور لأن معنى الحياة في ظل الدستور كما يرى الكاتب « أن تصبح البلاد وحكومتها في قبضة قواد الحركة الحالية بلاسلطة فعلية من الجناب العالي ولا رقابة حقيقية من الدولة العلية » (٢) . ومن مقالاتها الخطيرة التي زادت الخلاف حدة الفصول التي نشرتها حاملة على الحكومة والشيخ جاويش والتي استعدت فيها الانجليز على الشيخ « عدو الانجليز والأوربيين عامة وعدو الأقباط وعدو السوريين وعدو عقلاء المصريين » كما نشرت تعليقا على فض الجمعية العمومية وهي تظهر خصومتها للدستور ثم نشرت مقالا توقع فيه بين الخديو ورجال الحزب الوطني (٣)

ومنذ بدأت الصحافة المسيحية تفهم المسألة الدينية في سياستها استفصل الخلاف بين المسلمين والأقباط ، وأرسل الآخرون إلى لندن في يونيو ١٩١٠ قريبا قوس ميخائيل كممثل للصحافة القبطية في مصر وكداعية لأغراض الأقباط هناك ؛ وقد استقبلته الصحافة الانجليزية وأحزابها استقبالا عظيما ، ونشرت إحدى وعشرون صحيفة المقالات الطويلة في موضوع الخلاف في مصر ، وبدأت حملة الصحف

(١) الوطن ٢٣ مارس ١٩١٠ (٢) الوطن في ١٣ أبريل ١٩١٠

(٣) الوطن في ٥ و ١١ و ٢٦ أبريل على التوالي

الانجليزية في ٢٠ سبتمبر ١٩١٠ واستمرت إلى ٢٣ سبتمبر ١٩١١ (١). واهتمت الصحف المصرية الإسلامية والصحف القبطية والأجنبية في مصر بهذا الموضوع اهتماما جعل المسألة الوطنية في المرتبة الثانية واشتركت (المؤيد) و (الجريدة) و (اللواء) (والعلم) و (الأهالي) من الناحية الإسلامية و (الوطن) و (مصر) من الناحية القبطية ، اشتركت جميعها في هذا الموضوع وأكثر ما في هذه المشكلة غرابة موقف الانجليز ثم موقف جريدتي (الأهالي والمقطم)

صفحة
١٩

ولقد كان معروفا أن الصحف الفرنسية في مصر كلها تقريبا تناصر الأقباط في حركاتهم وكان معروفا أيضا أن الصحف المصرية الإسلامية جميعا وبلاستثناء تجادلهم بالعنف وتحمل عليهم أشد الحملات أما الانجليز فموقفهم غريب حقا ، فصحافتهم في مصر وانجلترا تزيد طيب هذا الخلاف إذ يذيع روتر في ٢٦ يناير سنة ١٩١١ حديثا للسير جورست بأن « الأقباط والمسلمين يعيشون في سلام لو تركوا وحدهم » (٢) وتقول (التيمس) عن جريدة (الوطن) « إن لهجتها مازالت شديدة ومهيجة منذ إعدام الوردني » ثم تعقب على إنذار الحكومة للوطن « وأهم من مسألة إنذار (الوطن) اغتنام الأقباط هذه الفرصة لبيسط شكواهم للرأي العام وللحكومة البريطانية نفسها » ثم تعلق على مطالبة الأقباط بوظائف المديرين « إن القدرة على معاملة الناس التي هي صفة من صفات الحاكم الإداري الضرورية ولا سيما في المديرية لم تكن يوما من الأيام من الصفات القوية للأقباط » (٣) وفي موقف جورست والتيمس ما يغري بالحكم بأن الإنجليز الرسميين كانوا في جانب الحركة الإسلامية ، وهذا في الواقع لون من السياسة لم يفت مؤرخي ذلك الزمن فعلقوا عليه بالملاحظة والتفنيد .

لحظة | أما جريدة (الأهالي) لصاحبها عبد القادر حمزة فكانت صحيفة معتدلة لم

تخل من حملة جريدة (الشعب) عليها (١) وهي مع أنها صحيفة شبه رسمية وشديدة الصلة برئيس الحكومة وأول من دعا إلى عقد مؤتمر للمسلمين إلا إنها كانت تعالج الخلاف برفق (٢) حتى أن الوطن ذكرتها وهي تهاجم الصحف الإسلامية جميعاً « لو أن الصحف الإسلامية كلها تجادلنا باتى هي أحسن على طريقة (الأهالي) الغراء لما سمع الناس بذكر التعصب والانقسام ولا كان في القطر صوتان متنافران بل كان المصريون كلهم حزبا وطنيا واحداً له غاية واحدة هي ترقية مصر وبنيتها والاستقلال التام » (٣) ، أما (المقطم) فكانت أقل الصحف اشتراكاً في هذه الجمعية ، وحين كانت الصحف الأخرى في سعيها هذا الخلاف كان (المقطم) يملأ صفحاته بالمسائل الخارجية وأهمها « مجلس المبعوثان » لمدوبه الخاص في الآستانة وقبلها كانت (المقطم) تنشر برقيات الأقباط ومؤتمرهم وقد دعت إلى السلامة ونصحت الفريقين بها ، ولم تبق بدلوها في الموضوع وقالت في إحدى مقالاتها عن تحاشيها الخوض في هذا الخلاف « إن كان يمكن أن يعد كلام جريدة اليوم من فضة فسكوتها يعد من ذهب وجواهر كريمة لا محالة » ثم تذكر في يوم آخر أخبار (المؤتمر المصري) وتمدح سياسته وأمانيه (٤) ثم أنتج هذا الخلاف الصحفي المؤتمرين القبلي والمصري ؛ فأما الأول فقد أعرضت عنه الحكومة ودار الوكالة البريطانية وأعلن البطيريك أنه لا يمثل الطائفة في شيء وتبعه رموسها وعيونها فمثل المؤتمر بذلك فئة صغيرة نائرة . وأما المؤتمر الإسلامي فقد رأسه رياض باشا وأكبرته الصحف الوطنية جميعاً وباركت قراراته وفيها رفض أكثر ما طالب به الحزب القبلي الصغير (٥)

ومهما يكن أمر هذا الخلاف الصحفي فقد خسرت فيه مصر أكثر مما كسبت

(١) الشعب في ٨ مايو ١٩١٢ (٢) أقباط ومسلمون ص ٣٢

(٣) الوطن في ٤ يناير ١٩١١ (٤) المقطم ٨ و١٣ مارس ١٩١١

(٥) اللواء ٤ و٩ مارس ١٩١١ وما بعدها (٦)

طائفاتها ، فان المسائل الوطنية العليا أصبحت في المرتبة الثانية بالنسبة للخلاف
المذهبي ، وخرج الاحتلال من ذلك سليماً فلم تقحمه الصحف في الموضوع
لا الاسلامية منها ولا القبطية ، وانتهى المؤتمران إلى قرارات اتخذت لم يشروا احد
منها إلى احتجاج على احتلال أو مطالبة بدستور ، غير أن هذا الخلاف قد ترك لنا
ثروة أدبية طيبة ، فقد أنتج الأدباء والشعراء روائع الأدب وبدائع الشعر في تأييد
وجهات النظر المتباينة ، وترك لنا كتباً عربية وفرنجية (١) أرخت الخلاف
ومصادره ونتائجه سواء باللغة العربية أو اللغات الفرنسية ، ومع أن الخلاف كان
شديداً جداً بين صحافة العنصرين فان انذار الوطن قد ساء الصحف جميعاً ، وهو
موقف نادر بين تلك الصحف وغريب في مثل هذا الوقت ، ويحمل هذا مكاتب
(التيمس) في ١٧ يناير ١٩١١ بقوله « وقد أحدثت هذه الحادثة حركة كبيرة في
الصحافة المصرية من وطنية وأجنبية ولعل السبب في ذلك أن سحق الصحف عام
على قانون المطبوعات لأن جرائد مصر مهما تباينت مبادئها واختلفت مذهبها
تتفق على انتقاد هذا القانون وتقييد حرية الصحافة به ، (٢) والأصل في هذا
الانذار أن (الوطن) نشرت مقالات عارضت فيها قرار الحكومة القاضي بطبع
بعض الكتب العربية القديمة ، ودارت مناقشات حادة بين (الوطن) والصحف
الاسلامية ، وكان من حزب الجريدة القبطية (ذى أجبسيان جازيت) لسان
الجالية البريطانية وكذلك اتخذت جانبها (لا بورص أجبسين La Bourse Egyptienne)
لسان الجالية الفرنسية ، وسمت إنذار الحكومة للوطن عوداً إلى القرون الوسطى
ولا يجوز أن يتعقد مجلس النظار لمثل هذا في القرن العشرين ، وسار على هذا
النهج معظم الصحف الأجنبية مواسية (للوطن) في محنتها (كلاريفورم)
(ليجبت) نصيرة المسلمين كما يسميها قريافوس في كتابه (٣) وانتصرت لها
أيضاً الصحف الاسلامية وعلى رأسها (اللواء) بالرغم من أن الأنداز كان نتيجة

(١) راجع الوطن في ٨ ابريل ١٩١٠ ومحفوظات الداخلية دوسيه رقم ٤

(٢) نقلا عن الاهالي في ١٧ يناير ١٩١١ (٣) أقباط ومسلمون من ١٠٠ - ١٠٢

لخلاف بينها وبين (الوطن) ، غير أن (اللواء) تحتج على الحكومة وتأتي عليها
التدخل في شئون الصحافة ولو كان تدخلا ينصر الصحف الإسلامية على (الوطن)
فإن لذلك محاكم وقضاة في وسعهم أن يردوا الجاني ويعاقبوا المسيء .

وحوالى هذا التاريخ صدر الحكم في قضية كتاب « وطنيتي » وهو يقضى بسجن
محمد فريد بك والشيخ علي الغاياني مؤلفه ، وعلقت الصحف جميعاً على هذا الحكم
ولم ترض عنه واحدة منها لأنه « صادر ضد رجل من ذوى الأقلام » وقد استوت
في ذلك صحف المسلمين والأقباط والأجانب (١) وخاصة جريدة (المقطم) التي
« شق » عليها « وهاج » عواطفها أن يصدر ذلك الحكم على خصيمها العتيد « وكأن
ذلك الخصم القديم قد انقلب في شعورنا دفعة واحدة إلى صديق حميم » (٢)

وكان الأمل كبيراً - وقد هدأت حدة هذه المحنة وخرج منها الصحفيون كتلة
واحدة أمام الاضطهاد الذي عانته صحفهم من الانذار أو التعطيل أو سجن أصحاب
الصحف - كان الأمل كبيراً في أن يصفو جو الصحافة حتى تعنى بالمسائل الهامة
وتختم ناريتها بالحرب العظمى ختاماً طيباً بيد أن الصحف ما لبثت أن عادت إلى
خلافاتها في النظر إلى الشؤون العامة ، تمثل (العلم) اتجاهات الحزب الوطني الرسمية
ومن خلفها (اللواء) وبعض الصحف الصغيرة ثم (المؤيد) وتبرعن رأي حزب
الإصلاح وهو حزب شديد الصلة بالقصر ومن ورائها صحف قليلة الأهمية أظهرها
(الرقيب) ثم (الجريدة) أخيراً وتنطق باسم حزب الأمة وهو حزب مسالم يرى
الأمور في اثناد ويرجو السير في مراحل الإصلاح على مهل .

ويمضى (العلم) في عنفه وقد أغراه تغيير العميد البريطاني ؛ فقد استطاع
جورست بملايقته للقصر أن يفصم عرى الود بين الحديو والحزب الوطني ويفتت
الكتلة الوطنية ويقسمها شيعاً وأحزاباً ويخلق من المسائل الصغيرة ما يدعو إلى
انحراف الوطنيين عن جهادهم الرئيسي في سبيل الاستقلال والدستور ، ظن (العلم)

(١) العلم في ٢٧ يناير ١٩١٢

(٢) المقطم في ٢٣ يناير ١٩١١

أن تعيين كتشنر بعد وفاة جورست سيبدل الموقف لأن في خالق هذا العسكري ما لا يحتمل الملاينة والملاطفة نحو القصر وبطانته ومن ثم تعود الوحدة إلى أصلها والكفاح إلى ذروته فمضى يحمل على الحكومة والانجليز حملات شعواء أهمها مقالاته التي نسب فيها إلى الحكومة نكاتها بتركية في الحرب الطرابلسية وحمل الاحتلال مسئولية هذه القصة (١) فطلب اللورد كتشنر إغلاق (العلم) نهائياً ووقف صحف الحزب الوطني جميعاً كما تقول (المحرسة) (٢) ولم تنف محفوظات الداخلية رواية هذه الجريدة غير أن الخديو وحكومته توسطتا في الأمر فأصدرت الوزارة قراراً بتعطيل (العلم) شهوراً ثلاثة لسلوها مسالك الطعن في الحكومة بما يحمل الناس على كراهيتها (٣). فأصدر الحزب الوطني في ٢٠ ديسمبر ١٩١١ جريدة (الشعب) لساناً له بعد تعطيل (العلم)، وأصبحت (الشعب) و (اللواء) - وإن اختلفتا فيما بينهما - الجريدتين المتطرفتين في ذلك الوقت فأما (اللواء) فقد أصدرت الوزارة أمراً بتعطيلها نهائياً بحجة أنها عينت محرراً مسؤولاً دون أن تحصل على إذن بذلك ولأن بعض رجالها والقائمين بأمرها قد صدرت عليهم أحكام قضائية عقاباً لهم على أمور موجبة للاضطراب ومخلة بالأمن العام. (٤) وليست هذه هي الحججة الصحيحة فقد عرفنا (اللواء) معارضتها العنيفة غير أن أكثر ماضيق حكومة ذلك الوقت نشرها مقالاً لمحمد فريد بك في العدد ٣٨٤٧ خصص فيه بالذكر إنشاء الدولة لصندوق التوفير واعتبره حيلة لجمع أموال الفلاحين ليستثمرها الانجليز في البنك الأهلي، ثم حمل على الحكومة لأنها عرقلت مشروع النقابات الزراعية حتى لا يعرف الفلاح لذة الاتحاد فيطالب بحقوقه المسلوبة، وذلك بايحاء من الاحتلال ورجاله الذين حابتهم الحكومة هم والتليان وآثرتهم

(١) اللواء في ١٨ ديسمبر ١٩١١ (٢) المحرسة في ٢٣ ديسمبر ١٩١١

(٣) الرافعي - محمد فريد ص ٢٨٦

(٤) ادارة المطبوعات دوسيه ١١ - ٢ - ١٨٦٠

على تركية في جميع المواقف الأخيرة . (١)

ومضت الحكومة في تنفيذ سياسة الشدة مع الحزب الوطني فقررت في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٢ تعطيل جريدة (العلم) - وكانت قد عادت إلى الظهور - تعطيلاً نهائياً لأنها نشرت مقالات في اليوم السابق على التعطيل لمحمد فريد بك عن الحرب البلقانية وما أصاب تركية فيها من الهزائم ، وقد حمل الكاتب المصدر الأعظم مسؤولية ما انتهى إليه أمر الحكومة التركية من فساد ورأت الوزارة المصرية أن الكاتب يحمل على صديق الانجليز في الآستانة فأمرت بوقف الجريدة وقالت في سبب ذلك « وحيث أن هذه المقالة التي ختمت بالطعن الشديد في ولاية الأمور العثمانية الذين ألقى عليهم تبعه ما أصاب الجيش العثماني إنما هي مقالة من شأنها إثارة خواطر المسلمين وإيغار صدورهم نحو ولاية الأمور المذكورين في هذه الظروف التي تستلزم الهدوء والسكينة وحيث أن هذه الجريدة اعتادت نشر ما يكدر صفو الراحة العمومية فضلاً عن أنها لسان حزب اتخذ رئيسه لنفسه خطة التيسيع وحيث أنه سبق صدور قرارين بتعطيل هذه الجريدة مرتين الأولى لمدة شهرين بتاريخ ١٩ مارس سنة ١٩١٠ والثانية لمدة ثلاثة شهور بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٩١١ فلهذه الأسباب ومحافضة على النظام العام تقفل جريدة (العلم) التي تصدر بالقاهرة من تاريخه » (٢) . وقد أظهر تعطيل (العلم) الخصومة العنيفة التي كانت بينها وبين صحف مصر في ذلك الوقت وهي خصومة انتهى أمرها بقرار التعطيل ؛ غير أن وداع معاصرانها لها رسم للمؤرخ صورة لمذهب الصحف وانجاهها من حيث وزنها للمعارضة النزيهة والخصومة الشريفة ؛ فأما موقف (الأهرام) فكان موقف الأسف المقدر للجريدة تاريخها وكفاحها (٣) وكذلك كان رأي جريدة (وادي

(١) إدارة المطبوعات دوسيه ٥ وهذا المقال حوكم من أجله محمد فريد غيايباً وحكم عليه

بالسجن سنة مع الشغل . (٢) نقلاً عن الرقيب في ٨ نوفمبر ١٩١٢ (٣)

(٣) الأهرام ٨ نوفمبر ١٩١٢

النيل (١) وأخذت جريدة (الاكسبريس) على الحكومة هذا العنف في تعطيل (العلم) وخاصة أنها صحيفة الرأي في البلد في أشد الحاجة إلى الصحف المعارضة لافتقاده المجالس النيابية ، واعتبرت تعطيل (العلم) لذلك وهي صحيفة الحزب الوطني ضررا على الحكومة ورجالها قبل أن يكون ضررا على الشعب نفسه (٢) ثم صدرت (المقطم) بمقال طويل علقت فيه على تعطيل (العلم) معلنة كراهيتها لقانون المطبوعات غير أنها ترى أن إحياء القانون مصدره تصرفات محمد فريد بك وعبد العزيز جاويش وهي توازن بين كراهيتها لهذا القانون وبين تعطيل (العلم) فتميل إلى احتمالها إذا كانت تلك آثاره (٣) ثم تشيخها (الوطن) بقولها إنها «أكثر جرائد القطر المصري انتشارا لأنها لسان الحزب الوطني وكانت بعض الدوائر تحسب له حسابا وتسرع إلى إجابة مطالبه في كثير من الأحيان» ثم تعاق على قرار التعطيل «ولكن العلم بطر وأسرف في الذم وبالغ في اسراف العداء لسمو الأمير وحكومته» وتوضح موقف الاحتلال بقولها ان اللورد كاتشنر «السياسي الفطن والبطل المغوار أطال زمان الصبر والتساهل أيضا» (٤) وتذهب إلى هذا الرأي جريدة (الرقيب) فتقرر أن الأغلاق كان عقب مقال لمحمد فريد بك الذي كان «شرا على الحزب وصحفه في الظعن والإقامة» (٥) ولم يجر في هذا الاتجاه من الصحف الأجنبية إلا جريدة (La Finance Egyptienne) (٦) (والاجبشين ميل) التي رحبت بتعطيل العلم واعتبرت ذلك «إشارة إلى نهاية عهد من ألم العهد في تاريخ مصر الحديث» (٧) ومنذ أواخر سنة ١٩١٢ أصبحت جريدة (الشعب) لسان حال الحزب الوطني وتولى رئاسة تحريرها أمين الرافعي بك وهو من خيرة صحفبي الحزب الوطني ورجال الصحافة المعدودين، وقد وقفت جريدة (الشعب) عن الصدور في ٢٧ نوفمبر

(١) و (٢) و (٣) وادى النيل في ٩ نوفمبر والاكسبريس في ١٠ نوفمبر والمقطم

في ٧ نوفمبر ١٩١٢

(٤) الوطن في ٨ نوفمبر ١٩١٢ (٥) الرقيب في ٨ نوفمبر ١٩١٢

(٦) لا فينانس اجيبشين ٩ نوفمبر ١٩١٢ (٧) الاجبشان جازيت ٨ نوفمبر ١٩١٢

عام ١٩١٤ احتجاجاً على رقابة الحكومة العنيفة للصحافة المصرية ، ومنذ اعتبار الشعب لساناً للوطنيين الى يوم احتجاجها وهي في كفاح مستمر مع الحكومة التي هددت بتعطيلها اذا نشرت مقالات محمد فريد التي كان يرسلها من أوروبا (١) ولم تقو الصحف الوطنية الهامة على أداء وظيفتها منذ سفرت الحكومة في محاربة الصحافة حرباً لا هوادة فيها ، وتقرر ذلك جريدة (الشعب) فتؤكد أن إرهاب قانون المطبوعات ضيق على الصحف فأخذت خوفاً منه تصور الرأي العام صورة مشوهة كما أنه جعل الصحافة الإسلامية في تناقض وزاد في الجرائد القبطية (٢) وكان من أهم الصحف الوطنية الباقية جريدة (المؤيد) التي اتجهت الى المسألة العثمانية منذ أصبحت شركة مساهمة (٣) ومضت تنشر المقالات عن المسألة الشرقية بقلم السيد رشيد رضا (٤) وقد وقف محررها قلمه على الحملة على المسيحيين في الجيش العثماني بعد حرب البلغار (٥) وأخيراً تنحى عنها الشيخ علي يوسف في سنة ١٩١٣ بعد أن عين شيخاً للسادة الوفائية وبيعت أدوات (المؤيد) وختم تاريخه الحافل في ١٧ ابريل عام ١٩١٦ (٦) ولم تبلغ مصر الحرب العظمى حتى كانت صحف الأحزاب الثلاثة قد تعطلت إما بفعل الحكومة كما هو ظاهر من ختام حياة (الشعب) أو بتنحى رجالها عنها كما حدث في (المؤيد) أو لاضطراب في مالياتها وإيثار محرريها وظائف الحكومة كما دلت عليه حال (الجريدة) إذ ذلك ، ولم تعش الصحف الأخرى وأهمها (الأهرام والمقطم) في القاهرة (والأهالي والبصير) في الاسكندرية إلا بما اصطنعت من مسابرة الظروف حتى مرت الحرب العظمى وبدأ التاريخ يخطط صفحة جديدة في حياة الصحافة المصرية .

(١) الراجعي . محمد فريد ٣٤٠

(٢) أغلقت ست صحف ولم ينشأ على أنقاضها إلا صحيفتان قبطيتان هما (الرقيب والاقدام)

واجع الشعب في ٨ مايو ١٩١٢ (٣) المؤيد في ٢٧ مارس ١٩٠٩

(٤) المؤيد في سنة ١٩١١ وخاصة مقالته في ١٨ أكتوبر ١٩١١ وقد ترجمتها الصحف الفرنسية

(٥) المؤيد ٥ نوفمبر و ٦ ديسمبر ١٩١٢ (٦) محفوظات المطبوعات دوسيه رقم ٣ مكرر

في الصحافة فقد ألقى شئونها منذ أنشئت في مصر إلى الرجال وخدمهم وقلما كانت
تطالعنا سيدة بمقال أو حديث إلى أن نزلت إلى ميدانها المصريات فأنشأت
أربع عشرة مجلة نسائية في مصر والاسكندرية ، وفي ذلك إيماءة إلى تغير الأحوال
وتخلص الجيل من تزمته .

وللصحافة المصرية في ذلك العهد أثر غير منكور في إحياء اللغة العربية وآدابها
في شعب يتحدث سادته اللغات الأجنبية ويفرض المحتل لغته عليه ويقدمها على
سائر اللغات فيجعلها ضمن أدوات حكمه في الدواوين والمدارس بجانب المعاهد
الأجنبية المختلفة التي جعلت اللغة العربية في المحل الثاني أو الثالث ، وقد استطاعت
اللغات الفرنسية والانجليزية والاطالية أن تنتزع من اللغة التركية سيطرتها
الأولى ولم تملك القضاء على اللغة العربية التي أحيتها وقوتها الصحافة بانتشارها
ومجادلاتها في المسائل السياسية والاجتماعية والدينية وهي مسائل انصلت بكل
موضوع سواء في الأدب أو العلوم أو القانون . ولم تعد الصحافة كما كانت من
قبل ذبلاً لأفراد يمثلون فكرة من الأفكار فهي تحمل على الإنجليز كما تحمل
على الخديو وأخذت الجهات الرسمية جميعاً ترضاها وتوخي محاسنها بالتأييد
الأدبي أو المادى أو تحاربها بالقوانين واستبدالها .

ويعتبر عهد عباس الثاني أعظم عهود الصحافة المصرية في تاريخها إلى الحرب
العظمى ، لأن مناصرته لها ولرجالها نشأ عنها نشاط أدبي منقطع النظير ، وإلى
عهده يرجع سجل الصحف في الآداب والاجتماعيات ، وفي عصره عرف شوقي
وحافظ وغيرهما من الشعراء والنثرين ، بل من بينهم من كان في معيته وركابه ومن
عاش في عطفه وبره ونشرت له الصحف أفضل المقالات وأروع القصائد ، وفي
عصره نشأت فئمة من الشباب كان لها في الميدان الصحفي بعد الحرب أبعاد الأثر
وهؤلاء من تلامذة صحف عباس الثاني وطلابها المجيدين .

وكانت الصحف المصرية تنحرف عن الجادة بين آن وآخر في ذلك العهد
انحرافاً يعطل القضية المصرية ، فكانت تشغل أحياناً بالمسائل الشخصية كقضية

الزوجية أو قضية القبط. والمسلمين وتنشر من التعبيرات في مساجلاتها الحزبية ما أثر في جيلنا، وكانت هذه المهارات الصحفية من أقبح ما ورث عن جيل الاحتلال. وقد نجحت الصحافة المصرية في علاج الصدمة التي لقيتها مصر من الاحتلال، فقد ردت الأمن إلى النفوس وخرجت بالناس إلى الوجود وعلمتهم أن الهزيمة تاريخ لا ينبغي أن يعيشوا في أعطافه وأن الاحتلال شيء لا ترضاه الشعوب الحرة وأن ما فشلت فيه القوى الحربية تستطيعه القوة المعنوية الكامنة في الأمة المصرية، وأن الحياة ليست ملك الأرض والنفوس في الطعام بل هي شيء أعلى من الأرض والطعام، وأن إصلاحات الانجليز رد للحقوق إلى أصحابها وليست عملاً يفرض الاحتلال أو يمكن له، فأمن الناس بأنه شيء بغض ورأوا أن نظمه وأدواته عمل رجعي لا يحتمل، حتى فكر الانجليز آخر الأمر في تغيير الأساليب القديمة وإنشاء الجمعية التشريعية خطوة لما بعدها، وكان الأمل عريضاً في نجاح للصحافة أبعد من هذا لولا أن الحرب العظمى عاجلت المصريين فحدثت من نشاط الأقلام وختمت جهاد الصحافة على الصورة التي شرحناها بعد ثلاثين سنة من الجهاد.

الفصل الثامن

الصحافة المصرية المعاصرة

يبدو أن الحديث عن الصحافة المصرية المعاصرة سابق لأوانه ، فالزمن لم يتقدم بنا بعد لنستطيع الحكم على عمل هذه الصحافة ، ولا يستطيع المؤرخ الذي يعاصر عهداً من العهود أن يخلو تأريخه لهذا العصر من الملاحظة والنقد لأنه لا يملك تجريد نفسه من بعض المؤثرات التي قد تشوب تأريخه عفواً أو قصداً وإن كان في ميسورنا أن نختم تطور الصحافة المصرية العربية في إيجاز لا يعرضنا للمؤاخذة أو يضطرنا إلى التفصيل .

اعتبرت مصر تحت الحماية البريطانية في الحرب العظمى منذ ٢ نوفمبر عام ١٩١٤ (١) فلم تعد الصحافة المصرية قادرة على أداء وظيفتها إذ خضعت لرقابة الرقيب ، ثم أعلنت الهدنة وأخذ المصريون يطالبون بحقوقهم في الحياة الحرة المستقلة وأثر عن هذه المطالبة بحقوق مصر أن تألف الوفد المصري برئاسة سعد زغلول باشا وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ، وكان موقف الصحافة المصرية إذ ذاك موقفاً حرجاً دقيقاً ، غير أن أميناً الرافعي استطاع في وقت الضيق الذي نزل بـصحافة مصر أن يصدر صحيفة (الأخبار) في ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٠ وهي أهم وأخطر صحف ذلك العهد من حيث تحريرها أو تعبيرها عن الأمانى المصرية ، وصاحبها رجل حنكته التجربة الصحفية وله في تاريخ الصحافة المصرية مواقف قلما وقف إلى جانبه فيها صحفي من الصحفيين المعارضين ، وقد قطع حياته الصحفية مثلاً من

(١) الوقائع المصرية - عدد خاص - في ٢ نوفمبر عام ١٩١٤

أمثلتها الرائعة سواء أكانت قبل الحرب العظمى أم بعدها . وقد حملت (الأخبار) لواء الفكرة الوطنية ، وزاملتها (الأهرام) بعد وصول لجنة ملنر في ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ . فخرجت عن تحفظها ومضت قدما إلى الجانب المصري تعبر عن الأمانى المصرية أحسن تعبير ، وقد أطلقت حرية الصحافة بالرغم من القيود المفروضة عليها ، وأكبر الظن أن لبعثة ملنر Milner دخلا في تقرير هذه الحرية التي بدونها يعز على هذه البعثة فهم الموقف على حقيقته ، وقد أشار تقرير ملنر إلى ذلك كله (١) . ثم صدرت جريدة (الاستقلال) لمحمود عزمى في مايو عام ١٩٢١ وحرر فيها طه حسين وكانت الصحيفة خالية من العنف الذى أثار عن جريدة (الأخبار) ، وقد نقل أمتيازها فيما بعد إلى جبرائيل تقلا صاحب (الأهرام) وقد ظهرت الاستقلال فى فترة وجد الخلاف فيها بين الوطنيين على مسائل تتصل بالمفاوضات .

ومنذ اختلاف الوطنيين على تفاصيل الحركة الوطنية ، وتوزع طرائق النظر إلى الأهداف العليا بدأ المصريون يؤلفون الأحزاب والشيع ، فكان هناك الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول وكثير من أعضائه كانوا أعضاء فى حزب الأمة القديم ونشأ حزب الأحرار الدستوريين من بعض أعضاء هذا الوفد ، وأصدر هذا الحزب جريدة (السياسة) فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ورأس تحريرها محمد حسين هيكل وهى من أنضج الصحف المصرية من حيث دراستها للمباحث الداخلية والمسائل الخارجية ، وقد حرر فيها نخبة من الكتاب المصريين كطه حسين ومحمود عزمى وتوفيق دياب وغيرهم . وعن جريدة (السياسة) تؤثر نشأة التجديد فى حياتنا الاجتماعية فقد دافعت عن المرأة وجعلت موضوعها حديثاً يشغل بعض صفحاتها كما أفردت لها بين آن وآن صحيفة مصورة تعنى بمسائلها المختلفة ، وعن هذه الجريدة عرف التهمك السياسى إن صح التعبير فى مقالات الدكتور طه حسين ، كما ظهر النقد

البرلماني عندما أصبحت الحياة الدستورية حقيقة واقعة وكان صاحب هذا الباب الجديد في الصحافة المصرية الدكتور محمود عزمي عدا الأبواب الأخرى التي حفلت بها ، فقد عنيت بالقصة وموضوعها ، وخصصت بين الفينة والفينة صفحة للشئون الزراعية ومسائلها المتباينة ، وبهذا وبغيره كانت (السياسة) من أولى الصحف التي عرفت كيف تشغل المفكرين المصريين بمناهجها الجديدة . وقد أخذت لجنة الثلاثين في وضع الدستور عقب تصريح فبراير سنة ١٩٢٢ وهو الدستور الذي لا يزال معمولاً به والذي رضيت له الأحزاب جميعاً وإن كان الوفديون قد حملوا عليه إذ ذاك ، ولم يرض عن التحفظ في بعض مواده كثير من الأحرار الدستوريين ولم تعجب بعض مواده الأخرى المحافظين والجامدين وكانت الصحافة المصرية تمثل هذه الاتجاهات جميعاً ، وقد منحت من الحرية - بالرغم من الأحكام العرفية ما مكنها من شرح هذه المسائل الدستورية ونقدها ، ولعل مسألة الدستور كانت أهم الموضوعات التي حظيت ببحث الصحافة ورجالها منذ ثورة سنة ١٩١٩ .

وإذا كانت (السياسة) جريدة الأحرار الدستوريين ولسانهم المعبر عنهم فإن الوفد لم تكن له صحف رسمية بل كانت له صحف وفدية من أهمها جريدة (البلاغ) لصاحبها عبد القادر حمزة (باشا فيما بعد) وقد صدرت في سنة ١٩٢٣ « جريدة يومية سياسية أدبية تجارية » تتمثل بكلمات لسعد زغلول وتحمل على السياسة الإنجليزية في مصر وتمثل التطرف السياسي ، وساهم في تحريرها الأستاذ عباس محمود العقاد أحد رجال الأدب المجودين وأحد طلائع المدرسة الصحفية الحديثة وقد جعل للناحية الأدبية في كتاباته حظاً موفوراً ، ونشر فيها محمد نجيب الغرابي بعض القصائد في المناسبات العامة . ثم صدرت جريدة (كوكب الشرق) صحيفة وفدية في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ فأخذت (البلاغ) في اتجاهها الحزبي وأعلن صاحبها أحمد حافظ عوض يوم صدورهما خطة صحيفته بأن شعارها سيكون « كما كان شعار الصحف التي سعدت بتحريرها والانتساب إليها العمل المتواصل لتحقيق الأمنية الوطنية العظمى ، ألا وهي استقلال مصر والسودان استقلالاً تاماً

صحيحاً وستبقى هذه الغاية نصب أعيننا إلى أن نفوز بها أو نموت دونها ولنا مع هذه الغاية الوطنية المصرية أغراض وغايات أخرى يجب أن تكون لها عندنا أهمية عظمى وتلك الأغراض وهاتيك الغايات هي العمل الدائم على شد أو اصر الرابطة الإسلامية خصوصاً ، والشرقية عموماً ، والوسيلة إلى ذلك كما يقول « نشر العلوم والمعارف العربية وآثار المدنية الإسلامية والاحتفاظ بالمميزات الشرقية » ولسكن الكاتب بعد هذا يفجأ العالم الإسلامي باتجاه جديد لا يتفق مطلقاً مع مدرسته الصحفية والسياسية القديمة اللتين نشأ فيهما فهو يذهب إلى قطع الروابط الإسلامية ويرفض « الوطنية الإسلامية ذلك المذهب البالي الذي كان يدعو إليه بعض الزعماء في الأزمان الماضية على قاعدة أن الإسلام لا وطن له وأن بلاد المسلمين كلها وطن واحد ودولة واحدة وأمة واحدة » ويدلل على فساد هذا الرأي بأن لكل بلد شرقي سياسة وظروفا خاصة .

ومنذ صدور الدستور المصري في سنة ١٩٢٣ انقسم المصريون شيعاً وأحزاباً فهناك الوفد وصحافته وأهمهما (البلاغ) و (كوكب الشرق) وهناك الأحرار الدستوريون وصحيفتهم (السياسة) ثم تألف حزب جديد عقب مقتل السردار في سنة ١٩٢٤ هو حزب الاتحاد وأنشأ له صحيفة لم يؤثر عنها فضل ينشر أو خطر يذكر ثم وجد حزب الشعب في سنة ١٩٣٠ وأصدر صحيفة (الشعب) وزاملت في الخمول جريدة (الاتحاد) . ثم أخذت الأحداث تجري على غير نظام ثابت فيوما تتمتع الصحف بحريتها ويوما تضطهد اضطهاداً منقطع النظير ، وفي خلال ذلك صدرت جريدة (الجهاد) لمحمد توفيق دياب صحيفة وفدية للصباح ثم زاملتها جريدة (روز اليوسف) إلى أن اختلف محررو هاتين الصحيفتين الوفديتين مع المسؤولين فاستععض عنهما بجريدة (المصري) لأصحابها محمود أبو الفتح ومحمد التابهي وكريم ثابت وبعد سنة ١٩٣٨ انفرد بها أبو الفتح وأشرف الوفد المصري على سياستها على أن تكون لساناً له وهي أول صحيفة رسمية لهيئة الوفد منذ تكونت . وكان بجانب هذه الصحف اليومية صور منها أسبوعية فقد أصدر

الأحرار الدستوريون (السياسة الأسبوعية) في ١٣ مارس سنة ١٩٢٦ في ست
عشر صفحة كبيرة للآداب والعلوم والتاريخ والقانون والسياسة المصرية والشرقية
والدولية، كما وجدت بها صور رمزية وقسم مصور لأهم الحوادث والأشخاص،
ومن أمتع ما رأيناه فيها باب «في المرأة» للشيخ البشري وسار على هذا الدرب (البلاغ)
فأصدر صاحبه (البلاغ الأسبوعي) في ٢٦ نوفمبر ١٩٢٦ وهو تقليد (للسياسة
الأسبوعية) وكان من أهم محرريه عباس العقاد ومحمد السباعي والأستاذ صبري
أبو علم أفندي والأستاذ محمود سليمان غنام أفندي في حجم أصغر من (السياسة)
وإن صدر في ثمان وعشرين صفحة ولكنه تميز بصوره الكاريكاتورية البديعة.
ثم صدرت في مطلع الحركة الوطنية صحيفة تأثرت بأبنا نظارة هي (السكشكول)
المصور لسليمان فوزي وكانت «جريدة مصورة اجتماعية انتقادية» عرفها المصريون
في ٢٤ مايو عام ١٩٢١ وكانت مثلاً طيباً للصحافة الهزلية وعاصرت التطور
السياسي في مصر إلى أن قضى صاحبها منذ سنوات وعن مدرسته صدرت
(روزاليوسف) (وآخر ساعة) وما اليهما من المجلات المماثلة.
ولم تعمر (السياسة الأسبوعية) أو (البلاغ الأسبوعي) طويلاً فقد احتجبتا
حين طغت السياسة على مصدرهما فشغلهم النشاط فيها، فأصدر أحمد حسن الزيات
في ١٥ يناير سنة ١٩٣٣ مجلة (الرسالة) باشتراك طه حسين وأعضاء لجنة التأليف
والترجمة والنشر وكانت خطتها «ربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب».
وفي سنة ١٩٣٦ أصدر الدكتور محمود عزمي صحيفة (الشباب) صحيفة مستقلة
الرأي بعيدة عن الأحزاب غير أن صاحبها مزج فيها بين السياسة وألوان الثقافة
الأخرى وأشرف بطابعه الخاص على أكثر فصولها وكادت هذه الصحيفة تسد
الفراغ بعد (السياسة الأسبوعية) و(البلاغ الأسبوعي) لولا أن العقبات المالية
والأحوال السياسية حالت دون استمرارها فطويت صفحاتها وشغل تاريخ الصحافة
المصرية من نظير لها حتى اليوم. ثم انفردت لجنة التأليف بصحيفة خاصة بها هي مجلة
(الثقافة) التي صدرت في ٣ يناير عام ١٩٣٩ لصاحب امتيازها أحمد أمين وذكرت
أنها «تتقدم للعالم الشرقي مؤمنة بقدرتها بنفسها وبأصدقائها شاعرة بتبعيتها مقدرة
لواجبها واثقة بقراءتها»

* * *

ويستطيع المؤرخ أن يلم بنشاط الصحافة المصرية في هذه الحقبة ويوضح اتجاهها جملة فقد رأينا أن الصحافة المصرية دعت إلى أن تعمل مصر لتحقيق مصالحها الخاصة ولا ترتبط بأمة من الأمم فلم تشر إلى تركيبة أو تتجه إلى فرنسا بل جعلت دأبها خاق رأى عام ممد خير تمهيد يعتمد على نفسه في تحقيق آماله لذلك كان فضل الصحافة عظيمًا في هذا الميدان ، وإذا كانت الصحافة الوفدية قد تكفلت بالقسط الأكبر من الحركتين الدستورية والاستقلالية وكان لها في ذلك أخطر الأثر من غير شك ، فإن صحافة الأحرار الدستوريين شغلت الرأى العام بالنواحي العلمية والاجتماعية وبكل رأى حر وأثارت حفيظة الرجعيين عليها وأبت أن يستبد هؤلاء الرجعيون بكل فكرة جديدة ، وقد أثر عنها وعن رجالها أزمات لا تزال الذاكرة تحفظها ؛ فقد أثار تعصب المحافظين نظرية قال بها عالم من العلماء هو د على عبد الرزاق ، الذى انتهى فى بحثه عن الخلافة إلى ضرورة فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية ، واشتد النزاع بين صحافة الأحرار وبين حكومة ذلك الوقت ، وانتهى الأمر باستقالة الوزارة نفسها ونشأت أزمة دستورية مصرية أعقبتها ائتلاف الأحرار مع الوفد ، وكذلك حمت صحف الأحرار الدكتور طه حسين من الحكومات وبطشها حين نشر مؤلفه عن الشعر الجاهلى ، وكاد أمر طه حسين يفصم الائتلاف بين الحزبين الرئيسيين فى سنة ١٩٢٧ . وبهذا لفتت جريدة (السياسة) المصريين إلى مسائل لا تتصل بالأمور السياسية وحدها كما صنعت سياسة الوفد ، ولا شك أن الموضوعات التى أثارها والقضايا التى وكلت بالدفاع عنها كانت موضوعات وقضايا تترجم عن أصحاب الفكرة الحرة فى مصر وهى موضوعات وقضايا قرأها الشرق الأدنى ، وليس يعنى المؤرخ أن يرفض هذا الشرق المتمزمت هذه النظريات الجديدة أو يقبلها وإنما نقرر أن الشرق الأدنى قد أحس أن جريدة (السياسة) ومحرريها يذيعون أشياء لم يعتدها المصريون من قبل . وكان بجانب السياسة فى الشق المعارض من المحافظين الشيخ رشيد رضا

ومناره فقد نجح (المنار) في شمال أفريقية وذاع أمره وانتشر في تلك الجهات انتشاراً مكن للفكرة الإسلامية ، وقد دأب (المنار) على نشر الفتاوى الإسلامية التي جاءت من جزر الهند والهند الشرقية وأعماق إفريقية وهذا مصدر من مصادر النفوذ الأدبي المصري لم يحسه المصريون في مصر ولم يقدروه حق قدره . وإذن لم يستطع المصلحون من الأحرار أن يحتكروا وحدة العلاقات الخارجية بل ساهم المحافظون فيها من أمثال رشيد رضا وأحمد زكي باشا .

والصحافة المصرية المعاصرة تتميز بفضل لاشك فيه ، فقد لعبت دوراً عظيماً في إحياء الأدب العربي في الصحف اليومية والصحف الأسبوعية والشهرية . فقد حفلت هذه الدوريات بخير ما أنتج حافظ وشوقي من شعر ونثر وفتحت صدرها للبحوث العلمية والأدبية ونوعت في هذه النواحي الثقافية فأشاعت القصة فيها ، وأخذت عن الصحف والكتب والمجلات الغربية خير ما فيها ، وعرضت بذلك للأدب العربي فرصة احتمال ما لم يكن يحتمله من المعاني الجديدة وبرهنت على أن اللغة العربية قادرة على أداء وظيفتها بين اللغات الحية ، وللصحافة المصرية المعاصرة فضل غير منكور في تطور الصحافة في البلاد العربية المختلفة إذ اتخذتها مثلاً لها وحاولت السير على أثرها كما نقلت عنها أهم المقالات في السياسة والأدب والاجتماع وقد احتضنت الصحافة المصرية كثيراً من الشخصيات الموهوبة حقاً التي أفادت في تنوير الرأي العام وتقويم آرائه ، والصحافة المعاصرة هي التي أظهرت مصر بمظهر البلد الذي لا يقنع بأن يكون قلب العالم العربي بمركزه الجغرافي وحده بل إنه قلبه بالفكر وبالاهتمام الدائم بكل جديد على الرغم من الأزمات المختلفة في حياته السياسية والاقتصادية .

ووجب أن نختص القاهرة بفضلها الصحفي فهي أكثر المدن المصرية احتفاً بالصحافة والصحفيين ، تجاوزت جرائدها مائة جريدة عربية وأكثر من ستين صحيفة فرنجية على حين لم تبلغ صحافة الأقاليم تسعين صحيفة من بينها صحف الموانئ المصرية وهي قليلة إذا قيس عددها الضئيل بعدد السكان الكبير ، وهذا

كما يثبت قدرة القاهرة على تغذية البلاد من الناحية العقلية .

وإذا أردنا أن نعطي صورة لأنواع الصحافة المصرية المعاصرة فيجب أن نذكرها في ألوانها التي تخصصت لها ، فنجد في صحف مصر كما هي الحال في جميع صحف العالم جرائد يومية كبيرة للأخبار تظهر في الصباح والمساء ، وعلى رأس هذه الصحف جريدة (الأهرام) لتاريخها القديم وتنظيمها الرائع وشهرتها في مصر وخارجها ، ثم نجد بجانب (الأهرام) أو (المقطم) صحفاً تطبع لمصلحة حزب أو أحزاب مختلفة وذلك لإقناع الرأي العام برأي هذه الأحزاب ، وهي أحياناً واسعة الانتشار لها أثرها في المدن . وهناك صحافة أسبوعية أو نصف شهرية ليست لها صبغة سياسية خاصة أو ثقافية خاصة ، وهذه الصحف رائجة السوق مقروءة في معظم البيئات لأنها تعنى بالمودعة والسينما والروايات البوليسية والراديو والألعاب الرياضية وغير ذلك من النواحي التي تلذ للجمهور المصري مطالعتها ، ويتجه بعض هذه الصحف إلى الشباب والبعض الآخر إلى العالم النسائي وهذا النوع من الصحافة المصرية لا يصدر إلا باللغة العربية وله نشاطه المعروف ولا يقل شأنًا عن الصحافة الأوربية في هذا الباب . وإذا أغفلنا الجرائد ذات الطابع الصحفي الخاص نصل إلى طائفة ليست خاصة بمصر وحدها ونعني بها المجالات الأدبية والعلمية الكبرى مثل الطلال والمقتطف ، ولا شك أن سهمها أعظم بكثير من سهم زميلاتها في أوروبا ، ويرجع ذلك إلى الأثر الملحوظ لها في النهضة الأدبية والفكرية ، كما تتميز بالتنظيم الرائع في حياتها الصحفية وتعتبر (الهلال) مثلاً طيباً لهذا التنظيم . فالهلال عبارة عن أسرة كبيرة منظمة تضم دوراً ثلاثاً إذا اجتمعت لأي صحيفة كان نصيبها قطعاً الرواج والانتشار ، لها هيئة تخصصت للون من التحرير ، ولها مطبعة على أحدث طراز ثم لها دار للنشر والتوزيع ولها فوق ذلك حظ موفور من تأييد جمهور الأدباء والكتّاب المشهورين . والهلال كبيت للطبع والنشر يشرف على عدة مجلات من أهمها (المصور) ويعنى بحياة الأبناء (الصالونات) ويصور الحياة الاجتماعية ويمس الشؤون السياسية باعتدال

وكذلك تصدر عن هذا البيت الصحفي مجلة (الاثنين) وهي تشبه من قريب (مجلة المصور) وتضيف القصة القصيرة إلى صفحاتها كما خصصت جزءا منها للسينما والمسرح والصور الكاريكاتورية ، وقد أصدرت دار الهلال صحيفة (Images) باللغة الفرنسية وهي مصورة كزميلتيها السابقتين وصدى لهما في بيئة الأجانب في مصر ، وإذا تخصص مجلات الهلال كتاب محترفون فإن (الهلال) نفسه لا يحرر إلا بمقالات يؤجر عليها الكتاب المعروفون في مصر والشرق العربي

وإلى جانب الصحافة الأدبية التي جعلنا دار الهلال مثلا لها في الإنتاج والإخراج توجد الصحافة الفكاهية والصحافة النسائية أما الأولى فصحافة مصورة وهي صحافة مذهب وعقيدة وهي دائما إلى جانب المعارضة ومعارضتها أشد ما تكون خطراً وأثراً ، وهي تستعمل اللهجة المصرية الخالصة واللغة العامية حظ كبير فيها، وهنا موضع الخطر فإن استعمال بعضها للغة الغالبة في الحياة المصرية يجعل قراءتها ميسورة على جميع الناس ويصبح أثرها عميقاً في الجموع الشعبية ، وهي صحف لا تروج في أوقات الهدوء السياسي بل يغلب نشاطها وازدهارها كلما تحرجت الحياة السياسية . أم الصحافة النسائية فهي أيضا قد نشأت صحافة رأى ومذهب ، وكان التفكير في إنشاء مثل هذه الصحف غريبا على العقلية المصرية التي حجبت المرأة أجيالا عن الحياة العامة وحالت دون تعليمها وقد دافعت الصحف المعاصرة عن حقوق الفتاة المصرية في التعليم وغيره من مظاهر الحياة الرفيعة ، غير أن المرأة حاولت مرارا أن تأخذ على عاتقها حق الدفاع عن كيانها ومهدت لها الحركة الوطنية ذلك الأمر بعد أن ساهمت بنصيب ملحوظ فيها ، وقد ظهرت في عالم الصحافة النسائية (فتاة الشرق) للبيبة هاشم و (حواء الجديدة) لروز حداد و (المصرية) للسيدة هدى شعراوي ، ولكن هذه الصحف جميعا أصابتها أزمات اقتصادية متصلة فعجزت عن الصدور ولكن نجاحها يتمثل في الحقوق التي اكتسبتها الفتاة المصرية في التعليم وبعض وظائف الدولة .

عرضنا في هذا الفصل وفي الفصول السابقة التفاصيل التي اتصلت بنشأة الصحافة المصرية وتطورها ، عرضنا لهذا التاريخ وخلصنا من هذا العرض ببعض حقائق ذكرناها في موضعها ، ويجدر بنا ونحن نختم هذا البحث أن نقرر ثلاث مسائل صاحبت الحياة الصحفية في جميع مراحلها . فأول ما يؤكد لنا تاريخ هذه الصحافة أنها عاشت في أعطاف فكرتين ، الحركة العربية والقومية المصرية ، ولم تسبق الأولى الثانية أو تغطي عليها قط ، فالصحافة الرسمية في عهد محمد علي إما صحافة لمصر وحدها أو صحافة لمصر وتركيا معاً وكذلك كان الأمر في تلك الصحافة في عهد الخديو اسماعيل وإن غلبت الفكرة المصرية فيها كل فكرة أخرى ، ثم لاحظنا أن الصحافة الشعبية مزجت بين القومية العربية والقومية المصرية وخاصة في أواخر عهد اسماعيل وطوال حكم توفيق ويصور هذا الاتجاه أديب اسحق وأقرانه من الصحفيين المتمصرين ، وبرى الشيخ محمد عبده هذا الرأي في العروة الوثقى وإن جعل مصريته أكبر من عربيته ، ثم هدأت هذه النعرة بعدئذ ، وإن بقيت بعض الصحف المصرية واضحة الميول نحو الفكرة العربية ، وخلا هذا التفكير من صحافة الحزب الوطني الذي زواج بين الأمانى المصرية والتركية وأنكر فكرة العروبة في مجهوداته لأنها تتعارض مع السلطنة العثمانية . ثم عادت فكرة العروبة في الصحافة المصرية بعد الحرب العظمى غير أن القومية المصرية كانت شيئاً لا يقاوم ولا يغلبه أى معنى من المعانى الأخرى ، وأصبح الصحفيون الأحرار لا يرون مصر جزءاً من البلاد العربية بل جزءاً من الشرق الأدنى له الصدارة التي لا يدانيها شعب من الشعوب الشرقية ، وذلك لجهاده الطويل الشاق ومكانه المقدور له في الحياة الدولية العامة .

والمسألة الثانية التي تتميز بها صحافة مصر أنها عاشت صحافة رأى ومذهب ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية اتجاه التشريع الخاص بها إلى التزم والتضييق وهذه الاضطهادات التي لقيتها منذ نشأتها إلى اليوم وهي كثيراً ما فنيت في مذهبها وصرعت لرأيها ، ولعلها من هذه الناحية تفضل صحافة بعض الدول الغربية التي

سيطرت عليها تيارات خفية من الرشا وشراء الضمائر ، غير أن المصاعب المالية - وهي نقطة الضعف في صحافتنا - لم تبق على كثير من الصحف الحرة التي تزين تاريخ الصحافة المصرية . وقد بقيت صحافتنا قوة ينكرها الأجانب في مصر والخارج ، وأكبر الظن أن هذه النظرة إلى الصحافة المصرية قد تغيرت بعد الثورة العراقية وآية ذلك أن (العروة الوثقى والمؤيد) وصحف الحزب الوطني أفسدت على الانجليز هدوئهم فنعوا دخولها جميعاً في السودان أو في مستعمراتهم المختلفة ، وكذلك كان موقف فرنسا وإيطاليا منها في إيالاتهما المتباينة ، وهي قوة لا شك في قدرها إذا علمنا أن صحافتنا المصرية تقرأ في بلاد الشرق الأدنى أكثر مما تقرأ صحافة تلك البلاد ، وفي ذلك ما يؤيد قوتها ويعلن خطرها . والمسألة الثانية التي لاحظناها في الصحافة المصرية أنها بالرغم من تقدم الزمن بها واتساع أفق النشاط أمامها لا تزال صحافة تعنى بالمقال السياسي ، ومصدر هذا فيما نعتقد تسلط الروح الحزبي عليها ففقد الخبر مكانه وطغى المقال عليه ، وهنا تبدو الفروق واضحة بينها وبين الصحافة الغربية التي قد تنوع في مقالها ولا تقصره على ناحية من النواحي مهما تغل في حزبيتها بيد أنها تقدم الخبر عليه وتحله محل الصدارة من نشاطها وجهدها .

(Le Moniteur Egyptien) في سنة ١٨٣٣ بل أعان أصحابها بالرعاية المادية والأدبية كما يقول جون باورنج J. Bowring في تقريره عن مصر في تلك السنة (١)

ولم تتصل عناية محمد علي (بلومونيتور أجبسيان) فاختمت بعد بضعة شهور، ولم يحاول هذه المحاولة مرة أخرى كما لويحاولها خلفاؤه الثلاثة، ولكن الجاليات الأجنبية قد اشتد ساعدها في مصر بين تاجر وعامل وموظف وصدرت اثنتا عشر جريدة، منها ثلاث إيطاليات وتسع فرنسيات، وأكبر الظن أن الجاليات الأجنبية كانت من القلة بحيث لم تشمل هذه الصحف جميعاً وأكثرها صدرت مرات قليلة ثم اختفت ثم عادت إلى الحياة في ظروف أكثر ملاءمة. وقد صدرت في سنوات متفرقة بين سنة ١٨٤٦ و ١٨٦٢. وقد نشرت هذه الصحف في ظروف لا يضبطها ضابط من قانون المطبوعات أو الصحافة، وإن أثبتت الوثائق في عهد سعيد أن إنشاءها كان معلقاً على موافقة الأمير « على شرط أن لا تتجاوز فيما تنشره قوانين الدولة العلية وأن لا تذكر أى شيء ضد الحكومة المحامية » (٢)

وقد صدرت هذه الصحف جميعاً في مدينة الاسكندرية حيث كان النشاط التجاري والصناعي في أوجه وحيث كانت كثرة الجاليات الأجنبية تعيش، وقد تميزت هذه الصحف كلها ببعض المميزات فهي صحف تبحث في التجارة وتنشر أخبارها وأخبار البورصة خاصة واستتبع ذلك كثرة الاعلانات فيها حتى أن بعضها كانت تستغرقه هذه الاعلانات، وعينت هذه الصحف عناية واضحة بالسفر الداخلة والخارجة وفصلت ما حملته من الأشياء في الذهب والإياب، ثم تباينت هذه الصحف في سياستها العامة وموضوعاتها الداخلية والخارجية فكانت (لوسبتاتورى أجزيزيانو Lo Spettatore Egiziano) أظهر هذه الصحف عناية

(١) راجع هذا الموضوع في (تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨ - ١٩٤٢) للمؤلف

(٢) محفوظات هابدين وثيقة ٣١ سجل ٥٢٥ معية تركى قسم ثان ص ١٤٦

بالآداب والاجتماعيات وكانت أمتع الصحف من حيث قدرتها على إرضاء قرائها،
فهي تنشر لهم القصص الأدبي الرائع نقلا عن الآداب الأوربية المختلفة واهتمت
غيرها بالمسائل الشرقية ووقفت صفحاتها على أمور الشرق ومشكلاته واتخذت
غيرها صبغة تتصل بالدولة التي تتبعها (فكانت ليكودي اجيتو L, Eco Di Egitto)
تتحدث في جميع أعدادها عن إيطاليا وأخبارها كما شغلت صفحاتها بأحوال
الايطاليين في مصر وبأخبارهم المختلفة وجعلت ذلك غاية من غاياتها وقلبا كانت
تعنى بالمسائل المصرية . وفي عهد سعيد باشا أنشئ المجمع العلمي المصري وفرض
إنشاؤه إصدار جريدة تكون سجلا له وهو وصل ما انقطع من الحملة
الفرنسية ، إذ كان هذا المجمع صدى للمجمع القديم حتى كان أكثر أعضائه من
الفرنسيين ، وحلت مجلة (المجمع المصري Bulletin de L'Institut Egyptien)
محل (لاديكاد اجبسين) في تسجيل الموضوعات التي أقرها المجمع أو نشر بعض
المذكرات التي تتصل بشؤون مصر المختلفة .

كانت الصحف الفرنسية إلى عهد سعيد باشا صحف إعلاني ، زحرت
صفحاتها بالاعلانات المختلفة وضمنت مقالا أو مقالين وبضعة أخبار لا تغني
أضال الصحف المعاصرة لنا ، ولم تكن هناك صحف رأى أو صحف أخبار لأن
الظروف كانت تأبي الرأي الحر ولا تحمل الملاحظة والنقد ، ولذلك كانت
الجرائد في معظمها جرائد أسبوعية ففقدت « صفة الخبرية » فيها ، أما عصر
إسماعيل فقد امتاز بصحافة الرأي فيه امتيازاً ملحوظاً سواء منها ما كتب له
أو عليه .

وقد حمل لواء هذه الصحافة الجديدة جريدة (لوبروجريه اجبسيان
Le Progrès Egyptien) فقد أخذت تحدثنا عن الظلم والعسف التازلين بالمواطنين
وعن تبرم الشعب المصري وسخطه من قسوة حكمته وهو تبرم كما تقول ملاً
حفيظة « جماعة كبيرة من الشعب من الباشاوات ومن رجال الدين وأن احترام
الحكومة لم يعد على غرار الأول » . وتمضى (لوبروجريه اجبسيان) ناشرة أسوأ

الأخبار المتصلة بالحكومة فتقول في ٦ و ١٥ سبتمبر ١٨٦٩ « إنه ألصق في هذا الأسبوع خفية على جدران المدينة - الاسكندرية - اعلانات عدائية لسمو الخديو وهي عبارة عن شكوى مرفوعة إلى السلطان باسم ١١٤ من عيون تجار القاهرة والآرياف المصريين . وقد كان دأب الجريدة الإساءة إلى أصحاب الخطوة عند الخديو من الأتراك « هذه الأقلية التركية التي تحكم وتنظم وتشغل جميع الوظائف وتضع الميزانية لن تستطيع التغلب على أكثرية المصريين التي تفلح الأرض وتدفع الضرائب وتسخر وتعطي مالها وعرق جبينها للدولة » (١) . وقد كـيل (لوروجريه أجبسيان) من الحكومة بالقدر الذي كالت به لها ، إذ صدر قرار من نظارة الخارجية المصرية في يوم ١٢ أبريل سنة ١٨٧٠ بتعطيلها شهرين ابتداء من ١٦ أبريل وذلك لأنها نشرت مقالين شديدي اللهجة عن الحرية الشخصية في مصر استهلت أولهما بقولها في ١٢ إبريل ١٨٧٠ « منذ زمن وهم يظهرون - تقصد رجال الحكومة - احتقارهم للحرية الشخصية فقد تعددت حوادث القبض بلا مسوغ والحبس والحجر بشكل مقلق ولم يرتكب هذا ضد الفلاح والرعايا المحليين فحسب بل ارتكب ضد الأجانب أيضاً وخاصة الفرنسيين منهم » ثم مضت تحمل على الحكومة وتصرفاتها مع الناس ومصادرة حرياتهم قائلة « إنه من المخجل أن تدعى الصحافة الأوربية بدعوة من الخديو فتجد الأمن والحرية الشخصية مفقودين » أما مقالها الثاني الذي عوقبت من أجله فعن أزمة بين السلطان وواليه قالت فيه « إنهم يتحدثون عن أزمة قريبة الوقوع بين السلطان والخديوى ويقررون أن الطريق التي من شأنها أن تصلح بين الطرفين هي زيارة من الخديوى للقسطنطينية » ثم تعلق على ذلك في ١٤ يولييه ١٨٧٠ قائلة « إنه ليس محموداً بأي الطرق يجتنب غضب الباب العالي وبأى الأساليب يكتسب رضاه ، إننا لانسى الفرمان الأخير وزيادة الضرائب نتيجة لهذا الفرمان ، إن الفلاح لم يعتد الشكوى وطرق التعبير عنها وإن سمو الخديو لم يفكر فيه مطلقاً وإن الحكومة

(١) لوروجريه أجبسيان نقلا عن صبرى في كتابه السابق ص ١١٢ و ١٢٦ و ١٢٧

المصرية لتكون جد مخطئة إذا هي لم تلاحظ ذلك وتحسب حساباً للآثار التي تتركها هذه الحالة في نفوس رعاياها وخاصة في نفس الفلاح ، إن رحلة إلى القسطنطينية في هذا الوقت ستكون بالنسبة لمصر إثقافاً بالضرائب وإن الفلاح لم يعد يحتمل هذا الظلم من جديد ، لقد استغل فانزعوأماله مرة بعد مرة ، لقد حطم بالسخرة التي قضت على عدد لا حصر له من العمال الفلاحين الذين بقيت أراضيهم بلا فلاح ، وقد كان لجريدة (لوبروجريه اجبسيان) مقالات حماسية متصلة أقلقته بال الحكومة المصرية فعمدت إلى اغلاقها وحبس محرريها (١) ولم يترك هذا الخلاف العميق مع الحكومة صداقة بينها وبين السلطان ، بل كانت هذه الجريدة مستقلة حقاً في آرائها تدافع عن مصر دفاعاً كريماً فكثيراً ما جعلت دأبها الرد على جريدة (لا تيركي La Turquie) التي تعبر عن آراء الدوائر الرسمية في القسطنطينية ومن موافقها السكريمة المأثورة عنها في هذا الميدان أنها هاجمت تركيا حين أوفدت حسن بك لسمو اسماعيل باشا ليستوضحه كيف يدعو باسمه حكام الغرب وملوكه إلى حفل افتتاح القنال ثم ليستفهم من سموه عن مفاوضاته في حيدة قنال السويس وإمضائه لبعض المعاهدات التجارية دون الرجوع في ذلك كله إلى الباب العالي ، ذكرت تهديد السلطان بموقف حاسم قد يطوح بالأسرة العلوية نفسها ثم انبرت (لوبروجريه) للرد على هذه الأخبار التي نشرتها فذكرت « أن هذا التهديد لا يخيف أحداً ولا محل له إذ أن كل تغيير في مصر ليس من شأن الباب العالي وحده كما أقرت ذلك معاهدة لندره ، والباب العالي يتناسى أن أي تغيير في شؤون مصر ينبغي أن يؤخذ فيه رأى الأجانب المقيمين في مصر فلا بد من التعرف على ميولهم أمن مصلحتهم أن يلحقوا بالدولة العثمانية مباشرة أم أن مصلحتهم تقتضي البقاء في ظل حكومة مصرية خالصة ، (٢)

وقد اعتبر أصحاب الصحف الفرنسية أنفسهم أصحاب حق في مصر لهم ما للمصريين

(١) L, Impartial D, Egypte في ١٧ مارس ١٨٦٩ وفيه تقص تاريخ لوبروجريه

أجبسيان (٢) لوبروجريه اجبسيان في يوليو ١٨٦٩

من المزايا وإن لم تفرض عليهم التزامات الوطنيين ، وذلك وضع لا يناوونه في سائر الأقطار العثمانية لذلك كانوا أول من نادى بفصل مصر عن تركيا وإن اختلفوا فيما بينهم نحو الحكومة المصرية، فالمسيو نيكولو Nicoulaud محرر (النيل Le Nil) (١) يقود الصحافة الأجنبية في الحملة على تركيا وصحيفتها الرسمية ويرد هجماتها على الخديوى ، فهو يتفق مع محرر (لوبروجريه) في هذه الناحية ويختلف معه في النظر إلى الخديو اسماعيل وحكومته (٢) وكان بين الصحف الفرنجية المصرية التي تتفق مع جريدة (لوبروجريه) من حيث التفكيك في فصل مصر عن تركيا واعتبارها كما قائما بذاته جريدة (لامبرسيال ديجيت L, Impartial, d' Egypte) وكتب في ذلك المسيو موريه Mourès في صدر افتتاحية العدد الأول عن خطة جريدته « ستسعى لتحقيق حرية هذا البلد الذى نسكنه ، وستعمل بهمة على أن تستقل مصر بمسائلها عن تركيا وتسير نحو التقدم بخطا فساح بقدر ما تبعد عنه تركيا بنفس الخطا ، نعمل في كلمة على التفريق بين آراء البلدين وأملها ونظامها الدستوري ، (٣) ومن الصحف التي شغلت الرأي العام في مصر وخاصة رأى الأجانب فيها على أصح تعبير جريدة (L, Indépendant) فهي إلى جانب حملتها المتصلة على القنصل الفرنسى وتمثيلها للمتطرفين من الفرنسيين النازلين في مصر كانت تحمل في شدة وعنف على الحكومة المصرية وخديوها ، فكاتب شريف باشا يشكو أمرها إلى القنصل في ٢٠ يناير فانعقدت المحكمة القنصلية وأصدرت أمرا يقضى بمصادرة الجريدة وغلق مطبعتها وسجن محررها عاما كاملا (٤)

وكانت جريدة (ليجيت L, Egypte) وقد صدرت في أوائل عهد إسماعيل سنة ١٨٦٣ على رأس الجرائد المعارضة للخديو حتى أن أحمد خيرى بك فرض في

(١) Douin. His. Du Règne dn Khedive Ismail T. I p. 255

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٤ (٣) لامبرسيال ديجيت . العدد الاول مارس ١٨٦٩

(٤) محفوظات عابدين خطاب رقم ٢٣ 44/5 Doss

برنامج (للوقائع المصرية) في ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٥ أن تتولى الجريدة الرسمية الرد على مفتريات (ليجبت) ولم تستمر ليجبت خصيصة للخديو وحكومته فترة طويلة إذ استطاع الأمير أن يمضى مع ناشرها المسمى « أنطون موريس » اتفاقاً لمدة خمس سنوات تطبع فيه الجريدة على ذمة الحكومة المصرية (١) وهكذا أصبحت جريدة (ليجبت) بذلك الاتفاق صحيفة حكومية خالصة ربطت لها الحكومة المصرية ميزانية قدرها حوالي ألف وثلاثمائة جنيه مصرى فى كل عام (٢) ثم نقلتها إلى القاهرة فى سنة ١٨٦٦ وهيات لها عمالاً جدد (٣) وتركت لها حرية التفكير وإن عاجلت أمورها كالصحف الأخرى، فقد نشرت الجريدة خبراً غريباً عن تعيين ناظر الخارجية ومحافظ الاسكندرية فكان جزاءها التعطيل خمسة عشر يوماً؛ ثم استعملت الدولة حقوقها عليها فعزلت كاتب الخبر من وظيفته فى التحرير (٤) ومضت (ليجبت) جريدة حكومية خالصة حتى أقبل عهد توفيق فكان لها موقف آخر أساءت فيه إلى الدين الإسلامى فأمر بتعطيلها (٥)

وقد تمكن الخديو إسماعيل بالبذل والعطاء من السيطرة على معظم الصحف الفرنسية فى مصر، فقد بدأت (لوفار دالاسكندرية Le Phare d, Alexandrie) كما بدأت (ليجبت) صحيفة معادية له والحكومة فكانت قاسية أشد القسوة منذ عدها الأول الذى حملت فيه على الوزير نوبار باشا « الذى يسب الفرنسيين وحكومتهم كما اعتاد على ذلك ودأب على احتقارهم » ثم يصفه بأنه « ليس سياسياً

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٢١٥ دفتر رقم ١٩٤٨ أوامر ص ٥٨

(٢) ربطت لها الحكومة مبلغ ٦٩٠ مليم و١٣١٦ جنيه . راجع محفوظات عابدين

وثيقة رقم ٢١١ محفظة رقم ٤٩ معية تركى فى ٤ جمادى الثانية ١٢٨٩ هـ

(٣) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣١٨ محفظة ٤٠ معية تركى فى ٧ شوال ١٢٨٣ هـ من

محمد حافظ ناظر المالية إلى صاحب السعادة (٤) محفوظات عابدين وثيقة ٣٦١ محفظة ٤٥

معية تركى فى ٢٤ ربيع الثانى ١٢٨٦ من الجناب العالى إلى ناظر الداخلية

(٥) الوقائع المصرية ٢٩ نوفمبر ١٨٨١

وليس عند حاسة الرجل العمومى ولا يفهم فى السياسة شيئاً ، (١) غير أن هذه القسوة وتلك المعارضة لم يطل أمرهما إذ انضمت إلى الخديو وأصبحت داعية من دعائه ، وكان هذا يكلفه خمسين ألف فرنك كل سنة على أن ترسل هذه الصحيفة إلى دواوين الدولة ، ثم عقدت الحكومة مع مديرها المحامى هايكاليس (باشا فيما بعد) اتفاقاً لمدة خمس سنوات ينتهى فى ٣١ ديسمبر ١٨٧٩ (٢) بشروط أهمها مناصرة الحكومة فى سياستها جميعاً . وقد دافعت (لوفار دالكسندرى) عن إسماعيل وسياسته بحماسة ظاهرة بيد أنها كانت مكروهة جداً من الوطنيين ، فقد أرسل مديرها فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٧٦ إلى باروت بك سكرتير خاص الخديو يشكو له إحدى المظاهرات التى أخذت تنتقل من شارع إلى شارع حتى بلغت مكتب جريدته ، وأخذ المتظاهرون يهتفون بسقوط صحيفته ، ويطلب فى كتابه إلى سكرتير الخديو أن يوضع حد لهذه المظاهرات التى تسمى إلى سمعة مصر وإدارتها والتى من شأنها أن تعطى مثلاً سيئاً وخطراً للمصريين (٣)

استطاع الخديو إسماعيل بما بذل من جاهه عند قناصل الدول وبما قدم من ماله لأصحاب الصحف الفرنسية وبما طبقه من قوانين الصحافة التركية أحياناً ، استطاع أن يخضع الصحافة الأجنبية فى مصر لسلطانه خضوعاً يكاد يكون مطلقاً حتى لم تعد الصحف المعارضة له تقوى على البقاء أو تستمر فى الكفاح ، وقد لوحظ على هذه الصحافة أنها كانت تشدد فى لهجتها كلها تخرجت أمور الخديو ثم تلين قناتها إذا اعتدلت الظروف واستقامت له الأمور ، وقد انقسمت هذه الصحف إلى قسمين ، قسم موال على إطلاق هذا المعنى وقسم بين وبين وهى هنا تمثل حقبة هامة من تاريخ الصحافة الفرنسية المصرية إذ ترتبط نشأة صحافة الرأى الفرنسية بعصر إسماعيل وكانت من قبل صحافة للإعلان أو التجارة فحسب .

وتتمثل الصحافة الخيرية الفرنسية فى صحيفة (لومونيتور اجبسيان) التى نشرت

(١) لوفار دالكسندرى ٤ يوليو ١٨٧١ (٢) محفوظات طابدين وثيقة ١٢٣ دفتر

١ ص ٦٣ (٣) طابدين 45/11 Dossier N.

في عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٧٤ جريدة « يومية سياسية علمية تجارية والإعلانات »
ومع أنها أعلنت أن صفتها الأولى ستتنحصر في المسائل التجارية والعلمية إلا أن
صفة الخبرية فيها غلبت صفاتها جميعاً ، وهذه الصفة تتميز في الأخبار الرسمية قبل
كل شيء ولم يعرف عن (لومونيتور) أنها صحيفة الحكومة الرسمية إلا في وقت



لومونيتور اجبسيان في عهد الخديو اسماعيل

متأخر غير أنها كانت في سنة ١٨٧٨ واضحة الميول معروفة الصبغة ، كانت توميء
في صورتها الصادرة بها إلى أنها جريدة شبه رسمية إذ تميزت بنشر الأوامر واللوائح
والقوانين وأغفائها المجلس المخصوص دون الصحف الفرنسية جميعاً من رسوم
البريد (١) وقد بقيت الجريدة شبه رسمية في السنوات الأولى ثم تغلبت عليها
الصفة الرسمية قبيل الاحتلال إلى أن أصبحت جريدة الحكومة الرسمية في
يناير سنة ١٨٨٥ (٢)

أخذت الصحف الفرنسية في مصر تساهم في الحياة السياسية المصرية بقسط
له خطره وأثره في الاتجاهات الدولية العامة وأخذت أهمية هذه الصحافة تتركز

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ١٠٤ في ٥ شوال ١٢٩٤ هـ

(٢) راجع « تاريخ الوقائع المصرية » للمؤلف

في جريدتين في نهاية عصر إسماعيل وخلال الثورة العراقية ، كانت الجريدة الأولى تمثل الفكرة الفرنسية وهي La Gazette des Tribunaux وكانت الثانية وهي (The Egyptian Gazette) صدى الرأى الانجليزى وكانت بجانب هاتين الصحيفتين صحف أخرى قليلة الأهمية تنحون نحوهما وإن كانت (لاريفورم La Réforme) الفرنسية تختلف عنهما وتميز باستقلال الرأى وحرية الفكر وقد اشتهرت (لاريفورم) في أول الأمر بحملاتها المتصلة على الحركات السياسية المصرية التي ظهرت في نهاية عهد إسماعيل وكانت كلما اجتمع المصريون على رأى أدخلت في ذهن قرائها أن هذه الوحدة وذلك الإجماع مصدرهما الرعب من الحكم العسكرى وشرائه بالعنف واللين ذمم الذوات وضمائر الأعيان (١) غير أن (لاريفورم) لا تستمر في خطتها بل تعود مواتية في اعتدال للأمانى المصرية فتحمل على الإدارة الأوربية حملة شعواء وتصف رجالها بأقبح الأوصاف وتحمدها الصحف المصرية هذه المواقف السكريمة (٢)

ثم مثلت (لاجازيت دى تريبينو) الاتجاه القنصلى الفرنسى في شئون السياسة المصرية وأخذت تحمل على الخديو إسماعيل في كل عدد من أعدادها تقريباً حملات فيها من قسوة التعبير ما ضجت له الحكومة المصرية فكتب شريف باشا في ٦ أبريل سنة ١٨٧٨ إلى قنصل فرنسا العام يشكو له محرر الجريدة لأنه تجاوز حدوده وحمل بعنف على الخديو ورجاله إلى حد لا تسوغه أكثر قوانين الصحافة حرية ويعلن القنصل العام بأنه قرر وقف الجريدة شهراً ، غير أن محرر (لاجازيت) يابى الخضوع لأمر الحكومة المصرية ويرفض تنفيذ ما قضت به ، ولولا حزم الحكومة وتصميمها على سحب الترخيص منه وإغلاق مطبعته إذا لم ينفذ أمرها لعجزت السلطة المصرية عن وقف حملات المحرر القاسية (٣) . ولما بدأ الرأى العام المصرى يتكيف على الصورة التي شرحناها في فصول سابقة أبت (لاجازيت

(١) نفلا من التجارة في ١٠ أبريل ١٨٧٩ (٢) التجارة ١٧ يوليو ١٨٧٩

(٣) محفوظات عابدين Dossier 44/4

دى تريبينو) أن تعترف للمصريين بحق من الحقوق وأبت أن تقر أن هناك رأياً عاماً أو شيئاً يقال له الحزب الوطني، وهاجمتها الصحافة المصرية العربية في شهرى يونيو ويوليو سنة ١٨٧٩ وبلغت مقارعاتها لها حداً أثار الجالية الأوربية على المصريين. وإذا كانت (لاجازيت تريبينو) تمثل اتجاه الصحافة الفرنسية فإن (ذى إجبشين جازيت) كانت في تمثيلها للاتجاه الانجليزي أصدق تعبيراً وأوضح ميولاً ومحلاً لثقة الجالية الانجليزية، فكان يوحى إليها بالرأى فتذيعه ثم تحقق الأيام أخبارها، وتكاد تعلن موضوعات الصحيفة أنها جريدة رسمية للقنصل البريطاني أو الرقيب الأجنبي، وتميزت (ذى إجبشين) بإثارة النواحي الدينية في خصوصتها للحركة المصرية، وكثيراً مارمت المصريين بتعصبهم للدين وأذاعت الأخبار الغربية عن هذا التعصب وادعت تحاملهم على كل ما هو مسيحي وصورت أفته الحوادث بالمجازر (١) وكثيراً ما أسفت في معارضتها ونقلت المسائل العامة إلى لون من المهاترات الصحفية فزعمت أن النواب المصريين يتعاطون القهوة والشيشة في المجلس وردت عليها الصحف العربية وعيرتها بزجاجات الخمر التي يحملها نواب الانجليز وهم في قاعة مجلسهم. (٢)

وقد استطاعت الصحف الفرنسية أن تنجو من بطش الحكومة لأن شئون الصحافة كانت خلواً من قانون ينظم أمورها ويطبق على الصحافة العربية والفرنسية جميعاً، وبذلك تمكنت الصحف الأجنبية في مصر من البقاء لأن معالجة تعطيلها أو إنذارها تثير مشاكل بين الحكومة المصرية والحكومات الأخرى كانت مصر لا تقوى على إثارتها، على حين كان ناظر الخارجية يملك بجرة فلم إلغاء أخطر صحيفة عربية لمواطن مصري، ومع أن قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ سوى بين الصحف جميعاً فإن (الاجبشين جازيت) وجريدة (جازيت دى تريبينو) حملتا على هذا القانون وحمتها وغيرهما من الصحف الدول الأوربية صاحبة الامتيازات (٣)

(١) راجع المحروسة في ٧ فبراير ١٨٨٢ (٢) الزمان في ٦ مارس ١٨٨٢

(٣) راجع العصر الجديد في ٧ ديسمبر ١٨٨١

كانت الصحف الاجنبية في مصر متفقة المزاج تقريبا لأن الدول الأوروبية
وفي مقدمتها إنجلترا وفرنسا كانت على اتفاق في وجهات النظر إزاء المسألة المصرية
غير أن هذا الاتفاق في الروح والاتجاه لم يدم طويلا بعد الاحتلال ذلك لأن
المسألة المصرية اتخذت وضعاً كان مثيراً للخلاف بين الدول ومن ثم كان مثيراً
للخلاف بين الصحافة المعبرة عن تلك الدول في مصر، فتركيا لم تقر هذا الاحتلال
وكذلك كان موقف فرنسا ومعظم الدول الأوروبية وإن بقيت إيطاليا إلى جانب
إنجلترا منذ احتلال فرنسا لتونس سنة ١٨٨١ .

وقد استقبل الاحتلال كثيراً من الصحف القديمة التي حالت الظروف دون
صدورها خلال الحرب العرابية وكانت أهم الصحف الفرنجية التي استقبلها الاحتلال
في أيامه الأولى جريدة (ذى أجبشين جازيت) وجريدة (لوبوسفور أجبسيان)
فقد عادا إلى الحياة باستقرار الحالة الجديدة ، فاما الصحيفة الانجليزية فقد كان موقفها
كريماً مع دعاة الثورة ورجاها وأبت أن تقف إلى جانب الخديو وشيعته ، وشاربت
نزعة التطرف الانتقامية التي استولت على خصوم العرابيين ، ومصدر هذا الموقف
اتجاه الحكومة الانجليزية إلى تصفية الثورة تصفية فيها شيء من الترفع عن الصغائر
كما أن للمستتر الفرد بلنت صديق العرابيين دخلا في موقف الجريدة فقد بذل الجهد
وسخا بالمال حتى جعل الصحيفة في جانبه (١) . وأما الصحيفة الفرنسية فقد عادت إلى
الظهور في سنتها الثانية وسجلت لنفسها تاريخاً خطيراً في أوائل عهد الاحتلال
أنشأها المسيو سريير Serrière في مدينة بورسعيد سنة ١٨٨٠ حيث كان يقطن
مطبعة فرنجية كاملة ثم انتقل إلى القاهرة في السنة الثانية ، وتولى تحريرها المسيو
جيرو Giraud وهو من خيرة المحاميين المعروفين في ذلك الوقت
وكانت كتاباته تستقبل استقبالاً حسناً من المصريين والأجانب
على السواء مع أن عدد قرائها لم يتجاوز خمسمائة قارئ وهو عدد يعتبر

(١) بلنت . التاريخ السري من ٣٢٢ : Les Presses en Egypte p. 3 (١)

إذ ذاك نادر المثال (١). ولم تكن (لوبوسفور أجبسيان) ذات خطر قبيل الاحتلال فهي صحيفة خلقتها الحياة الاجتماعية والاقتصادية في بور سعيد حيث تعيش الجالية الفرنسية في نطاق واسع عاملة في شركة قناة السويس ثم انتقلت إلى القاهرة حيث بدأ النشاط السياسي يعم العاصمة ويستغرقها، وقدسارت (لوبوسفور) في تيار الصحف الفرنسية المعاصرة ولم يكن لها يومئذ ميزة من المزايا التي تفوقها على زميلاتها المعاصرات وبينها صحف قديمة لها تقاليدها وتاريخها، ثم احتجبت مع ما احتجب من صحف حتى انتهت الأزمة باحتلال الجيوش البريطانية مصر وعادت إلى الحياة أشد ما تكون الصحف المعارضة للاحتلال ورجاله. وتمثل Le Bosphore Egyptien في معارضتها للانجليز اتجاه الحكومة الفرنسية وقنصلها العام في مصر فهي لا تقر شرعية الاحتلال ولا ترضى عن تصرفات الانجليز وتقسو في ذلك قسوة تفرض على المستر Clifford Lloyd أن يستصدر من ناظر الداخلية المصرية في سنة ١٨٨٤ قراراً وزارياً بتعطيلها وإقفال مطبعتها، وذلك لأن الصحيفة لم تؤثر بمعارضتها في الجاليات الأجنبية وحدها بل عرضت هذه المعارضة على المصريين في نسخة منها صدرت باللغة العربية مع الصحيفة الفرنسية، ولكن محرر (لوبوسفور) أبي أن يعترف بقانون عام ١٨٨١ الذي اعتمدت عليه الحكومة في تعطيل جريدته، ثم أصدرها في موعدها غير أن الحكومة صادرتها من أيدي الباعة، وقد عادت إلى الصدور مرة ثانية وتكفل ببيعها عين من عيون الفرنسيين المستوطنين مصر مع مستشار القنصلية الفرنسية حتى لا يملك البوليس مصادرتها، واضطرت الحكومة إلى إغلاق المطبعة وحراستها ثم عرضت على سريير اثنين وأربعين ألف فرنك تعويضاً له عن إغلاق المطبعة (٢) وأثار حادث تعطيلها وإغلاق مطبعتها أزمة حادة بين الحكومتين الفرنسية والمصرية سبق أن عرضنا لها في فصل سابق.

(١) Munier : La Presse en Egypte p. 3. (٢) المصدر السابق ص ١١ - ١٣

كانت الخصومة بين الفرنسيين والانجليز تتمثل في المنازلات الصحفية التي دارت بين (لوبوسفور اجبسيان وذي اجبشين جازيت) وإن خفت لهجة الصحيفة الأولى بعد أن تولى تحريرها Barriere Bey حتى أعجب بها بعض الانجليز المحليين وأمدوا بعض موظفيهم بالأخبار الرسمية والحوادث المحلية ، وكانت القنصلية الفرنسية من ناحيتها شديدة العطف عليها حتى أنها عرضت عليها مرتباً شهرياً قدره اثنا عشر جنهما لما ساءت حالة الجريدة المالية (١) غير أن ذلك لم يجد عليها شيئاً واضطرت الى الاحتجاج في سنة ١٨٩٥ ثم بقيت (ذي اجبسيان جازيت) تمثل الفكرة الانجليزية تعاونها (لوبروجريه Le Progrès) الفرنسية التي أنشئت سنة ١٨٩١ معارضة للقنصلية الفرنسية وموالية لدار الوكالة البريطانية وإن لم تقبل عليها الجاليات الأوروبية ، وشاركتها في هذا الاتجاه جريدة Le Courrier d'Egypte وهي صحيفة نوبار باشا وقد مضت زهاء أربعة وعشرين عاماً تسبح بحمد رئيس الحكومة المصرية أياً كان هذا الرئيس وكان أسلوبها بديعاً حقاً وإن ملأت صفحاتها بما كانت تنشره الصحف القديمة عن مصر وشؤونها ، وخاصة سميتها التي أنشئت خلال الحملة الفرنسية ، ولم تكن مقروءة ولا محبوبة من الأجانب المتوطنين مصر (٢) . ومن الصحف الهامة في ذلك الوقت جريدة (لوجورنال اجبسيان Le Journal Egyptien) وفي صحيفة الخديو ولسان السراي (٣) وهي ذات علاقات طيبة مع القنصلية الفرنسية وفي كفاح مستمر للاحتلال وقد ساء الانجليز موقفها هذا فشككت أمرها الى ايطاليا ، وكانت ايطاليا تحرص على صداقة بريطانيا أشد الحرص في ذلك الوقت فتدخل قنصل ايطاليا ونفى أحد صاحبيها ومن ثم فقدت الصحيفة أهميتها واحتجبت سنة ١٨٩٦ (٤)

أحدث إغلاق (لوبوسفور) فراغا كبيرا بين الصحافة الفرنسية في مصر إذ

(١) Munier . p. 17 - 18 (٢) المصدر السابق ص ٤٢ ثم ٢٢

(٣) Blunt : My Diaries . p. 135 (٤) Munier. p. 35-39

بقيت (ذى اجبشيان جازيت) وحدها لاتعارضها صحيفة من الصحف الفرنجية حتى أنشأ Barriere Bey في سنة ١٨٩٦ جريدة (ليكو دوريان L, Echo d, Orient) لتحل محل صحيفته الأولى (لوبوسفور) وهي صورة مماثلة لها في الشكل والموضوع غير أن (ليكو دوريان) كانت أكثر انتشاراً لانخفاض ثمن الصحف الى خمس مليات ، وقد مالت الجريدة الى جانب الأرمن في بلاد الدولة العثمانية ودافعت عنهم دفاعاً مجيداً ساء الحكومة التركية وأثر في عامة المصريين (١) فأخذ يضمحل شأنها وأنشأ صاحبها بدلاً عنها جريدة (Courrier D, Orient) في سنة ١٨٩٨ معارضة كسابقتها للاحتلال ورجاله ، وكانت تميل للخديو وتعمل لحسابه غير أنها لم تعمر طويلاً فأغلقت بعد ثلاثة أشهر من مولدها .

ثم تبسداً الحركة الوطنية بقيادة مصطفى كامل وتقف معظم الصحف الفرنجية الى صف هذا الفتى المتحمس لوطنه وتصبح في أكثرها صحفاً موالية للحركة الوطنية وإن كان بعضها ككثير التقلب كجريدتي (لوجورنال اجبسيان ولوبروجريه) فتبعت الأولى اتجاه السراى في تدبذبهما فيوما جرت في تيار الوطنيين ويوما خالفت انجاههم وأما الثانية فكثيراً ما حملت على المصريين وزعمت أنهم متعصبون ، ومقالها في الشيخ علي يوسف وحملتها عليه وحض الحكومة على مضايقته دليل على سوء موقفها من رجالات مصر (٢) وكان الشيخ علي هدف الصحف الفرنجية كلما عارضت الحركة الاستقلالية وكان في اعتبارها أخطر على الأجانب في مصر من (اللواء) والحزب الوطني وكانت أهم خصوماته مع الإيطاليين خاصة ومقالات (السكوريري اجيزيانو Corriere Egiziano) وحملاتها عليه عنوان لهذه الخصومة المتصلة (٣) ثم تسكفت جريدة (Les Nouvelles Egyptiennes) لصاحبها جورج دوماني في

(٣) المصدر السابق ص ٥١ - ٥٤

(١) لوبروجريه ٢٠ سبتمبر ١٨٩٥ (٢) السكوريري اجيزيانو ١٠ سبتمبر ١٩٠١

سنة ١٩٠٧ بالجملة على إدارة المصريين وأحكام قضاتهم ومواخذة العاملين على كفاح الإنجليز ، وكان لهذه الجملة أثرها على المحرر إذ صدر حكم قضائي بحبسه ثلاثة أشهر غير أن هذا الحكم لم ينفذ لاحتماء دومانى بالامتيازات الأجنبية (١) وفيما خلا (ذى اجبشين جازيت) وزميلتها (ذى اجبشين ميل) وبعض الصحف الفرنجية القليلة الأخرى فإن الصحافة الفرنجية في مصر نافست الصحافة العربية في التحمس للرأى العام المتطرف ومخاصمة الاحتلال ورجاله وإن تأثرت بعض هذه الصحف بحوادث طارئة فانحرفت وقتما ما عن اتجاهها مثال ذلك موقف (لوفاردالكسندرى Le Phare d, Alexaudrie) من مصطفى كامل فقد كانت من أشد انصاره إلا أنها حملت عليه وعلى المصريين حين دعا إلى تعليق جلاء الترك عن اليونان على جلاء الإنجليز عن مصر وذلك لأن صاحبها من اليونانيين (٢) ومن الأمثلة على انحراف هذه الصحف الموازية بعوامل طارئة موقفها المتباين أثناء الخلاف القبلى الإسلامى فقد كانت تراه خطراً يهدد الأجانب في مصر .

وبين الصحف الفرنجية التى نشأت في مصر صحف أنشأها الوطنيون فقد أسس مصطفى كامل في نوفمبر سنة ١٩٠٦ شركة مساهمة لإصدار جريدتين فرنجيتين رأس مالهما عشرون ألف جنيه مصرى اكتب فيها صفوة المصريين ، واضطرب لهذه الفكرة اللورد كرومر ودفع صحفه إلى الجملة على المشروع غير أن ذلك لم يحل دون ظهور (L'Etendard Egyptien و The Egyptian Standard) الأولى في مساء ٢ مارس سنة ١٩٠٧ والثانية في صباح اليوم التالى . ويقول مصطفى كامل باشا عن خطة هاتين الجريدتين « إن قصدنا من تأسيس هاتين الجريدتين هو إحاطة العالم المتمدن وكافة الذين يهتمون بشئون مصر علماً بخطتنا الوطنية التى غير خصومها شكلها وقلبوا حقيقتها... وأظهرونا لمن يحملون لغتنا كأننا ننادى بالبغضاء والتعصب الدينى فنحن جئنا اليوم نكذب بصورة قطعية هذه التهم الدنيئة وتثبت

للعالم كله أن مطلبنا الوحيد بل مطلبنا العالى السامى هو أن نرد لمصر مكانة فى العالم تليق بتاريخها وماضيها ومركزها ، (١) ولم تعمر الصحيفتان الفرنجيتان الوطنيتان لأن منشئهما قضى فى سنة ١٩٠٨ ولأن أزمة مالية حادة اعترضت حياتهما كما أن الأجانب انصرفوا عنهما (٢) ولم تنجح التجربة وقد حاولها الوفد المصرى بعد الحرب العظمى فلم يوفق .

وقد وجدت الصحافة الفرنجية بعد الحرب العظمى متسعا لحياتها فنشطت كما وكيفاً وأصبح عددها مائة وإحدى عشرة صحيفة بين يومية وأسبوعية وشهرية وبين سياسية واقتصادية وزراعية وأدبية ودينية وطبية ورياضية وقضائية ومدرسية وللبورصة ، وهى فى لغات متباينة بين انجليزية وفرنسية وإيطالية ويونانية وملطية وأهم هذه الصحف جميعا صحيفتان فرنسيتان هما (لا بورص أجبسين La Bourse Egyptienne) و (لوجورنال ديجبت Le Journal d, Egypte) ثم صحيفة ايطالية هى (الكوريرى ديتاليا Corriere d, Italia) انتهى أمرها بعد دخول ايطاليا الحرب الحاضرة . وقد تطورت هذه الصحف قبيل الحرب الحالية إلى صحف مصالح بعد أن كانت من قبل صحف رأى وفكرة ، واتجاه الصحف السياسية منها اتجاه يتصل بمصالح الدول المتباينة وهى تمثل النشاط السياسى والفكرى والاقتصادى لتلك الدول .

(١) من خطبة مصطفى كامل فى فندق السكو تلتلتال فى ٢ مارس ١٩٠٧ احتفالاً بظهور الجريدتين

(٢) وزارة الداخلية دوسيه رقم ٥

الفصل العاشر

تاريخ الصحافة المصرية في الخارج

شهدت مصر في عهد محمد علي عناية خاصة بالصحافة الرسمية وقد اتصل بإنشاء هذه الصحافة بإنشاء النظم الجديدة، وقد تطورت الصحف الرسمية بتطور هذه النظم حتى أصبحت فيما بعد ركناً من أركان السياسة العامة أو غرضاً من أغراض الحكم واستطاعت هذه الصحف أن تؤدي رسالتها وتحقق الأمل فيها بحيث أضحى فوائدها تغرى بالاستزادة منها في مصر وخارجها، وقد سائر إنشاء الصحف الرسمية اتساع في الامبراطورية المصرية ليس هنا محل تفصيله، غير أنه يعيننا في تلك الامبراطورية جزيرة كريت وهي إحدى الممتلكات المصرية منذ حرب المورة في سنة ١٨٢٢ وذلك لارتباط إحدى الصحف بها، فقد شهدت كريت نشاطاً صحفياً ملحوظاً دون ولايات الباشا المتعددة مصدره هذا التنظيم الرائع لحياة هذه الجزيرة وسكانها، إذ أنشأ الباشا المجالس فيها ليرتم للجزيرة رخاؤها وعمرانها فتصبح بهجة الديار وموضع حسد الأمتصار وغبطة الأقطار، وهو يعني بتخير رجاله القادرين على سياسة الجزيرة وأهلها كعثمان نور الدين بك رئيس الجهادية «الخبير بأصول الإدارة الأوربية» ليشرّف على تكوين المجالس المذكورة من المسلمين والمسيحيين الذين ستلقى اليهم أمور البلاد الخاصة بالأحوال الشخصية الموافقة للشرع ودعاوى الخلق ومصالحهم، ومع أن وظيفة هذه المجالس استشارية إلا أن ذلك لم يحل دون نظر أعضائها في الأمور الإدارية وكل ما يتصل بالعرف والقانون على أن تطبق الأصول الجزئية والكلية، (١)

(١) محفوظات عابدين وثائق رقم ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ دفتر رقم ٤٠ ممية تركي

وقد أنشأ الباشا هذا النظام الجديد في كريت بوحى من «الأصول المصرية» ، ثم رأى أن يكون لهذا النظام سجل يماثل الوقائع المصرية فبعث إلى مصطفى باشا محافظ كريت يذكر له أنه «قد تقرر طبع الوقوعات الواقعة في كريت على أن تكون جهة منها تركية العبارة وجهة منها رومية اللهجة» (١) وينبئه أن حروف القسم التركي «قد أعدت إعداداً متقناً» وسترسل إليه في أقرب الأوقات غير أن الجناب العالى يبين له المصاعب الناشئة عن هذا الموضوع وخاصة الحروف الرومية إذ أنه لم يتمكن «من إعداد حروف القسم الذى سيكتب رومى العبارة» غير أنه أوصى «بابتغائها وإعدادها» وهو لا يمهله حتى يرسلها عثمان بك بل يرجو من همته «أن تبحتوا عنها وتبتغوا طائفتين من الحروف الرومية المتقنة إما من تلك الديار وإما من المورة» (٢) . وقد يبدو أن «وقائع كريدية» كما كانت تسمى صحيفة خاصة بكريد وليس لمصر فيها سهم عملى اللهم إلا الرأس الحاكم الذى يجمع بين البلدين بيد أن الوثائق قد أثبتت أن حروف المطبعة التركية صنعت في مصر قطعاً وإن لم يؤكد أمر الباشا السابق أن أحد البلدين قد اختص بعمل الحروف الرومية فقد ترك الأمر للاجتهاد فى الحصول عليها من مصر أو كريد أو بلاد المورة ، وبجانب إعداد المطبعة وتغذيتها بالحروف أرسل من مصر «على أفندى جام إلى كريد لخدمة الوقائع التى ستطبع فيها» كما عين «على أفندى الفندرهلى معاوناً له لاحتياجه اليه» وهو أحد موظفي الوقائع المصرية «وقد صار أخذه من غرفة الوقائع لمعرفة أصول الطبع» ثم ربط ديوان الخديو لمهذين الموظفين الراتب الذى يستحقانه سواء من القروش أو الخبز أو اللحم أو الأرز أو السمن غير اللباس فى فصول السنة المختلفة (٣)

وإذن تكون الحكومة المصرية هى التى فكرت فى الوقائع الكريدية وهى

(١) كان الباشا يرى تسميتها شجرة زيتون ، تقويم النيل ج ٢ ص ٣٧٢

(٢) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٤٨٠ دفتر ٤٠ معية تركى فى ٥ ربيع الآخر ١٢٤٦ هـ

(٣) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٧٥٩ ديوان الخديو فى ٨ ربيع آخر ١٢٤٦ هـ

التي أمدت الصحيفة والمطبعة بالموظفين المصريين الفنيين وجعلت عمالها في كريد
في خدمتهما معاً وبالرجوع إلى هذه الصحيفة يمكن تقرير حقيقة تثبت الآثار
المصرية فيها ، فو قائع كريد صورة مطابقة للو قائع المصرية ثم هي إلى جانب نشرها
أخبار الجزيرة ومجالسها نقلت عن الو قائع معظم فصولها وأخبارها ، وسياستها
العامة مرتبطة أشد الارتباط بسياسة الو قائع من حيث النظر إلى المسائل العليا
والدعاية للوالي وأعماله ، وأيد ذلك العدد الرابع والثمانون المحفوظ بدار
الكتيب المصرية .

بدأت الصحافة المصرية في الخارج صحافة رسمية ولم يطل أمرها لأن الولايات
المصرية أو البلاد الخاضعة لمصر لم تكن حالتها الفكرية تحتمل مثل هذه الصحف
التي تقتضى دواوين ومجالس وتقتضى حياة اجتماعية نشيطة كما كان الحال في مصر
وكريد لذلك كانت « و قائع كريدية » بداية للصحافة المصرية الرسمية في الخارج ونهاية
لها أيضاً . ثم انتقلت فجأة في عهد الخديو اسماعيل إلى صحافة متطرفة يصدرها أفراد
ناقون على الخديو ورجال حكومته ، ويمثل هذه الصحافة في نشأتها يهودى مصرى
يقال له يعقوب بن صنوع ، ويعقوب كاتب يختلف فنه عن كتاب الصحف
في ذلك الوقت ، فهو ناقد مر النقد ، قاس فى أسلوبه وحواره ، لا يعرف قلبه حدوداً
ولا قيوداً ، تتمثل فيه طبيعة المصرى إذا مزح أو سخر ، وفى صحيفته سجلت الشخصية
المصرية فى أروع مظاهرها وقد عرفه المصريون جميعاً فى المدن وفى أعماق الريف
ولم تشهد الصحافة المصرية فى مصر أو فى الخارج معارضا كيعقوب بن رافائيل
صنوع (أى المتواضع) . وصنوع هذا من الاسرائيليين القليامين الذين قرءوا إلى
جانب التوراة الإنجيل والقرآن وهو من الصحفيين الذين استهوتهم الفنون فتعلم
فى إيطاليا الرسم والنحت والموسيقى فأجادها جميعاً وكسب بها معاشه فى مصر
وأزدلف بها إلى قصور الأمراء والباشوات حيث علمها أولادهم ، وأنشأ بثقافته
صلات وطيدة مع هذه البيوتات ، ثم عمل فى المسرح وأعجب به الخديو اسماعيل
فسماه يوماً « مولير مصر » وله فى التمثيل مسرحيات مترجمة ومؤلفة ، جادة

وهازلة ، وقد ضمنها الملاحظة الدقيقة والسخرية اللاذعة والبسمة الطبيعية والدمعة الصادقة . وفي أثناء عمله المسرحي وجد في مصر رأياً عاماً يميل إلى النضج فاتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وهما قائداً هذا الرأي ، وعليه درسا للغة الفرنسية ، وكان للأفغاني رأى في إحياء الفسكرة الحرة عن طريق الصحف ، فاتفق الثلاثة على إنشاء صحيفة هزلية يديرها صنوع ويحرر فيها الشيخان بين آن وأن ، وفيها تنقد أعمال الخديو وتشرح تصرفات بطانته ، ثم اتخذوا لها اسم نظارته الزرقاء ، وقد صدر العدد الأول منها في مصر سنة ١٨٧٧ ، وهي فريدة في نوعها لا في مصر وحدها بل في بلاد الشرق جمعاء فهي نوع من الصحف لم يعتده المصريون ولم يروا له نظيراً من قبل ، وأسلوبها في أكثره دارج يجري بأمثال المواطنين وأقوال شيوخهم وفيها لون من التصوير (الكاريكاتير) بذل في إخراجه صنوع خلاصة ما تعلمه من فن ، ولقيت صحيفته الشعبية إقبالا غريباً واستهوت الناس من جميع الطبقات وبلغ عدد ما طبع من بعض أعدادها خمسة عشر ألف نسخة (١) ويذكر الدكتور محمد صبرى في كتابه عن تكوين الرأى العام المصرى أن جريدة صنوع شغلت قراءها عن الاستماع إلى مطرب العصر أحمد سالم حين دخل بائع الصحف « فانصرفوا عن المطرب إلى قراءة الجريدة » مع أن أحمد سالم كان يترنم بأغنية من وضع أبى نظارة عنوانها (المضطهد) لقى على غنائه لها عشرة أيام في السجن (٢) . وما كان يمكن أن يحتفل إسماعيل وبطانته صحافة من هذا اللون فأغلق جريدة يعقوب وعالج أمر بقائه في مصر واستطاع أن ينال موافقة إيطاليا على نفيه وكان صنوع محتماً بها ، فسافر أبو نظارة إلى باريس حيث أصدر جريدته بأسماء مختلفة ؛ وقد اضطر إلى ذلك بعد أن حاربتها الحكومة المصرية وحظرت دخولها إلى مصر وحرمت المصريين قراءتها ، وكانت صحيفته تصدر في أول الأمر باللغة العربية ثم باللغة العربية والفرنسية وقد أصدرها مرة في ثمان لغات .

(١) Paul Baignières : L'Egypte Satirique ص ٦

(٢) صبرى هامش ص ١٢٧ ، ١٢٨ La Genèse De L, Esprit

كانت جريدة (أبو نظارة) أول صحيفة مصرية في الخارج ولم تعش في مهو
إلا بضعة أشهر ثم مضى بها صاحبها إلى باريس حيث ينزل كل خصيم للسلطات المصرية،
وهنا استطاع صنوع أن يذبح وأن يعلن إنتاجه في صراحة المطمئن إلى فنه وعمله
زهاه خمسة وثلاثين عاماً، وقد جعل خطة صحيفته « مصر للمصريين » وكانت
تباع في مصر وفي غير مصر من بلاد الشرق التي رحبت بها ومنحته حكوماتها
من أجلها الأوسمة والنياشين (١) وقد ردها إلى اسمها الأول يوم ولي شئون الحكم
شريف باشا في عهدي إسماعيل وتوفيق فكانت صحيفته توزع في مصر
دور رقيب أو حسيب مع ما حملت من المعارضة القاسية والبذيئة في بعض



يعقوب بن صنوع صاحب جرائد أبي نظارة

الأحيان، ويمتاز صنوع في عمله الصحفي بباريس أنه كان الكاتب والمدير ومصور
الجريدة وطابعها، ولم يكن هذا الصحفي المصري خالياً من العلم بل كان رجلاً
مثقفاً شاعراً صادق الشاعرية، قالت فيه لاجازيت دووردو « إنه شاعر

(١) طرازي . تاريخ الصحافة العربية ج ٢ من ٢٨٥ - ٢٨٦

ونظرت له الأمور وإن كانت مبهمه إلا أنها عميقة ، وأعجبت به The Standard و The Morning Post ومجدتا سخريته المصرية البديعة ويقول عمدتنا في تاريخه بول دوبنير « إن له نواحي من الضعف بيد أن فيه نواحي من الجمال الحق وصفحات سامية ذات قيمة وجديرة بأن تلفت النظر » وكان أبو نظارة إلى جانب عمله الصحفي أديباً يجيد اللغة الفرنسية إجادة تامة وخطيباً لا يشق له غبار ومحاضراً ساحراً ، وله محاضرات هامة هزت الرأي العام الأوربي وخصوصته ظاهرة جداً للانجليز في هذه المحاضرات (١)

اضطر أبو نظارة إلى تغيير اسم صحيفته اثنتي عشرة مرة بسبب الضغط الشديد الذي فرضته الحكومة المصرية على صحفه سواء قبل الاحتلال أو بعده ، وقد نجح بالرغم من المراقبة في تهريب بضعة آلاف إلى مصر بلغت عدد النسخ المهربة مرة تسعة آلاف نسخة (٢) وكانت أكثر الأسماء معرفة لدى القراء « أبو نظارة زرقاء » وأبو « زمارة » و « أبو صفارة » (٣) وكان المحرر ينشر كثيراً من المحاورات الزجلية الطريفة التي تصور حياة مصر وتحمل على خديوها وحكومتها يقسو فيها أسلوبه أحياناً حتى يبلغ درجة الفحش الذي تتعفف عنه أكثر الأعلام إسفافاً ، وكان بجانب هذا ينشر لونا من النقد الاجتماعي في أسلوب معظمه عامي دارج دعا به إلى الرحلة والاستفادة منها « لأن الدنيا شبهوها الفلاسفة بسكتاب وقالوا اللي ما خرجش من وطنه كأنه ما قرأش إلا أول صفحة فقط » ثم يعطف الكاتب على مصر ساخراً من توأكل أمته التي يظلمها الظالم ويقسو بها الحياكم حتى إذا كادت تموت جوعاً كان احتجاجها « لك الحمد يارب دى إرادتك » وهكذا يستمر في نقده اللاذع الصادق وتصويره الزائع لنفوسنا واستعدادها ، آخذاً على

(١) Baignière. p. 9. 18 - 38 106 - 109

(٢) النظارات المصرية ١٥ - ١ - ١٨٨٠ (الواد المرق ووزيره المشغلم)

(٣) أسماءها على التوالي : أبو نظارة زرقاء . رحلة أبو نظارة زرقاء . أبو زمارة . أبو صفارة . الحاوي . الوطني المصري . النظارات المصرية . أبو نظارة . الثرثرة المصرية . التودد . المنصف . العالم الاسلامي

مواطنيه تلك الألفاظ التي لا تزال ترن في آذاننا، ألفاظ التواكل والضعف والاطمئنان حيث لا ينبغي الاطمئنان (١) ومن أهم المحاورات ما دار في جلسة سرية في جمعية الطراير المشهورة بالضحك على ذقون العالم، وهي تصور مداولات نظارة ذلك العهد، وأظهر ما في هذه الجلسة حملته على المفتي واتهامه بالإثراء من الرشائم يعجب لتدخل دول أوربا الصغيرة والكثيرة في شئون مصر حتى استأسد ملك إيطاليا، وهو ابن امبارح اللي لسه ماطلعش من قشرة البيضة.

وصحف أبي نظارة وإن كانت اللغة العامية تستغرقها إلا أن بعض أعدادها لم تخل من مقالات عربية فصيحة في أسلوب مسجوع بيد أنه غير ممل لأهل ذلك الزمن وخاصة العامة منهم الذين ربما لا يفهمون منه شيئا ولكنه يرن في آذانهم قيشنقها ويملؤهم رضا وأمنا، مثال ذلك رسالة «الشفعاوى المحترم» التي يتهم فيها «شيخ حارة وادي النيل» بالظلم والعدوان ويحمل عليه في مقالات متتابعة استغرقت عدة أعداد منها (٢). وأهم صحفه أربع الأولى - النظارات المصرية وهي «جريدة تاريخية علمية تحرير مصر واسكندرية»، والثانية جريدة - أبو صفارة - وهي جريدة «هزلية أسبوعية لانبساط الشبان المصرية يحفظهم رب البرية من المظالم الفرعونية منشئها محب الاستقلال والحرية، ثم جريدة «الحاوي الكاوي» التي يطلع من البحر الداوي عجائب النكت للكسلان والغاوي ويرى الغشاش في الجب الهاوي، وأخيرا جريدة - أبو زمارة - ولولا تغيير الاسم الذي فرضه تضييق الحكومة المصرية واحتيال صاحبها بهذا التغيير على تحقيق مأربه لظن القاري أنه يقرأ صحيفة واحدة منسجمة الأفكار متسقة الصور سواء ما كان منها في المعاني أو الرسوم الكاريكاتورية البديعة

وقد أصدر يعقوب إلى جانب صحفه المازلة صحيفة جادة في لندن سماها

(١) العدد السابع ص ٢ (٢) رحلة أبي نظارة زرقاء . العدد الرابع .

« مرآة الأحوال » وهي رجع الصدى لما في صحيفته الباريسية من الحدة والعنف غير أن موضوعاتها أكثر اتزاناً من حيث الدراسة العلمية للمسائل السياسية ومن حيث الأسلوب العربي الفصيح ، وأكبر الظن أن هذه الصحيفة كانت بجبالاً لأصدقائه في مصر المتبرمين من الخديو وشيعته ، ولم تعمر هذه الصحيفة طويلاً إذ وقف نشاطه على صحيفته الهزلية فكانت عليه أجدى وهو بها جدير .

كان يعقوب بن صنوع أول مصري ينشئ صحيفة حرة في الخارج ، وقد ضرب المثل الطيب في نجاحه واستأثر بإعجاب المصريين ، وقد بقي وحده في فرنسا إلى أن زامله أديب اسحق في عهد الخديو توفيق ، فقد أغلقت صحيفته « مصر والتجارة » (١) بقرار وزارى ، وكان أديب اسحق من أنصار شريف باشا والوطنيين خصوم رياض باشا ناظر النظارة فأوعزوا إليه بالسفر إلى فرنسا والاقتراء بيعقوب بن صنوع وكفوه نشر صحيفته في باريس حيث تكون لسان حالهم على أن يتكفوا هم بتوزيعها في مصر ، وقد استطاع تحقيق رغبتهم وتمكن أصدقاؤه من توزيعها بالرغم من سلطان رئيس الحكومة ووعيونه من رجال الإدارة (٢) طبعت صحيفته (مصر القاهرة) في « باريس تحت سماء الحرية » لنشر ما يعود بالنفع على البلاد العربية « وهي جزء متمم لجريدة مصر التي كان يصدرها في القاهرة من حيث الغاية والتقدير للأمور المصرية في أسلوبه الممتاز حقاً الغنى بالجمال الفنى المملوء بروح الكفاح ، وهو يعلن خطتها في قوله « أروم مقاومة الباطل ونصرة الحق والمدافعة عن الشرق وآله وعن الفضل ورجاله وأوضح معائب اللصوص الذين نسميهم اصطلاحاً (أولى الأمر) ومثالب الخونة الذين ندعوهم وهما (أمناء الأمة) ومفاسد الظلمة الذين نلقبهم جهلاً (ولاة النظام) ومقصدي أن أثير بقية الحية الشرقية وأهيج فضالة الدم العربى وأرفع الغشاوة عن أعين الساذجين ، وأحيى الغيرة في قلوب العارفين ، ليعلم قومى أن لهم حقاً مسلوباً فيلتمسوه ومالاً منهوباً فيطلبوه ، وليخرجوا من خطة الخسف وينبذوا عنهم كل

(١) الوطن ٢٢ نوفمبر ١٨٧٩ (٢) John Ninet : Arabi Pacha P 38

مدلس يشتري بحقوقهم ثمنا قليلا ويذيقوا الخائنين عذابا وبلا ، وليستصغروا
الأنفس والنفائس في جنب حقوقهم وليستميتوا في مجاهدة الذين يبيعون أبدانهم
وأموالهم وأوطانهم وآلهم إلى أن يقول « فمن قتل دون دمه فهو
شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن عاش بعد
هؤلاء الشهداء فهو سعيد » (١) . ويستغرق حدة المزاج هذا الأسلوب كما تظهر
خطة الجريدة واضحة صريحة فقد وقف الكاتب قلبه على إثارة « الحمية الشرقية
وأهيج فضالة الدم العربي » وهو يرى الشرق كله جزءاً واحداً ويسمى أهله « قومي »
وهي نظرة كانت تراها مصر بأثرها في ذلك الوقت وينادي بها كثير من أدائها
وساستها وصحافتها ، بيد أن أسلوبه هنا كان أروع وأبلغ الأساليب المصرية التي
رأيناها في صحافة مصر جميعاً فقد صدمتنا بعض صحف ذلك العصر بلفظها الحوشي
وعباراتها الغريبة ، ولا يقاس أسلوبها مهما يرتفع بأسلوب أديب في فرنسا وهو
أسلوب واضح لا ركافة فيه صحيح العبارة مستقيماً . وعلى القدر الذي تستمتع
به هذه الجريدة من حيث الأسلوب والمعاني فهي تمتاز بالحرية في باريس فقد
مضت تحمل على رياض باشا حملات شديدة قاسية ولقيت الدول الأوربية من
قلبه شدة وعنفاً دون أن يكبو بلفظ خارج عن الأدب الصحفي وإن لم يستعملها
هذا القلم مرة واحدة بل روضه صاحبها على أمور ثلاثة : مهاجمة حكومة رياض
والحملة على الدول الأجنبية ثم الدفاع عن القضية الشرقية . ولم يطل عهد صحيفة
(مصر القاهرة) فقد صدرت شهرية في أول الأمر ثم أصدرها صاحبها أسبوعية ،
وبذل فيها أديب من روحه وقوته بذلاً أضناه فقد كان يحرقها ويكتب صحفها
جميعاً ، ويكتبها بخط يده أو بخط مساعده عبد الله مرآش وهو على شيء من
الاستعداد الأدبي وجمال الخط ثم يطبعها وزميله على الحجر كما كان يصنع يعقوب
ابن صنوع من قبل (٢) وقد أدى هذا الجهد المتصل إلى مرض صاحبها ثم تهيأت

الظروف له بولاية شريف رياسة الحكومة فعاد إلى مصر وواصل عمله الصحفي بجانب إحدى الوظائف الهامة التي أقيمت إليه .

وقد دعا الخديو إسماعيل صديقه إبراهيم المويلحي إلى نابولي ثم أمده بالمال لينشئ صحيفة (الخلافة) سنة ١٨٧٩ تزدود عنه وتدافع خصومه وتمسك بالأجانب وأعمالهم في مصر (١) ويمضى إبراهيم المويلحي على خطا صنوع فينشئ صحيفة (الأنباء والرجاء) في باريس وإن لم تعمر أطويلا أو يكون لهما ما كان (للخلافة) من شأن .

لم تعش إذن من الصحف في الخارج إلا صحيفة أبي نظارة بينما كانت الأحداث في مصر تترى والأمر فيها تزيد حرجا وتشهد البلاد حربا تنتهي باحتلال الانجليز لها وإعدام بعض زعمائها وسجن البعض الآخر ، وكان بين هؤلاء السجناء الشيخ محمد عبده الذي رأت المحكمة نفيه فمضى إلى سورية وبقى فيها سنتين ، وكان صديقه وأستاذه السيد جمال الأفغانى بعيداً عن مصر غير أنه سافر إلى أوروبا في سنة ١٨٨٤ فأرسل إلى الأستاذ الإمام كتابا يدعو فيه إلى السفر في أعقابه (٢) والتقى الاثنان في باريس وهناك دار بخلد هما إصدار جريدة (العروة الوثقى) . وتذكر (صحيفتنا) أن « مدير سياستها السيد جمال الدين الأفغانى ومحررها الأول الشيخ محمد عبده » ويبدو من افتتاحية العدد الأول أن الاتجاه الدينى فيها يغلب كل اتجاه آخر « فإن رابطتهم الملية - يقصد المسلمين - أقوى من روابط الجنسية واللغة ، وإذا كان الدين فى العروة الوثقى له المكان الأول فإن محرر الجريدة لا ينسى وطنه إذ « أن الفجيرة بمصر حركت أشجانا كانت كامنة وجددت أحزاننا لم تكن فى الحسبان وسرى الألم فى أرواح المسلمين سريان الاعتقاد فى مداركهم ،

(١) الرافعى . عصر إسماعيل ج ١ ص ٢٧٢ والاسلام والتجديد فى مصر ص ٢٢ والمنار

ج ٢٢ ص ٧١٠ (٢) تاريخ الأستاذ الانام ج ١ ص ٢٨٢

وهو يخلص من وصف هذه الآلام إلى تحذير الانجليز وترويعهم ، ولا نأمن أن
يصير التنفس - يقصد تنفس المسلمين - زفيراً بل نفيراً عاماً بل يكون صاخة
تمزق مسامع من أصممه الطمع »



الشيخ محمد عبده محرر العروة الوثقى

ويتحدث المحرر عن منهج الجريدة وخطتها مبيناً أنها « ستأتي في خدمة الشرقيين
على ما في الإمكان من بيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف
وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتراس من غوائل ماهوآت،
ثم يلتفت الكاتب إلى طبقة الموسرين فيفرص على الجريدة « أن تكشف الغطاء
ما استطاعت عن الشبه التي شغلت أوهام المترفين ولبست عليهم مسالك الرشد وترنيح
الوساوس التي أخذت بعقول المنعمين حتى أورتهم اليأس من مداواة علائهم وشفاء
أدوائهم » وتعني العروة أشد العناية بدفع ما يتهم به الغربيون الشرقيين عامة والمسلمين
خاصة ثم « تراعى في جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة
في أفرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القويمة التي لا تميل إلى الحيف

والاجحاف بحقوق الشرقيين ، وسياسة (العروة الوثقى) سياسة عالية إن صح
التعبير فقد أبت إلا في النادر أن تمس شخصا من الأشخاص مهما يكن بينهما وبينه
من سخيمة أو موجدة ، وهي إن اضطرت إلى الحملة على فرد من الأفراد لا تسف
إسفاف زميلتها (أبي نظارة) بل تحمل في أسلوب عف ومنطق سليم ، لذلك كانت
العروة الوثقى إرثا أدبيا لمصر لا ينسكرك فضلها ، وإن ما كتبه فيها الأفغانى والأستاذ
الامام يعتبر في ذمة التاريخ أفضل ما كتب عن مصر والسودان من وجهة النظر
المصرية ، وهي تمتاز بغنى تفكيرها وإخلاصها في الدفاع وصدق عاطفتها وحرارة
بيانها كما تميزت بالمعاني الاجتماعية والسياسية الرفيعة ، وقد أثر الزمان والمكان في
الكاتبين العظيمين فكان انتاجهما فيها خير ما عرف عنهما من إنتاج . وقد أجمع
المؤرخون على أن العروة الوثقى اتخذت سياسة العنف مع إنجلترا ، ونحن لانسكرك
على هؤلاء المؤرخين هذه الحقيقة فقد كانت مقاصد العروة الوثقى الجامعة الاسلامية
ثم الرابطة الشرقية وأخيرا المسألتين المصرية والسودانية ، وقد ذكرت الجريدة
في غير موضع أن حل المسألة المصرية برمتها مرجعه أولا إلى الدولة العثمانية
صاحبة الحق الشرعى في مصر وإن كان أمر مصرهم الدول الأوربية جميعا وخاصة
فرنسا ثم روسيا التي يعتمد المصريون عليهما في تحقيق أمانهم واستقلالهم وهي
مع ذلك ترى أن صداقة الانجليز أمر لا بد منه لوجود قتال السويس في طريق
الهند . وهي تقرر أن الانجليز أمة طامعة بيد أنها ليست من سوء بحيث لا تجوز
معها صداقة فإن الانجليز يراعون طبيعة العمران وتطور الزمان . (١)

وقد أخذ على العروة الوثقى تطرفها الدينى ولكنها دافعت في عددها الثامن
عن وجهة نظرها وأبت أن تقر خصومها على وصفها بالتعصب الدينى فذكرت أنها
بدفاعها عن المسلمين أحيانا لا تقصد الشقاق بينهم وبين من يجاورهم من البلاد
ويتفق معهم في المصالح ويشاركهم المنافع أجيالا طويلة وإنما غرضها من هذه
الحجاسة المتدققة تحذير الشرقيين عامة والمسلمين خاصة من الأجانب الذين يفسدون

في بلادهم ، وأن الجريدة إنما تخص المصريين بالذكر أولاً لأن الأجنبيين غدروا
ببلادهم وأذلوا أهلها واستأثروا بجميع خيراتها (١) ومحرر العروة الوثقى أبعده
الناس عن التعصب الديني وله في ذلك المواقف الماثورة فإنه صديق لسكثير من
المسيحيين لا يفرق الدين بينهم في المصالح الوطنية ، فقد بنى صداقة وطيدة مع أديب
اسحق ويبدو ذلك واضحاً وهو ينعاه في العروة الوثقى . وكذلك أقام علائق الود
مع يعقوب بن صنوع وقد ذكرنا ذلك من قبل ، وقد دافع عن بطرس باشا غالى
يوم طعنت فيه بعض الجرائد المصرية ونسبت اليه التعصب للقبط في بعض أعماله
وكان الأستاذ يومئذ منفياً في سورية (٢) ثم هو يعنى في جريدته بالمسألة الشرقية
وهي تجمع بين المسلم وغير المسلم . وكل ما كانت ترجوه العروة الوثقى إعادة الحكم
الاسلامى والنظم الدينية إلى ما كانت عليه من الطهارة والعدل والكمال في عصورها
الأولى بتأسيس حكومة اسلامية على قاعدة الخلافة الراشدة في الدين وما تقتضيه
حالة العصر لمجد الاسلام في أمور الدنيا ويتبع هذا إنقاذ المسلمين وغيرهم من
الشرقيين من الاستعمار وذلك ، ومن أهم أغراض العروة إنقاذ مصر من الاحتلال
والسودان من الفوضى (٣) وقد استقبلت العروة الوثقى في البلاد الاسلامية
أحسن استقبال ، ولا عجب في ذلك فإن لصاحبها في عالم الدين والأدب والسياسة
القدر المعلى ، وقد أحس خطرها الإنجليز قبل صدورها ، وهاجت لفكرتها صحافتهم
وفي ذلك تقول الجريدة في العدد الخامس « عزمنا على انشاء جريدتنا هذه فعلم
بذلك بعض محررى الجرائد الفرنسية فكتبوا عنها قبل صدورها غير مبدين
لمشربها ولا كاشفين عن حقيقة سيرها فلما وقف على الخبر محررو الجرائد الانكليزية
المهمة أخذتهم الحدة وأنذروا حكومتهم بما تؤثر هذه الجريدة في سياسة
الانكليز ونفوذها في البلاد الشرقية وألحوا عليها أن تعد كل وسيلة لمنع
الجريدة من الدخول في البلاد الهندية والبلاد المصرية بل تطرفوا فنصحوها أن

(١) العروة الوثقى في ١٨ رجب ١٣٠١ هـ - ١٥ مايو ١٨٨٤

(٢) الأستاذ الامام ج ١ ص ٢٨٩ (٣) العروة الوثقى ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٠٢ هـ

تلتزم الدولة العثمانية بالحجر عليها (١). وقد نجحت فعلا السلطات الانجليزية في منعها من دخول الهند ومصر، أما الأخيرة فقد ذكرنا تفاصيل ذلك في فصل سابق (٢) وقد ذكرت خطتها نحو مصر بهذه المناسبة قائلة « هذه جريدة قامت بالدفاع عن المصريين والاستنجد لهم ولها سعى بل كل السعى لخيبة آمال أعدائهم ولا ترى من مشربها مدح زيد ولا القدح في عمرو فان المقصد أعلى وأرفع من هذا وإنما عملها سكب مياه النصح على طب الضعائن لتتلاقى قلوب الشرقيين عموماً على الصفاء والوداد، تلتمس من أبناء الأمم الشرقية أن يلقوا سلاح التنازع بينهم ويأخذوا حذرهم وأسلحتهم لدفع الضواري التي فغرت أفواهاها لانتهاهم، وتحدث عن السياسة الداخلية فتطلب الانصراف عنها مؤقتاً ومن رأيها « أن الاشتغال بداخل البيت إنما يكون بعد الأمن من طروق الناهب، هذا منهاج العروة الوثقى علمه كل مطلع على ما نشر فيها من يوم نشأتها إلى الآن فكيف يخطر ببال عاقل أن شرقياً مسلماً أو غير مسلم يميل لحجبها عن دياره؟ ولكننا نعلم أن حركات الأمرين في القطر المصري هذه الأيام قهريّة لا يخالطها شيء من الاختيار والمدير لرحى القهر عليهم هم عمال الانكليز، إلى أن تقول « ولا نريد أن نقول للانكليز إنهم ظلموا في هذا الحكم فإن الجريدة لم يوجد فيها إلى الآن ما يزيد على ما تنشره الجرائد الوطنية والأجنبية » ثم تحتتم حديثها بقولها « فلا غرابة في صدور مثل هذا الجور منها غير أننا نعلم لها أن همم الرجال لا تقعد لها أمثال هذه المظالم وليس يعجزنا إدخال هذه الجريدة في كل بقعة تحوطها السلطة الانكليزية، ذلك بعزائم أولى العزم الذين قاموا بإنشاء العروة الوثقى » (٣)

نقلنا فقرات طويلة مما أذاعته (العروة الوثقى) بعد مصادرتها في مصر لنبيين منها خطر الصحافة من حيث نظر السلطات اليها ولنجمل فيها بعض غاياتها التي تخللت سطور التعليق وهي تنطق بكرهيتها للتعصب وبعدها عنه ثم توضح ترفعها

(١) العروة الوثقى ١٠ أبريل ١٨٨٤ (٢) الوقائع المصرية ١٥ مايو ١٨٨٤ (٣)

(٤) العروة الوثقى ٢٢ مايو ١٨٤٤ (٥) الوقائع المصرية ١٥ مايو ١٨٨٤ (٦)

عن التحدث في الشخصيات واكبارها لطابعها من أن يسف إلى هذا الدرك . غير أن (العروة الوثقى) تتطرف في حملتها على الحكومة المصرية عقب القرار الخاص بمصادرتها وتدعو علانية إلى وسائل العنف وتتمنى أن يكون بين المصريين من يستطيع ولو بأقصى الوسائل إبطال هذه الصفقة ونقض هذه البيعة - وهي تقصد صفقة القرض التي كان يتفاوض فيها نوبار باشا - ويكشف لهذا الوزير « والمغرورين أمثاله حقيقة الوطنية ويرفع الحجاب عن واجبات الملية لاحول ولا قوة إلا بالله ، إن المولعين بحب الحياة يقضونها من خوف الذل في ذل ويعيشون من خوف العبودية في العبودية ويتجرعون مرارات سكرات الموت في كل لحظة خوفا من الموت ، لا الدين يسوقهم إلى مرضاة الله ولا الحمية الوطنية تدفعهم إلى ما به فخار بنى الانسان » (١) وهذا لون من المعارضة التي قل مثلها في أعدادها جميعاً ، وقد صدر من العروة الوثقى ثمانية عشر عدداً بلغ فيها أدب الشيخ محمد عبده الذروة من حيث قوة العبارة وروعة الأسلوب ودقة المعنى ، وقد أفلت في ٢٦ ذى الحجة عام ١٣٠١ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٧٨٤ وعاد بعدئذ الأستاذ الأمام إلى مصر وشغل بعض المراكز الكبيرة كمنصب الإفتاء أو التدريس في الأزهر أو المساهمة في المجالس النيابية .

لم يعد للصحافة المصرية من أثر في الخارج إلا صحيفة يعقوب بن صنوع ولم يكن له أى أمل في العودة إلى بلاده فكانت صحفه وثيقة اتهام له سواء أمام الاحتلال أو الحاكم الشرعي لمصر ، وقد أتيح للصحافة ورجال الرأى في مصر من الحرية ما سمح لها ولهم بالحياة والتقدم ولم يكن هناك داع لأن يقوم جهاد الوطنيين على صحف تصدر في الخارج . وبعد ثمانية وعشرين عاماً من اختفاء (العروة الوثقى) اضطر محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى وكان طريد السجن السياسى أن يكافح من أجل مصر في خارج مصر ، فقد غلقت صحف الحزب الوطنى جميعاً وطورد رجاله واشتدت السلطات في الضيق على حرية الرأى والكتابة ، وأخيراً نزل محمد

فريد م. ينة جنيف، وفي أثناء إقامته هناك تعرف ببعض الشرقيين من الأحرار الذين لقوا مثلها لقي هو من العنت والاضطهاد، فاجتمعوا جماعة واحدة في ١٩ ديسمبر ١٩١٢ واقترح عليهم رئيس الحزب الوطني المصري تأسيس جمعية باسم «جمعية ترقى الإسلام»، وقبول اقتراحه بالتأييد وأخذ هو يضع لائحتها التي تنظم أغراضها وتوضح اتجاهها. وكانت الغاية من إنشاء هذه الجماعة تقوية روابط التضامن بين الشعوب الإسلامية وتغذية النهضة السياسية فيها والعناية بالنواحي الاقتصادية في بلاد تلك الشعوب، واتخذت الجماعة مدينة جنيف مقراً لها، ثم رأت أن لا بد من صحيفة تعبر عن أغراضها وتكون أساساً للنشاطها فأصدرت الجماعة صحيفة فرنسية، باسم - Bulletin de la Société End Jouman Terekki - Islam (Progrès de L, Islam) وكان صدورها في شهر مايو من سنة ١٩١٣ وقد بحثت هذه المجلة في الشؤون الشرقية عامة والعالم الإسلامي خاصة سواء ما اتصل بأمور السياسة أو الاقتصاد أو الدين، وهي من حيث اتجاهها تشبه كثيراً مجلة (العروة الوثقى) وتمتاز علمياً من حيث كثرة محرريها ومن انضم إلى إنشاء الفصول الرائعة فيها كالستر بلنت صديق المصريين منذ عهد العرابين ومسيو بيير لوتي وكلود فارير Claude Farrere الأديبين الفرنسيين الكبارين وغيرهما من كبار الأساتذة الفرنسيين، وقد ظلت الصحيفة تحمل طابعها وتذيع آراء هؤلاء الرجال حتى أقبلت الحرب العظمى فتوقفت عن الصدور. ولكن في خلال تلك الحرب أصدر محمد فريد بك في جنيف مجلة أسبوعية باللغة الفرنسية تخصصت لشؤون مصر وحدها سماها Echo de L, Egypte غير أن الحكومة السويسرية رأت فيها حدة لا تتفق مع مركزها الدولي كأمة محايدة فأبقت استمرارها بحجة منافاتها للحياد، ومن ثم أغلقت الجريدة بعد صدور العدد الثاني منها (١)

وقف نشاط الصحافة الوطنية في مصر والخارج بوقف «مجلة جمعية ترقى الإسلام» عن الصدور، وقف النشاط في مصر بإعلان الأحكام العرفية التي حدثت

من الحرية الضئيلة الباقية للصحافة المصرية ، ووقف النشاط في الخارج بوفاة عميد تلك الصحافة يعقوب بن صنوع سنة ١٩١٢ بعد أربع وثلاثين سنة من كفاح متصل لا يهون ثم باحتجاب صحيفة « ترقى الإسلام » ، أخيراً في سنة ١٩١٤ .

واستمر النشاط الصحفي محجوراً عليه في مصر والخارج خلال الحرب العالمية الماضية ثم قامت الحركة الوطنية في مصر سنة ١٩١٩ واستمرت الصحافة بين التضييق والتيسير ، ولم يكن هناك محل لصحف مصرية تصدر في أوروبا وقد بدأت حياة مصر تستقر في الداخل لولا أن مصرياً له تاريخ في الحزب الوطني القديم أنشأ صحيفة في جنيف بعد الحرب العظمى هو الشيخ علي الغاياتي . والشيخ الغاياتي هو صاحب كتاب « وطنيتي » ولهذا الكتاب تاريخ في الحركة الوطنية قبيل الحرب العظمى فقد كان الشيخ محرراً في اللواء في سنة ١٩١٠ فأخرج في يولية من السنة المذكورة ديواناً من الشعر أسماه (وطنيتي) احتوى على تاريخ شعري لحادث مصر خلال عامين ، وكتب رئيس الحزب الوطني محمد فريد ورئيس تحرير اللواء الشيخ عبد العزيز جاويش مقدمة لهذا الكتاب ، ولم يكن في الكتاب شيء يستحق المؤاخظة ويستدعي المقاضاة لأن قصائده نشرت جميعاً في الصحف السيارة غير أن في الكتاب قصيدة عن الشيخ علي يوسف وجريدته (المؤيد) حمل الشاعر عليهما فيها حملة قاسية ، فنشرت (المؤيد) بضعة أنهر عن هذا الكتاب وفيها دعوة خفية إلى النيابة بالقبض على الغاياتي ومن صدر له ديوانه (١) وتحقق ما دعت إليه (المؤيد) واستجابت النيابة العامة إلى الدعاء . فصادرت الكتاب ومضت تحقق مع مؤلفه وأقامت الدعوى العمومية على محمد فريد وهو في خارج مصر وعلى الشيخ جاويش بحجة أنهما يدعوان إلى الجرائم السياسية ويحبدان ارتكابها ويحضان على إهانة الهيئات الحكومية ثم أحالتهما إلى محكمة الجنايات فقضت عليهما جميعاً بالسجن مدداً متفاوتة (٢) بيد أن الشيخ الغاياتي استطاع أن يهرب من

(١) منبر الشرق في ٦ مايو ١٩٣٨ (٢) المؤيد في ٤ يوليو ١٩١٠

سجنه إلى الآستانة ومنها إلى جنيف حيث استوطن ذلك البلد زهاء سبع وعشرين سنة وأصدر فيه جريدة عربية فرنسية في جنيف سنة ١٩٢٢ وهو يحدثنا بعد عودته إلى مصر عن تاريخ هذه الصحيفة التي أعوزتنا أعدادها في المكاتب العامة فيقول « صدر العدد الأول من هذه الجريدة - واسمها بالعربية (منبر الشرق) وبالفرنسية La Tribune d'Orient - في جنيف يوم الأحد ٥ فبراير عام ١٩٢٢ (٩ جمادى الثانية ١٣٤٠) وعاشت هناك ما يقرب من ستة عشر عاماً ، وكان بها ، في أول عهدها بجانب القسم الفرنسي صفحة عربية كثيرة المتاعب كبيرة النفقات ثم روى الاكتفاء باللغة الفرنسية وهي لغة البلاد التي تصدر فيها والأوساط التي يزيد مخاطبتها ، وقد نمت وترعرعت وانتشرت في الشرق والغرب وبات لها ذكر حسن واسم معروف وخصوصاً في مركز جمعية الأمم التي عملت فيه ما استطاعت على خدمة مصر والشرق والاسلام ، ويرجع الفضل في نجاحها كما يقول صاحبها إليه وإلى بعض البيوتات التجارية في جنيف التي أمدته بالاعلانات ، ثم يحمل على المصريين البخلاء ذوى المال والجاه الذين « لا يزالون مدينين لهذه الجريدة » ثم يمضى في تاريخها قائلاً « وقد صدر آخر عدد (من منبر الشرق) في جنيف يوم الأربعاء ٢٦ مايو عام ١٩٣٧ (٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٥٦) ، وكانت خطة الجريدة كما يقول صاحبها العمل على أن يكون « الشرق للشرقين » (١) . وبجمل القول في (منبر الشرق) أنها ختمت حياتها في جنيف عام ١٩٣٧ وعادت إلى الظهور في القاهرة بعيدة عن جميع الأحزاب في سنة ١٩٣٨ .

وفي سنة ١٩٣٣ أصدر الدكتور محمود عزمى صحيفة في لندن سماها (العالم العربي The Arabic World) على أن تكون صحيفة أسبوعية غير أنه جعلها شهرية ابتداء من العدد الثاني وقد تضمنت أعدادها المختلفة إشارة إلى اتجاهها فهي ترنو إلى تنوير الرأى العام الانجليزى وشرح المسائل الشرقية المعقدة شرحاً مفصلاً لعل هذه البحوث تقيم علاقات من الود والصدقة بين الشعب الانجليزى وشعوب

الشرق المختلفة . وقد تناولت بعض أعدادها المسائل الاقتصادية والتجارية والاجتماعية في جميع الدول العربية . وكان لها مكاتبون في عواصم الشرق المتباينة ونشرت أحيانا بعض القصص بأقلام مصرية أو أجنبية . وتعتبر مجلة (The Arabic World) مثالا رائعا للذوق السليم من حيث شكلها وإخراجها فقد حفلت بالصور الواضحة لرجال الشرق المشهورين كما احتوت أعدادها على بعض الصور الكاريكاتورية الرائعة .

وبصحيفة عزمى يتم تاريخ الصحافة المصرية في الخارج غير أن معظم تلك الصحف كان يتجه اتجاهها شرقا دينيا وهو سمة اجتمعت عندها جميع الصحف المصرية التي صدرت في الخارج فيما خلا صحف يعقوب بن صنوع وصحيفة محمود عزمى فكانت صحفا مصرية حقا بمعانيها وروحها ، ولهذا الصحف أثر مشكور في تعريف الأجانب بالشرق وبمصر خاصة وفي ذلك من الدعاية للحركة الوطنية ما قوم رأى الكثيرين من الأجانب الحاملين على مصر ورجالها ، وهذه الصحف جميعا تتفق في الحملة على الاحتلال الانجليزى ، ولذلك أثره في تحرز الانجليز وتحفظهم في معالجة أمور المصريين وتقدير النتائج ووزنها إذا كشفت أمور الاحتلال في الخارج ، وهى صحف قادرة على الرواية الصريحة التي لا يقف دونها قانون المطبوعات في باريس أو لندن أو جنيف ، وقد استطاعت هذه الصحف على قلبتها وعلى اختلاف نزعاتها أن تكتب لها في تاريخ الصحافة المصرية بابا من أفضل أبوابها وأكثرها روحا وحياة .

الفصل الحادي عشر

تاريخ التشريع الخاص بالمطبوعات في مصر

يكاد إجماع الفقهاء والباحثين ينعقد على أن المطبوعات - وفي مقدمتها الصحافة - تجد في قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ أول تشريع ينظم شئونها ويضبط مسائلها ، ولا يعد هذا الرأي مبالغاً فيه إذا نظر إلى قانون سنة ١٨٨١ على أنه أول أداة تشريعية مصرية سايرت نشاط الصحافة وسائر المطبوعات في مختلف مراحلها فتعرضت للتحجير كما تعرضت للطبع والتوزيع والنشر. وإذا كان رأي هؤلاء الفقهاء صحيحاً من حيث اكتمال الأداة التشريعية بهذا القانون فإنه يكون رأياً مبتسراً من ناحية الأصول التاريخية . فإن المعنيين بشئون الصحافة وتاريخها يمكنهم أن يردوا تاريخ المطبوعات إلى عهد الحملة الفرنسية على مصر ، فقد عرفت البلاد في غضون هذا أول تشريع للمطبوعات أصدره بونابرت في ١٤ يناير ١٧٩٩ في صورة أمر احتوى على ست مواد أكمله الجنرال عبد الله منوفي مرسومه الصادر في ٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ الخاص بجريدة (التنبيه L'Avantissement) (١)

ثم أسس محمد علي مطبعة بلاق في سنة ١٨١٩ على صورة متواضعة تتصل بحياة الحكومة وحدها ، فقد تكلفت بمطبوعاتنا وهي عبارة عن كتب للدراسة والعلم لا تستوجب نظماً أو لوائح وقوانين تحدد سياستها وتنظم أمورها ، ففضت شئونها للنشر فيها هيئة إلى أن أخذت تتعدد أحوالها باتساع أعمالها وخطر

(١) راجع هذا الموضوع في «تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية» للدكتور

آثارها بحيث أصبح من المتعذر أن تسير المطبعة على فطرتها أو تطرد على طبيعتها
ودعت الأحوال الجديدة إلى إصدار الأوامر ووضع اللوائح وسن القوانين
وتحديد سياسة للطبع فيها ووضع نظام للرقابة على مطبوعاتها، ويروى لنا Brocchi
السامح المعروف المناسبة التي تم فيها التشريع الأول للمطبوعات في مصر، فيذكر
أنه كان بين مدرسي مدرسة الفنون المدرس الإيطالي Bilotti وقد نظم هذا المدرس
قصيدة شعرية طويلة سماها «ديانة الشرقيين» أساء فيها إساءة بالغة إلى الإسلام
والمسلمين، ودعا فيها إلى التهوين من أمر هذا الدين والسخرية برجاله. وقد اتفق
بيلوتي سرّاً مع نقولا مسابكي أفندي ناظر مطبعة بلاق على نشر قصيدته في المطبعة
وكان مسابكي تلميذاً لإيطاليا وأحد مبعوثي الوالي فيها، وهو نصراني لا يعنيه من
أمر الدين الإسلامي شيء وإيطاليا في ذلك الوقت موطن العداء لهذا الدين، فتم
طبع القصيدة دون علم الوالي. بيد أن سولت Salt قنصل إنجلترا في مصر وقتئذ
كان في خصومة مع الناظم الإيطالي فرأى في هذه الفرصة وسيلة يتوسل بها
للإيقاع به، فروى للباشا الخبر وكشف له عن طبع القصيدة بالمطبعة الأميرية،
وتبين للباشا أن في الكتاب فحشاً في القول وزرارة بالدين إلى درجة أنه يستحيل
على أي حكومة أن تقبل ألفاظه أو معانيه مهما تتساهل في حرية النشر أو حرية
القول والكتابة، فأمر محمد علي بمخطوط الكتاب فألقى في النار وكاد يقتل
مسابكي، ولولا شفاعة عثمان نور الدين من رجاله المقربين لثم القضاء على الكتاب
ونشره معاً، ومن ثم أصدر الباشا أمراً في ١٣ يوليو ١٨٢٣ (٤ ذي القعدة ١٢٣٨)
يحرم طبع أي كتاب في مطبعة بلاق إلا إذا استصدر مؤلفه أو ناشره إذناً خاصاً
من الباشا بطبعه، وفرض أشد العقوبات جزاء لمن يخالف هذا الأمر. (١)

ويعتبر أمر محمد علي هذا أول تشريع للمطبوعات في عهد أسرته، وقد انصب
على الأجانب والمصريين جميعاً، وآية ذلك أننا لا نجد مطبوعاً في مطبعة بلاق إلا

ونجد أمراً عالياً بطبعه وعليه خاتم المطبعة وتاريخ نشره وذكر أن ولي النعم أصدر أمره بأن يطبع في المطبعة لما رأى فيه « من الفائدة والملاءمة » حتى ولو كان أمر الطبع صادراً من دواوين الحكومة الرسمية، ويروى أن باشا أن محمد علي كان متأثراً في أمره هذا بقوانين فرنسا المعمول بها في ذلك الوقت (١) وعندى أن الباشا لم يرجع في ذلك إلى مرجع فإن الحادث من الوضوح والقرار من البساطة بحيث لا يدعو الأمر إلى استشهاد بقانون أجنبي أو نقل عن تشريع من التشريعات وهو أول قانون للطبوعات وآخر قانون لهما في عهده وعهد خليفته إبراهيم وعباس .

هذا فيما يختص بنشر الكتب ، أما علاقته محمد علي بالصحف فكانت علاقة صاحب البيت بيته ، صدرت في عهده خمس صحف ، (جرنال الخديو) في أول الأمر حوالي سنة ١٨٢٢ ثم (الوقائع المصرية) في نهاية ١٨٢٨ ثم (الجريدة العسكرية) حوالي سنة ١٨٣٣ وجريدة (لومنتور أجبسيان) قرابة ذلك الوقت ثم جريدة (Lo spettatore Egiziano) في سنة ١٨٤٦ ، الصحف الثلاث الأولى صحف الدولة الرسمية ، والصحيفة الفرنسية صحيفة شبه رسمية أما الصحيفة الأخيرة فجريدة للإعلانات . وكانت (الجريدة العسكرية) خاضعة لرقابة صاحب الدولة السر عسكر إبراهيم باشا وهي خاصة بالشئون العسكرية الخاصة و (جرنال الخديو) جريدة الوالي وحده بعد إنشاء (الوقائع) أما الجريدتان الأجنبيتان فكانت أخبارهما كلها منقولة عن الوقائع ، وإذن تكون (الوقائع المصرية) هي الجريدة الفذة التي شغلت من حياة الدولة جهداً وإشرافاً ، اشترك فيها الموظفون ومنحت للعلماء وفرضت على التلاميذ في مصر وخارجها ووزعت في بلاد العرب والشام وكريت ، فهي في حياة الدولة شيء خطير بعيد الأثر ، وقد أشرف محمد علي بنفسه على (الوقائع) وإخراجها فكان يكلف موظفيه بكتابة المقالات ويوعز بنشر الأخبار ويراجع مسودات الجريدة قبل طباعها ويعاقب

(١) ها ٥٠ ص ٢٥ Artin Pacha. : Lettres du Dr. Perron à M. Mohl

المستولين إذا أساءوا اختيار الخبر أو المقال ، وكانت أوامره ورقابته لها لونا من ألوان التنظيم التي سبقت تشريع المطبوعات في عهد خلفائه (١) وفي عهد سعيد باشا صدر تشريعان للمطبوعات أوسع نطاقا مما ذهب إليه محمد علي في نشر الكتب أو رقابة (الوقائع المصرية) أحدهما خاص بالمصريين والثاني خاص بالأجانب ، وقد تضمن « قرار من المجلس الخصوصي ، ماهية التشريع الذي سرى على المواطنين نشرت هنا لبيان الفائدة من نشره ولأهميته في تاريخ المطبوعات .

« تقدم لديوان الداخلية عرض من ملاطية لى محمود محمد كتابجى بخان الخليلي ينهى أنه حصل له مضايقة في أمر المعاش وله معرفة في فن الطباعة على الحجر ولأجل الإعانة على معاشه يريد تدوير عدة طباعة واحدة فقط لطبع بعض كتب صغيرة لازمة لتعليم الأطفال لأجل سهولة معاشه ومنفعة الأطفال تحت ظل الخديوى فلدى المذاكرة عن ذلك بالمجلس الخصوصي قد رؤى من حيث أن رفاهية العباد وسهولة إدارة أمر معاشهم من أقصى آمال الجناب الداورى فبذا لا مانع من الترخيص لمن يكون ذو معرفة لإدارة مطابع بملازم الحجر لإدارة أمر معاشه إنما يكون ذلك من بعد أن يؤخذ عليه سند الشروط من ورق الدهمغة تلى الوجه المشروع وهو :

أولا - أن كل كتاب أو رسالة يراد طبعاها لا يصير الابتدئى في طبعاها ولا تجهيز لوازمها ولا عقد شروط مع يريد الطبع والالتزام ولا أخذ شيء منه ما لم يقدم نسخة ذلك إلى نظارة الداخلية لأجل مطالعتها والنظر فيها إن كانت مضرة للديانة ولتلف الدولة العلية والدول الأجنبية والعامامة أم لا ومتى وجد أن لا مانع من طبع ذلك ووافق هذا بالديوان فيعطى اليه الرخصة اللازمة وإن طبع شيء من هذا بدون اذن يصير من المخالفين

ثانياً - لا يطبع ولا ينشر جرائيل وغازيتات وإعلانات من دون استحصال الرخصة من ديوان الداخلية وإن فعل ذلك بدون استئذان تغلق وتسد مطبعته .

ثالثاً - إذا طبع ونشر كتب ورسائل إهانة للديانة وللبوليتيقة والآداب والأخلاق فيجرى ضبط وتوقيف هذا بمعرفة الضبطية .

رابعاً - المطبعجي لاله أن يطبع عدد زيادة عن الشروط المنعقدة ما بينه وبين الملتزم أو من يريد الطبع بمطبعته وإن طبع شيء زيادة عن الشروط يعد سارق ويترب جزاه بمقتضى القانون مع ضبط ما يوجد زيادة واجرا الأصول فيه .

خامساً - إن حصل من المطبعجي أدنى مخالفة من هذه البنود فيعد مخالف إلى النظام ويجرى غلق مطبعته وترتيب جزاه بالنسبة لخفة وجسامة الجنحة تطبيقاً للقانون .

الخاتمة - عما يختص بالتعهد الذى يؤخذ على المطبعجي يذكر فيه إنى قد قبلت هذه الشروط الموضحة بالخمسة بنود وللمعاملة بموجبها ويشترط على نفسه أن لا يعقد مع أحد شروط طبع كتب أو رسائل أو غازيتات أو إعلانات أو خلافه بدون استحصال الإذن من ديوان الداخلية وصدور الأمر بالرخصة وأنه قابل برضاه واختياره بالاجراء على وجه ما شرح بهذا وعلى هذا النسق يصير الاجرا مع كل من يعرض من ذوى المعارف فى إدارة مطبعة لمعاشه كما استقر رأى بالمجلس ، (١)

وقد جمع القرار بين الكتب والصحف والرسائل والاعلانات ، والواقع أنه بالرغم مما يتبادر إلى الذهن من قسوة فى الشروط التى وضعها الشارع فإن هذا

(١) محفوظات عابدين . دفتر مجموع إدارة واجراءات ص ٣٥٧ تابع مأموريات مأمورى الضبطية فىمن برخص له بإدارة مطابع برانية - قرار المجلس الخصوصى فى ٢٧ جماد أول ١٢٧٥ هـ

القانون كان تشريعاً سهلاً ليناً لأن ناس ذلك الوقت كانوا بطبعهم مسالمين، وكانوا في حالة فكرية - من حيث التعليم وتناول أساليب الحياة - لا تسمح باختلاف على مصلحة عامة تدفعهم إلى السياسة ومشاكلها، كما كانوا مؤمنين بفطرتهم لا أمل للإلحاد والملحدين بينهم، وكان القانون صدى للقانون العثماني المعمول به في الدولة العثمانية وإن لم يصدر في نصه واكتفى المجلس الخصوصي بروحه، وهو شبيه أيضاً بالقانون الذي صدر من أجل الأجانب في مصر وسائر ولايات السلطنة العثمانية وقد كان للأجانب في مصر على عهد سعيد دالة على حكومته فقد أمدهم الباشا في رحابه فكثير عددهم واستتبع ذلك إنشاء خمس صحف فرنسية وإيطالية غير صحفية السلطنة العربية التركية، وطبعي أن هذا العدد الكبير من الصحف كان يقتضي رقابة من الحكومة الشرعية في البلاد حتى تأمن نتائج الآراء المتضاربة التي تذيعها هذه الصحف المتباينة، فكانت تجيز الترخيص بهذه الصحف « على شرط ألا تتجاوز فيما تنشره قوانين الدولة العلية والآتدكرأي شيء ضد الحكومة المحلية» (١) والراجح أن بعض هذه الصحف قد تجاوز حدوده فاضطرت حكومة سعيد إلى أن تبلغ قناصل الدول منشور التنظيمات الصحفية التي صدرت في الأستانة في ٦ يناير سنة ١٨٥٧ (٢) وأرسلتها إلى هؤلاء القناصل في كتاب وقعه ناظر الخارجية في شهر ديسمبر عام ١٨٥٧ وقد صدرت هذه القوانين لتنظيم العلاقات بين الحكومة العثمانية وبين رعايا الدول في داخل الدولة وفي سائر ولاياتها (٣) ومن هذه القوانين جزء خاص بالصحف بلغ كما ذكرنا إلى القناصل ليدعوه على رعاياهم حتى يعملوا بمقتضاه، ونشرنا أهم المواد الخاصة بالمطبوعات لتبين حقوق

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣١ سجل ٥٢٥ ممية تركي ص ٦٤ قسم ثاني

Legislation Ottomane

(٢) وزارة الخارجية - ٣ ص ٣١٨ رقم ١ - ٢٥ ارشيف الياب العالي

Evolution De La Législation sur La Presse En Egypte

(٣) عهد المجيد صادق رمضان ص ١٥ و ١٦ طبعة عام ١٩٣٥

الحكومة المصرية والتزاماتها التي خلقتها حالة جديدة لم تكن تعرفها مصر من قبل (١)

مادة (١) يجب الامتناع بتاتا عن كل نقد لأعمال الحكومة .

مادة (٢) يجب تجنب كل مجادلة في المسائل التي لا تهم مباشرة السلطنة والتي من شأنها أن تضر بالعلاقات الحسنة القائمة مع الدول .

مادة (٣) يجب الاقتصار في نشر المراسلات الواردة من المقاطعات على سرد الحوادث دون نقد أو تعليق على أعمال الموظفين . ويجب ألا تنشر المراسلات إلا بعد إرسالها إلى مكتب الصحافة .

مادة (٤) بما أن الوقت لا يسمح بتقديم المسودات ليلة النشر يجب على المحررين أن يوضحوا شفويا للشخص القائم على مكتب الصحافة ما تحتوي عليه افتتاحية الجريدة التي ستنشر وأن يتبعوا الملاحظات التي يمكن توجيهها اليهم .

مادة (٥) لا بد من أخذ رأي مكتب الصحافة قبل نشر الجريدة وذلك لتجنب إذاعة الأخبار الباطلة .

مادة (٦) على الجريدة أن تفتح صفحاتها لتكذيب وتصحيح المقالات المنشورة في أوروبا والتي يعرضها مكتب الصحافة .

مادة (٧) كل مخالف لهذا القانون تعاقب عليها الجريدة أولا بانذارها وبعد ثلاثة إنذارات تعاقب بالايقاف المؤقت أو النهائي .

مادة (٨) يضاعف الجزاء في حالة الرجوع إلى ارتكاب الجرم ما عدا الاستثناءات التي ينص عليها القانون

مادة (٩) كل من ينشئ مطبعة أو ينشر كتباً أو نشرات أخرى دون ترخيص من الباب العالى أو كل من يسمح لنفسه بنشر أو طبع جرائد أو كتب أو مطبوعات أخرى ضد الحكومة أو موظفى الباب العالى أو ضد أية دولة من الدول الخاضعة لتركيا ، هذه الجرائد والكتب والمطبوعات تصادر ويلزم المسئول على قدر مسؤوليته بتفعل مطبعته مؤقتاً أو نهائياً ويعاقب بدفع غرامة من عشرة الى خمسين جنيتها مجدياً

ويختم ناظر الخارجية تبليغه لقنصل كل دولة بقوله « تحدد هذه النصوص المختلفة فى شىء كثير من الايضاح واجبات الصحفيين والناشرين ولا يترك أى شك فى السبيل التى يجب أن تتبع ، هذا بخلاف القواعد الخاصة بالعرض والنشر والأشياء الأخرى من اختصاص الشرطة » الى أن يقول « ولكى يكون هذا الكلام أكثر وضوحاً أضيف إلى ذلك ما يأتى :

أولاً - كل شخص يمتلك أو يستغل مطبعة قائمة بالفعل دون ترخيص سابق يجب عليه أن يحصل على هذا الترخيص فى مهلة مقدارها شهر ابتداء من هذا المنشور وإلا فلا يسمح له بمباشرة عمله ويكون معرضاً لتفعل مطبعته .
ثانياً - وأن مكتباً للصحف أنشىء فى هذه النظارة - يقصد نظارة الخارجية - لتطبيق هذه القواعد ،

ثم يطلب ناظر الخارجية من القناصل فى مصر أن يذيعوا منشوره السابق الذكر على رعايا دولهم ويبين أن الحكومة مصممة على تنفيذ هذه النظم والقوانين المعمول بها فى السلطنة العثمانية وهو حق لها وواجب عليها أيضاً ، ثم يأمر بنشر هذه القواعد والقوانين فى مختلف جرائد القطر حتى لا تكون هناك حجة لأحد .
عرضنا لكتاب الوزير المصرى الذى تضمن القوانين التى بمقتضاها تنشر صحف وتنشأ مطابع ، وقد اجترأ الوزير بعض المواد التى احتوى عليها قانون المطبوعات العثمانى ، وليست مواد قانون الصحافة التى نشرناها مواد حرفية لقانون

المطبوعات التركي بل هي تحمل روحه وطابعه دون الصيغة الأصلية كما أنها لم تأت مفصلة ولم يراع الوزير المصري في تبليغها للقناصل حرفية القانون بل بسطها بتبسيطا ملحوظا إذا قورنت المواد المنشورة بالقانون التركي الأصلي وقد عمدت الحكومة المصرية كما رأينا إلى بعض مواد قانون الصحافة دون غيرها وبلغتها للقناصل إذ كان يهمها أشد الاهتمام الامتناع عن نقد أعمالها مما قد يؤثر على الأمن أو يدعو إلى اضطراب في أفكار الأجانب ، وهي كذلك حريصة على إعفاء موظفي الحكومة من الملاحظات التي قد توجهها إليهم هذه الجرائد فاشتراطت لتحقيق هذه الرغبة أن يقر الأخبار التي تذيبها الصحف عن الحكومة وموظفيها مكتب للصحافة أنشأه سعيد في نظارة الخارجية . وليست الأخبار وحدها المطلوب رقابتها بل إن الافتتاحيات أيضا كانت تمر على المسؤولين في مكتب الصحافة أو يقرها موظفوه مشافهة على شريطة أن يدعن المحرر للاعتراضات التي توجه إليه اجتنابا لإذاعة الأخبار الباطلة ، وكذلك فرض قانون الصحافة على الجرائد الأجنبية في مصر أن تفتح صدرها لتكذيب وتصحيح الأخبار التي تنشرها صحف أوروبا أو يذيعها المغرضون عن الحكومة المصرية ، وقد أخذ مكتب الصحافة على عاتقه تزويد الصحف بهذا كلما دعت الحاجة إلى تكذيب أو تصحيح . ولسكى تمكن الحكومة لسلطانها على هذه الصحف رسمت عقوبات مختلفة ستفرضها على من يخالف مواد القانون أو يستهين بها ، كما عمدت إلى أن تجعل لهذا القانون أثرا رجوعيا فكل صاحب مطبعة أو ناشر ينبغي أن ينال ترخيصا بفتح مطبعته أو نشر جريدته وإلا تعرض لجزاء يقضى على مطبعته ويعطل صحيفته وألقيت كل هذه المسائل الصحفية الجديدة التي نشئت في الحياة المصرية على مكتب الصحافة الذي أنشأته حكومة الوالى في سنة ١٨٥٧ . ومع أن علاقة الحكومة بالمطبوعات أصبحت واضحة بعد هذين القانونين إلا أنه ينبغي أن نذكر أن الحكومة كالت لهذه المطبوعات بكيلين ، فالأجانب كانت لهم الخطوة وكان لهم في قناصلهم حصانة حالت في كثير من الأحيان دون تنفيذ القانون أو رقابة الدولة كما نص التشريع ، فقد فتح السيد محمد

هاشم من رعايا أمير المغرب مطبعة حروف دون استئذان الحكومة ، فاستفسرت
الضبطية المصرية من الوالى عما يجب أن تصنع فكان رد سعيد كافيا ليظهر لنا
مدى تحمس الدولة لتنفيذ أوامرها ، يذكر والى مصر للضبطية أن « محمد هاشم ،
من طرف أمير المغرب ، وإنه إذا كان قد فتح مطبعة حروف دون إذن الحكومة
وموافقتها فإن له امتياز الصلة بالسيد عبد القادر الأمير المذكور » فيامبارك إن
الأشياء التى مثل هذا لم هى يد واحدة مثلها تعملوا » ثم يقرر له أن الناس أمام
القانون غير متساوين وخاصة إذا اعتزوا بأمر أجنبي ، إن أصول اليدى الواحدة
مرفوع وملغى . إفهموا ذلك ، ! (١)

فهذا الكتاب يبين لنا أن القانون لم يطبق بدقة فى بعض الحالات التى تشفع
فيها وشائج الصلات الأجنبية ، ويمكن المؤرخ الذى يسجل العلاقة بين الحكومة
المصرية والصحافة فى مصر أن يجمل هذه المسائل التى ظهرت فى عهد سعيد فيقرر
أن الصحافة لم تكن حرة قط ، فالحكومة ترى نفسها صاحبة حق فى إذاعة الأخبار
ونشرها وأنها إن نزلت عن هذا الحق لأحد من الناس فإنما يكون ذلك بترخيص
منها ، لها فيه حقوق واسعة ، وبالرغم مما تصوره عملية الإصدار هذه من التزمتم فإن
الحكومة أرادت أن تبقى نفسها من خطر ما يذاع وينشر فسمحت للكاتب أن
يتخير موضوعه ثم فرضت عليه أن يعرض كتاباته قبل نشرها . وقد كان للتشريعات
الصحفية التزكية أثر بعيد المدى إذ مضت الحكومة المصرية تنفذها على رعاياها
وتطبقها على رعايا الدول فى مصر ثم عدلت التنظيمات الصحفية بقانون صدر فى
الاستانة فى يناير سنة ١٨٦٥ من خمس وثلاثين مادة أهم ماورد فيها الشروط التى
تتوافر فى مدير الصحيفة التى يراد إصدارها ، ففرض أن يسكون عثمانى الجنسية
وأن يقل عمره عن ثلاثين سنة وأن يكون متمتعاً بكامل حقوقه المدنية ولم تصدر

(١) محفوظات عابدين . دفتر مجموع أمور إدارة ص ٣٠٧ . تابع مأموريات
مأمورى الضبطية فيمن يرخص له بإدارة مطابع برانية . أمر تركى فى ١١ ذى القعدة
عام ١٢٧٧ هـ رقم ٣٧ سايره .

في حقه أحكام مخلة بالشرف ، على أن يقدم الطلب لناظر المعارف وأن يودع مصدر الصحيفة نسخة منها قبل توزيعها موقعا عليها من المدير المسئول في إدارة المطبوعات ، وقضت المادة الثالثة من ذلك القانون بأن للأجانب حق إصدار الصحف بشرط أن تسرى عليهم الشروط التي تسرى على الأتراك ، وأن يكون للقضاء العثماني دون القنصلي حق الفصل في القضايا الصحفية ، وللحكومة أن تمنح أو تمنع الترخيص بدون إبداء الأسباب . وقد فسرت الحكومة العثمانية هذا القانون بأمر الصدارة العظمى الرقيم ١٣ مارس سنة ١٨٦٧ ولم يختلف القانون ولا أمر الصدارة عن تشريع يناير سنة ١٨٥٧ في شيء من حيث الجوهر ، ثم صدر القانون الهمايوني في ١١ ديسمبر سنة ١٨٧٠ مقررًا حرية المطبوعات في الدولة وسائر ولاياتها إلا أنه - من الناحية العملية على الأقل - لم يجب ما سبقه من قوانين وأوامر وخاصة حق الحكومة في إلغاء صحف الأجانب بصفة إدارية

وقد سعى الخديو إسماعيل جهده في كسب ود الصحافة ، وحرص على أن يكون إليه أمرها ، فنجحها من الحرية ما عطل القوانين التي ذكرناها ، وكان شخصه المرجع في كل ما يتعلق بها ، وكان بيده أن يمنح الترخيص لها أو يقبض ذلك عنها . وقد يبدو ونحن نعرض للصحافة المصرية وعلاقتها بالحكومة وعلاقة الحكومة بها في عهد إسماعيل أن هناك شيئًا خفيًا يربط هذا كله ، فإن الصحف تجاوزت في عهده السبعين جريدة بين عربية وفرنجية وبين جريدة ومجلة . ومن بينها ما كانت له مع الحكومة مواقف موالية أو مناهضة ، لذلك وضحت في عهد الخديو إسماعيل وظيفة مكتب الصحافة أو إدارة المطبوعات على أدق تعبير ، فقد افتتح إسماعيل عهده بكتاب شريف باشا إلى القناصل يبين لهم فيه ما فعلته نظارة الخارجية لتنظيم العلاقات بين الحكومة وبين رعايا الدول المشتغلين بال نشر والصحافة . وقد بقي سهم هذا المكتب محجوبًا حتى سنة ١٨٦٦ في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٣ هـ (٢٦ أكتوبر ١٨٦٦ م) كتب إسماعيل راغبًا أمورًا للخارجية إلى المعية يذكر لها أن ولي النعم ووافق على تأسيس قلم صحافة يلحق بنظارة الخارجية ليقوم بالأجراءات المتعلقة

بالجرائد وغيرها من المطبوعات « (١) وكان من شأن هذا المكتب الإشراف على الصحافة ورعاية شئونها ومراقبة أقلام أصحابها، وقد صدر أمر جديد بإعادة تنظيم مكتب الصحافة في ٢٠ أبريل ١٨٦٩ وبقي المكتب على حاله ملاحقا بنطارة الخارجية وتخصص لمراجعة ما ينشر في الصحف من عربية وغير عربية، فإذا وجد فيها ما يؤخذ عليه كان من وظيفته دراسة جرائم النشر هذه، ثم عليه بعدئذ أن يعد التقارير بالموضوعات التي تستحق المؤاخذة أو الموضوعات التي من شأنها أن تهم الحكومة معرفتها ويرفعها إلى الجهات العليا وهي هنا مجلس النظار، وأصبح هذا المكتب يتكون من خمسة أعضاء، ثلاثة من الأجانب أحدهم الرئيس وهو إذ ذاك جودار بك Goudard Bey وكان رئيسا للمكتب الأوربي في الوقت نفسه؛ ثم اثنان من الوطنيين (٢) توزعت اختصاصاتهم فيما بينهم، فكان على العضوين المصريين مراقبة الصحف الوطنية العربية منها والتركية بينما اختص الثلاثة الآخرون بمراقبة الصحف الفرنجية، وقد بقي مكتب الصحافة قائما حتى صدر قانون المطبوعات المصري في ٢٦ نوفمبر ١٧٨١ (٣)

وقد حدثت بعض التغييرات في شئون الصحافة بعد ذلك إذ صدر أمر خديوي تضمن تعيين حقوق النظارات المصرية، فقرر أن تكون الجرائد والمطبوعات تابعة لنظارة الداخلية ابتداء من ١٣ ديسمبر ١٧٧٨ (٤) وقد أصبح المشرف

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣٧٤ محفظة ٣٩ معية تركي في ١٥ جمادى الآخرة ١٢٨٣ هـ
ولفهم التفاصيل الخاصة بهذا المكتب يرجع إلى الوثيقة رقم ١١ دفتر رقم ٥٦٠ معية
تركي في أول شعبان ١٢٨٣ هـ . من المعية إلى نظارة الخارجية

François Leverney. Guide Annuaire 1872 - 1873

(٢) ص ١ باب الحكومة المصرية

(٣) مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها في مصر . أحمد محمد حسن بك وايزيدور فلدمان

ج ٢ ص ١٤٥٩ - ١٤٦٣

(٤) التجارة في ١٣ ديسمبر ١٨٧٨

على الوقائع المصرية حق الإشراف على الصحف والمطبوعات الأهلية (١) وذلك خلاف المطبوعات الفرنجية، وفي ذلك شككت الصحف « من التناقض والتخالف بين إدارة المطبوعات والإدارة الوطنية فإنهما على طرفي نقيض في معاملة الجرائد تلك تطلق لها العنان ولا تعارضها في ما تقول، والثانية تقف لورياتنا القساممة بخدمة الوطن » (٢) وهي حالة شاذة « بخلاف ما عليه في الدولة العثمانية وسائر الدول في العالم المتمدن » (٣)

ولم يكن الترخيص بإصدار الصحف أمراً هيناً، فقد كان على الراغب في إصدار صحيفة من رعايا الدول أن يكتب إلى قنصليته وهذه تكتب إلى مكتب الصحافة الملحق بالنظارة المختصة، وتلك بدورها تستأذن المسؤولين في ديوان الخديو (٤) ثم يعرض الأمر على ولي النعم فإذا وافق فإنما تجيز موافقته الأمر بشروط منها « أن تكون - يقصد الصحيفة - خاضعة للقانون الموضوع لهذا الشأن والمعلوم لدى نظارة الخارجية » ومن أهم هذه الشروط أن تؤخذ على طالب الترخيص التعهدات مصدقا عليها من قنصليته، وليس لأجنبي حق طلب الترخيص مباشرة كما ذكرنا وليس له أن يتصرف في طلب الترخيص الممنوح له بالبيع أو النقل إلى شخص ما إلا إذا اتبعت مع المالك الجديد نفس الإجراءات التي اتبعت مع صاحب الترخيص الأصيل (٥) وإذا أراد صاحب جريدة أن يضيف إلى جريدته مواد جديدة لم يذكرها في ترخيصه كأن يضيف إليها الشؤون السياسية وكانت من قبل خلواً منها اتبعت نفس الإجراءات التي اتبعت في طلب الترخيص حتى يبلغ الموافقة أو الرفض

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٩ في ٢٦ محرم ١٢٩٣ هـ

(٢) التجارة في ٨ يناير ١٨٧٩ . وفيها انذار من مدير الوقائع والمطبوعات

(٣) التجارة في ١٥ مايو ١٨٧٩

(٤) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣١ سجل ٥٢٥ معية تركي قسم ثان ص ١٦٤

(٥) راجع في ذلك المحفوظات التاريخية بسراي عابدين . وثيقة رقم ٦٥ و ١٠ أصلية محفوظة

٣٠ معية تركي في ٣ ذي القعدة ١٢٧٩ هـ

من الخديو نفسه . (١) وقد حفلت محفوظات عابدين التاريخية بالوثائق التي تثبت أن الخديو وحده كان يمثل قانون المطبوعات ويهيمن بنفسه على شئون الصحافة فقد طلب الخواجة « بيرينيه » أن يسمح له بإصدار جريدة للفنر وإذاعة أخبار المسارح والقهوات على ألا تتدخل في السياسة مطلقاً بيد أن « المعية » رفضت التصريح بذلك (٢) ولم يسكن في وسع أى سلطة حكومية حتى ناظر الخارجية أن تشير برأى في منح الترخيص دون الرجوع إلى الخديو ، يدلنا على ذلك وثيقة تقول بعدم الموافقة على طلب المسيو الكسندر بانوتسى بإصدار جريدة تبحث في الأدب والتشيل ، بالنظر لتغيب الجناب العالى الخديوى » (٣) . ولم تكن العلاقة معقدة هكذا بين الحكومة المصرية والصحافة الوطنية ، فكان المواطنون من أصحاب الصحف المصرية العربية يتقدمون إلى مكتب الصحافة دون وساطة أو شفاعاة يطلبون الترخيص لهم بإصدار صحفهم ويسمون طلبهم هذا « العرضحال » (٤) ولا بد أن يمر الطالب في إجراءات مماثلة لما يجرى مع أصحاب الصحف من الأجانب ، بمعنى أن الخديو وحده كان صاحب السلطان في إجازة الترخيص أو رفضه .

وقد استمر الحال على ما ذكرنا إلى أن تقررر المسئولية الوزارية وكف الخديو إسماعيل يده عن التدخل في الشؤون السياسية ، وأخذت الحكومة الشريفة في تنظيم شئون الصحافة فجعلت المطبوعات الفرنجية والعربية في إدارة واحدة (٥) وحدد هذه الشؤون قانون المطبوعات المصرى الصادر فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ مشتملا على ثلاث وعشرين مادة نشرتها الوقائع فى ٢٩ نوفمبر ١٨٨١

(١) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٣٨١ محفظة ٤٧ معية تركى فى ٦ ذى الحجة ١٢٩٢ هـ

(٢) عابدين وثيقة ١٢٨ فى ١٣ صفر ١٢٨٠ دفتر ١ ص ٦١ (٣) عابدين وثيقة ٨

فى ١٤ صفر ١٢٨٦ هـ (٤) راجع عرضحال الوطن المنشور فيها فى ١٧ نوفمبر ١٨٧٧

(٥) الهروسة فى ١٥ نوفمبر ١٨٨١

تضمنت المواد من الأولى إلى العاشرة شروط فتح مطبعة وضرورة الحصول على ترخيص بذلك مقابل دفع تأمين نقدي وفرضت على صاحب المطبعة عند قيامه بطبع أى صحيفة أن يختر إدارة المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة بعزمه على ذلك . ثم حددت أنواع المطبوعات التي ينسحب عليها القانون فذكرت أنها جميع المطبوعات أيا كان نوعها ومهما تمكن الطريقة التي استعملت في طبعها ، ولم ينس القانون أن يواجه الجزء الذي يترتب على مخالفة أحكام هذه المواد فذكر أنه الغرامة أو القفل أو المصادرة على حسب الأحوال . وفي المواد من ١١ إلى ١٦ ينتقل القانون إلى الجرائد والرسائل الدورية فينص على ضرورة الإذن بها من الحكومة قبل إصدارها كما ينص على أن هذا الإذن شخصي ويجب تجديده كلما تغير امتياز صاحب الجريدة أو النشرة أو رئيس تحريرها أو مديرها كما فرض دفع تأمين نقدي يتفاوت مقداره تبعاً لعدد مرات صدور الجريدة أو الرسالة في الأسبوع ، وأثبت حق الحكومة في تعطيل أو مصادرة أو قفل أى جريدة أو رسالة دوريه بأمر من ناظر الداخلية بعد إنذار وقرار من مجلس النظار بدون إنذار ، وذلك بغية المحافظة على النظام العام أو الآداب أو الدين ، كما أجاز الجمع بين التعطيل وبين توقيع غرامة تتراوح بين خمسة وعشرة جنيهات ، وواجه القانون الجزء الذي يحق بكل من يخالف قرار التعطيل أو يتحايل على صدور الجريدة أو الرسالة سواء كان ذلك تحت اسمها الأصيل أو تحت أى عنوان آخر فنص في هذه الحالة على عقاب كل من محررها وصاحب امتيازها وصاحب المطبعة بغرامة تتراوح بين خمسة إلى عشرين جنيهاً عن كل عدد أو صحيفة تصدر منها فضلاً عما يناله صاحب المطبعة من إلغاء رخصته وإغلاق مطبعته وتنصب المواد الأخيرة من القانون على المطبوعات والصحف التي تصدر في خارج القطر المصري فأعطت لناظر الداخلية حق منع دخول مايراه منها وقررت غرامة لكل من يدخل أو يوجد في حيازته مطبوع جرى عليه قرار المنع ، كما واجهت بعض هذه المواد مسألة لصق المطبوعات ونشرها في الميادين والشوارع وقررت منعها متى كانت

تنطوى هذه المطبوعات على أخبار سياسية وقررت غرامة لكل من يرتكب هذا الفعل مع عدم الاخلال بالمسؤولية الجنائية التي قد تنجم عن هذا العمل ، وكذلك فرضت المادة التاسعة عشر أصولا للتوزيع فنصت على ضرورة الحصول على ترخيص يعطى بالمجان لكل من يوزع كتابا أو صحيفة أو رسالة أو نقوشا ، ويعيننا من المواد الباقية المادة الثانية والعشرون التي ألغت بهذا القانون كل قانون أو لائحة أو أمر أو منشور مخالف له . ويعتبر هذا القانون صدى للقانون الفرنسى الصادر فى سنة ١٨٥٣ (١) والمتأمل فى نصوصه عكس ما احتوى عليه قانون المطبوعات الفرنسى الصادر فى سنة ١٨٨١ - يدرك مبلغ ما فيها من تزمّت وتضييق وخاصة لأنها أجازت للسلطات الإدارية حقا فى تعطيل الصحيفة على الوجه المبين فى المادة الثالثة عشر وذلك كلما كان هذا التعطيل متعلقا بمصلحة النظام العام أو الدين أو الآداب ، وهو سلاح خطر يستطيع الحاكم أن يجهز به على حياة الصحف فى كل حين ، ولن تعوزه حجة فى دفع غاشية تهدد النظام العام أو الآداب كلما تحركت به شهوة الغنى والانتقام .

وقد سجلت أحكام محكمة الاستئناف المختلطة فى هذه الفترة التى أعقبت إصدار قانون المطبوعات المصرى مبادئ قانونية نهبت الحكومة إلى التخفيف من ضغط نصوص هذا القانون ونزعت بها إلى التقليل من استعمال ما أجازته لنفسها من حق التعطيل الإدارى ، ويعتبر هذا الدور الذى لعبه القضاء المختلط تكميلا للتشريع ومصدرا من مصادر القانون (٢) إذ أن القانون ليس مراسيم تصدر بل هو مجموعة من التشريعات ثم من الأحكام العليا التى ترتبت عليه يعود إليها القضاء كلما أعوزهم تفسير أو تعليل ، وقد ترتب على ما ذكرنا أن أصدر ناظر الداخلية قرارا بتاريخ ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ (٣) فسر به بعض نصوص قانون ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ يعيننا

(١) ملخص مبادئ الصحافة العامة - لمحمد عزمى ص ٣٩

(٢) رمضان فى كتابه السابق ص ١١٠ - ١١٣

(٣) البرهان ٥ يناير ١٨٨٢

منه أنه أعفى صاحب المطبعة من إخطار نظارة الداخلية بعزمه على طبع الجريدة أو الرسالة كلما كان ميعاد صدور هذه الجريدة أو الرسالة أقل من شهر اكتفاء بالترخيص للصحيفة أو الرسالة في هذه الحالة ثم أصدرت إدارة المطبوعات في ١٧ يناير سنة ١٨٨٣ منشوراً قررت فيه جواز استبدال الضمان النقدي بكفالة شخصية في حالات معينة (١) وهذا القرار يمثل تطوراً ذا أثر فعال في زيادة النشاط الصحفي لأنه يعالج عقبة كبيرة في طريق الكشّيرين ممن تتوافر فيهم الكفاية ويعوزهم المال . وفي ١٣ نوفمبر ١٨٨٣ صدر قانون العقوبات الأهلى وقد خص الشارع جرائم النشر بباب خاص هو الباب الرابع عشر من الكتاب الثانى وحدد فيه عقوبات الصحفيين ثم عدل قانون العقوبات فى ١٤ فبراير ١٩٠٤ لسد النقص الخاص بالصحف . وقد ظل قانون المطبوعات المصرى الأول الصادر فى ١٨٨١ معمولاً به وإن أهمل تطبيقه أحياناً إلى أن فرضت الظروف على المسئولين العودة إلى قانون المطبوعات وتطبيقه على الصحافة المصرية . وقد أعيد العمل بهذا القانون فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ نتيجة للأفلاس السياسى البريطانى فى حياة المصريين وقد طبق على الصحف الحديثة وحدها ، فألزم الصحفيين الجدد بالحصول على الترخيص الذى قد يمنح وقد يمنح ، أما الصحف القديمة التى كانت قائمة فى ذلك الوقت فقد أعفيت من وجوب طلب ترخيص جديد واعتبر أن مطابعها قد دفعت التأمين الذى نص عليه القانون . وقد عدلت المادة الثالثة عشر من قانون المطبوعات وكان ينبغى أن يعرض هذا التعديل على مجلس شورى القوانين كما تقضى بذلك المادة الثامنة عشر من القانون النظامى ، كما أن عودة القانون بقرار من مجلس النظار باطل من الناحية الفقهية لأن قانون العقوبات الأهلى الصادر فى سنة ١٨٨٣ قد أفرده بأبداً لجرائم الصحافة ، ومن القواعد المعلومة فى التشريع أن كل قانون يصدر مخالفاً لقانون سبقه يجب ما يخالفه من النصوص ولو لم ينص على الغاء هذه النصوص ومع ذلك نصت المادة الخامسة والعشرون من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية على هذا المعنى ، ثم عدل قانون العقوبات فى سنة ١٩٠٤ لسد النقص فى جرائم النشر

ومعنى هذا كله أن قانون العقوبات الصادر في ١٨٨٣ والمعدل في سنة ١٩٠٤ قد
جبا قانون المطبوعات الصادر في ١٨٨١ ولا يملك مجلس النظار العودة إليه بقرار
منه لأن قرار المجلس أضعف قوة من أى قانون

ثم عقت الحكومة على العودة إلى قانون المطبوعات بسن قانون جديد يقضى
باحالة هم الصحافة إلى محاكم الجنايات وهو القانون رقم ٢٧ الصادر في ١٦ يونيه
سنة ١٩١١ وكانت من قبل تجرى محاكمتها أمام محكمة الجنح (١) وقد دعاها إلى
إجراء هذا التعديل أنها رأت الصحافة تحاكم على درجتين ابتدائية واستئنافية وفي
ذلك فرصتان للصحافة والصحفيين فضلا عن أن أحكام محاكم الجنح في جرائم النشر
كانت إذ ذلك هيئة لا ترضى رغبات السلطات التي عادت بالصحف إلى قانون
المطبوعات القديم، فرأت الحكومة إحالة هذه الجرائم إلى محاكم الجنايات إرهابا
للصحف وحرمانا لها من درجتى التقاضى حسب النظام السابق. ثم عدل قانون
العقوبات تعديلا آخر في نفس السنة (٢) وهو تعديل خاص بالاتفاقات الجنائية.
وهو يتصل بالصحافة من حيث منع نشر المرافعات في القضايا الجنائية إذ اعتبر
نشرها مضرآ بالأمن العام، ثم قرر الشارع المسؤولية الجنائية على مديري الصحف
ولو لم يتوافر فيهم القصد الجنائى، كما أضيف نص يعاقب على التهديد بالكتابة أو
القول ولو لم يكن التهديد مقرونا بطلب ما، بعد أن كان التشريع القديم لا يعاقب
إلا إذا قرن التهديد بسلب المال.

وتتابعت الأحداث السياسية على البلاد بعد الحرب العظمى إلى أن انتهت
بإعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذى قرر انتهاء الحماية البريطانية واعترف
بمصر دولة مستقلة ذات سيادة، وتبع ذلك صدور الأمر الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣
بوضع نظام دستورى للدولة المصرية قرر في المادة الخامسة عشر من الباب الثانى

(١) الرافعى - محمد فريد ص ١٨٨

(٢) هو قانون رقم ٢٨ لسنة ١٩١٠ الصادر في ١٦ يونيه ١٩١٠

الذى ينص على حقوق المصريين وواجباتهم أن الصحافة حرة في حدود القانون والرقابة على الصحف محظورة وإنذار الصحف أو وقفها أو إلغاؤها بالطريق الإداري محظور كذلك إلا إذا كان ذلك ضروريا للنظام الاجتماعي . وواضح أن هذا النص يقرر حرية الصحافة وهي أهم مظهر من مظاهر حرية الرأي التي كفلها الدستور ، وهذه الحقوق تتقرر للصحافة المصرية للمرة الأولى فلم يعترف لها تشريع سابق من التشريعات التي مرت بنا بحق الحرية أو الحماية ضد عسف الحكام ونزواتهم ، بيد أن المشرع ما علم أن استطراد في نهاية النص فأجاز الرقابة والإنذار والوقف والإلغاء بالطريق الإداري إذا كان ضروريا لوقاية النظام الاجتماعي ، فكان المشروع سلب باليسار ما أعطاه للصحافة بالبين . وقد حاول أحمد ذو الفقار باشا وزير الحقانية وقتئذ أن يبرر الشرط الثاني من هذه المادة وهو يحدثنا عن مذكرة الخاصة بالدستور ففسر حماية النظام الاجتماعي بالبلشفية مثلا . ونرى أنه كان في قانون العقوبات غنية عن هذا التذييل الذي زعزع المبادئ التي اشتمل عليها النص ورد الصحافة مرة أخرى إلى عهد السيطرة الفردية مما لا يجمل بمعهد يجب أن يقف فيه الدستور حائلا دون كل بطش أو إرهاب . والواقع أن هذا التذييل لم يكن من صنع لجنة الثلاثين التي وضعت نصوص الدستور ، فقد جاء نص المادة الخامسة عشر كما صاغته هذه اللجنة خلواً من كل قيد أو استثناء مبدأ عدم جواز تعطيل أو وقف أو إلغاء الصحف بل تقرر هذا المبدأ للصحف بصفة مطلقة وغير معاق على شرط ولكن أبت التعديلات التي أدخلت على مشروع لجنة الثلاثين إلا أن تتناول فيما تناولته هذا النص فاقترحت به هذا التعقيب الذي نسخ مفعول النص ولو أنه عن قصد . وقد يكون من واجب الحكومة المصرية تدبير الحماية الكافية للمباعدة بين المجتمع وبين الاتجاهات البلشفية أو غيرها ، بيد أن وسيلة ذلك لا تكون في تمكين الحاكم من رقاب الصحف وإلا كان ذلك قتلا لحرية الرأي وخنقا لنشاط الفكر والقول ، ولا ينبغي أن ننسى أن المشرع قد كفل للحكومة حقوقها جميعا في قانون العقوبات يحمي النظام العام والسكان الاجتماعي ويدبرأ عن الدولة أخطار المذاهب التي تخافها

الحكومة المصرية ، وهنا يكون المهيمن على تطبيق الجزاء ضمير القاضى وهو على
أى حال أمتنع على الهوى من ضمير الحاكم . ومما تجدر ملاحظته أن جميع الدساتير
الأوربية الحرة التى أخذ عنها الدستور المصرى قد تجردت من هذا الاستثناء الذى
تعلق به مشرعنا ، ففى أوربا الديموقراطية تكتب الصحف ما تريد وتنشر ما يروقها
من المبادئ والدعايات ، ولا تستطيع يد الحكومة أن تبطش بها إلا إذا ساقتها
إلى ساحات المحاكم وثبت عليها خروجها على القانون والحدود المرسومة له ،
وما ذلك كله إلا مبالغة فى حماية حرية الصحافة وعصمة حرية الفكر من نزوات
البطش والطغيان .

وقد صاحب صدور الدستور مشروع قانون المطبوعات ظل مشروعاً من
سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٣١ وقضى هذا المشروع بأن يكون صدور الصحيفة خاضعاً
لمبدأ الإخطار وكان هذا الإخطار مقيداً بفترة ثلاثين يوماً إذا انتهت دون معارضة
من الحكومة ملك صاحب الإخطار إصدار الصحيفة دون إذن بذلك ، وإذا
عارضت الحكومة فى صدور الصحيفة خلال الثلاثين يوماً التالية ليوم تقديم
الإخطار رجع صاحب الإخطار إلى المحاكم يقاضى الحكومة ولو بالتعويض على
الأقل ، وفرض هذا المشروع شروطاً فى رئيس التحرير ورؤساء أقسام التحرير
فى الصحافة العربية تتصل بكفائتهم العلمية وتجاربهم الصحفية وسنهم وألا تكون
قد صدرت ضدهم أحكام مخلة بالشرف أو بالإفلاس أو بالفصل الإدارى من
وظيفة عامة أو الشطب من جداول المهن الحرة كما نص مشروع القانون على ضمانه
مالية للجرائد اليومية تختلف بعض الشيء عن المجلات ، وبقي هذا المشروع معطلاً
حتى جاء دستور ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٠ فأثبت من جديد نص المادة
الخامسة عشرة فى دستور ١٩٢٣ بحذفها وما انطوت عليه من التذييل المغيب
الذى أسلفنا ذكره ؛ غير أنه لما كان روح الدستور يرمى إلى الضغط على الحريات
العامة التى تقررت فى دستور ١٩٢٣ فقد لجأت الحكومة - برغم احتفاظ
الدستور الجديد بنفس النص - إلى تعديل نصوص الباب الرابع عشر

في قانون العقوبات الصادر في سنة ١٩٠٤ وهو البسبب الذي تناول العقاب على الجنح التي تقع بواسطة الصحف وغيرها من طرق النشر ، وكذلك البسبب السابع من انكتاب الثالث من القانون المذكور بشأن القذف والسب وصادر بهذا التعديل مرسوم بقانون في ١٨ يونية ١٩٣١ وقد عدل المشرع نصوص المواد من ١٤٨ إلى ١٦٨ كما أضاف إليها بعض الأحكام الجديدة . وقد رمى المشرع بهذا التعديل إلى التشديد في العقاب المقرر للجنح وجرائم القذف والسب الأمر الذي يعرض - في رأيه - الأنظمة السياسية للفساد ويخرج بها عن الغرض المقصود منها ويجعل حرية الصحافة ذاتها في خطر ، وأنه بمقتضى هذا التعديل يمكن تعطيل الجريدة بالطريق الإداري ثم إحالتها إلى المحاكمة حتى لا تستطيع التعريض بالأسباب التي من أجلها أحيلت إلى القضاء ، وهذا التدبير إنما اتخذ في التعديل الأخير ضماناً لاحترام القضاء الجنائي .

والقانون الذي يحكم الصحافة في الوقت الحاضر هو قانون المطبوعات رقم ٢٠ لسنة ١٩٣٦ ولسكى نتعرف على أهم القواعد التي اشتمل عليها هذا القانون لا بد أن نربط بينه وبين قانون آخر للمطبوعات وهو القانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٣١ (١) وأول ما يطالعنا في قانون سنة ١٩٣٦ أنه ألغى ضرورة الحصول على ترخيص أو ضمانة مالية لفتح مطبعة كما كان يشترط قانون ١٨٨١ وأكتفى باخطار الحكومة ثم تقديم بعض النسخ من كل مطبوع قبل التوزيع وكذلك الحال فيما يختص باصدار الجريدة فهو كقانون سنة ١٩٣١ وعلى خلاف قانون ١٨٨١ يكتفى باخطار المحافظة أو المديرية مع تقديم بيانات خاصة عن أصحاب الجريدة أو محرريها أو ناشرها والمطبعة التي تطبع فيها وغير ذلك ، كما تضمن بعض الاجراءات الخاصة بهذا الاخطار كحق صاحب الجريدة في اصدارها بعد شهر من يوم اخطار المحافظة أو المديرية مالم تسكن هناك معارضة من جانب السلطة المختصة في خلال هذا الشهر

(١) انظر قانون العقوبات (السعيد مصطفى السيد)

وكاعتبار هذا الاخطار كأن لم يكن اذا لم تصدر الجريدة في ظرف الشهر الثلاثة التالية للاخطار كما وضعت بعض الأحكام الأخرى التفصيلية التي لا تختلف في جوهرها عن قانون سنة ١٩٣١ وان اختلف القانون في هذه البيانات التفصيلية أشد الاختلاف مع قانون سنة ١٨٨١ الذي كان ينص صراحة على ضرورة الحصول على الترخيص ولم يكن يتضمن شيئاً عن نظام همدور الجريدة . وقد عدل قانون ١٩٣٦ الشروط الواجب توافرها في رئيس التحرير أو رؤساء أقسام التحرير فرفع شرط عدم الحكم في جنابة على إطلاق التعبير ونص على عدم الحكم في جنابة عادية وأخرج جنابة العيب في الذات الملكية لأنها جنابة سياسية ورفع شرط عدم الحكم مرتين في قذف وشرط عدم الفصل إدارياً من وظيفة عامة وشرط الشطب من جدول مهنة حرة وعدم الجمع بين عضوية البرلمان والصحافة كما أن القانون أجاز ضمان الكفيل ولم يفرض الكفالة النقدية التي تتراوح بين ثلاثمائة ومائة وخمسين جنيهاً والتي نص عليها قانون سنة ١٩٣١ وإنما ترك لطالب الترخيص اختيار ما يرتضيه من الواسيلتين . وقد تضمن قانون سنة ١٩٣٦ حكماً هاماً وهو إلغاء النص الذي كان يقضى به قانون ١٩٣١ وهو حق إلغاء الجريدة أو إقفال المطبعة بالطريق الإداري وأصبح هذا المنع الإداري مقصوراً على المطبوعات الواردة من الخارج والتي من شأنها أن تسيء إلى النظام العام أو المطبوعات المثيرة للشهوات أو المطبوعات التي تتعرض للأديان أو ما يكدر السلم العام ولا يكون هذا المنع على أي حال الا بقرار من مجلس الوزراء . أما الجرائد التي تصدر في مصر بلغة أجنبية ولا يكون رئيس تحريرها أو محرورها المسؤولون خاضعين لاختصاص المحاكم الأهلية فقد نص قانون ١٩٣٦ على حق مجلس الوزراء في تعطيلها بعد انذار يوجه إليها وزير الداخلية أو بدون إنذار سابق ، وقد ألغى هذا النص بعد توحيد قانون العقوبات . وابتداء من ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٧ وكأثر من آثار إلغاء الامتيازات الأجنبية أصبح قانون العقوبات الذي تطبقه المحاكم الأهلية هو عينه الذي يطبقه المحاكم

المختلطة ولم يعد لينا سوي قانون واحد للعقوبات وهو القانون رقم ٥٨ سنة ١٩٣٧ (١) الذي اعتمد في أساسه على قانون العقوبات الأهل القديم الصادر في سنة ١٩٠٤ ومع ما لازمه على مر السنوات وتحت الظروف المختلفة من التعديلات والإضافات ، ويهمننا من أمر هذا القانون الجديد أن المواد التي تعرضت منه للجرائم التي تقع بواسطة الصحف وغيرها من طرق النشر وهي الواردة تحت الباب الرابع عشر من الكتاب الثاني وكذلك المواد التي تعرضت للقذف والسب وإفشاء الأسرار وهي الواردة في الباب السابع من الكتاب الثالث أصبحت سارية المفعول على المصريين والأجانب وتطبق أمام المحاكم الأهلية والمختلطة على السواء .

وكان آخر ما اتصل بشئون التشريع الصحفي قانون نقابة الصحفيين وهي فكرة قديمة حاولها العاملون في الصحافة الفرنسية في مصر منذ خمسين سنة وكانت فكرتهم تتميز بطابعها الأجنبي ، فقد أرادوا منها قوة تعيش في ظل الامتيازات الأجنبية وتحول دون بطش الحكومة المصرية بهم ، ثم وجدت نقابة مصرية في سنة ١٩٢٠ بيد أنها مضت متعثرة يغلب فيها اعتبار أصحاب الصحف واعتبار الامتيازات الخاصة بهم دون التفكير في أرباب الأجور العاملين فيها (٢) وقد روعى هذا الروح في قانون « جماعة الصحافة » الذي صدر به مرسوم في سنة ١٩٣٦ غير أن هذا القانون بقي معطلا ولم يعمل به ولم تجرؤ حكومة من الحكومات المصرية على تعيين مجلس الإدارة الأول وظلت أمور الصحافة على شيء من الفوضى إلى أن صدر قانون « نقابة الصحفيين » وعمل به سنة ١٩٤١ (٣) ويشبه هذا القانون في كثير من النواحي أحدث نقابات الصحافة في العالم . وأهم ما جاء في هذا القانون أنه خالف جميع المحاولات السابقة التي صدرت عن الجهود الخاصة أو النشريات الحكومية فانتقل بنا من اعتبار الصحيفة وامتيازاتها إلى اعتبار وتقدير العاملين فيها وحقوقهم

(١) قانون العقوبات المصري الجديد — السعيد ومصطفى السعيد

(٢) ملخص مبادئ الصحافة العامة ص ١١٠ — ١١١

(٣) الوقائع المصرية في ٣ أبريل ١٩٤١

والتزاماتهم فسمى جماعتهم « نقابة الصحفيين » وهو يجمع في الصحافة بين ملاك الصحف والمحررين فلا يجعل منهما طائفتين متنافرتين بل يعمل على تضامن عناصر الطائفة العامة في الصحافة وتقرير قواعد مزاولتها في لون من ألوان الاحتراف ويسهر القانون على بيان العادات المرعية في أسمى معاني المهنة الصحفية بدل أن يترك أمرها فوضى من غير ضابط ولا وازع وذلك أمر يدعم الصحافة ويؤكد تقاليدها ثم يعنى الشارح بعقد استخدام الصحفيين والتعويضات التي تستحق لهم عند فسخه فيحميمهم من استبدال أصحاب الصحف وكذلك ينظم تسوية المنازعات التي تنشأ بين النقابة أو بينهم وبين غيرهم ثم ينشئ لهم صندوق ادخار يقي الأعضاء العوز والفاقة عند الكبر أو العجز عن العمل . وقد مضت المادة الثالثة من قانون نقابة الصحفيين تحدد أغراض النقابة ومن أهمها العمل على صيانة حقوق الصحفيين وتحديد حقوقهم وتنظيم علاقة الصحافة مع الحكومة والجمهور وسن القواعد المنظمة لمزاولة المهنة وبيان العادات المرعية فيها وتوقيع الجزاء على المخالفين لمبادئ مهنة الصحافة ولوائحها وعاداتها المرعية ثم العمل على تكريم الصحافة وإعلاء شأنها بين الجماعة المصرية كما فرض القانون على النقابة أن تبتعد عن المسائل السياسية والدينية . وقرر القانون حقوقاً للصحفيين أهمها حصر لقب الصحفي في أعضاء النقابة وتوقيع العقاب على من يدعى هذا اللقب كما جاء ذلك في المادة الثمانية والعشرين ، وأعطى القانون أعضاء النقابة مزايا كثيرة قررتها المادة الثالثة والعشرون فذكرت أن « لأعضاء النقابة وخدم حق الانتفاع بالمزايا والمنح التي تمنحها السلطات العامة بقصد تسهيل مزاولة المهنة كتذاكر الانتقال والمرور ، والشروط الخاصة فيما يتعلق بأعمال البريد والتلغرافات والتليفونات والسكك الحديدية وتعطى وزارة الداخلية تذكرة إثبات شخصية خاصة لجميع أعضاء النقابة » وذلك بجانب بعض المزايا الأخرى الحاصلة فعلا وإن لم تنص المادة عليها كالامتياز الجمركي بجانب امتياز أجور البريد وهو امتياز قديم منذ سنة ١٨٦٩ . وتعتبر نقابة الصحفيين التي صدر بها القانون في سنة ١٩٤١ آخر مجهودات الحكومة في تنظيم مسائل الصحافة

مراجع البحث

١ - وثائق لم تنشر (اكتفينا بالاشارة إليها في الهوامش)

٢ - كتب عربية ومعربة

- ابراهيم عبده
تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية
سنة ١٧٩٨ - ١٨٠١ القاهرة ١٩٤١
- ابراهيم عبده
تاريخ الوقائع المصرية ١٨٢٨-١٩٤٢ القاهرة ١٩٤٢
- أحمد شفيق باشا
مذكراتي في نصف قرن . القاهرة . الطبعة الأولى
- أحمد عزت عبد الكريم
تاريخ التعليم في عصر محمد علي . القاهرة ١٩٣٨
- أحمد محمد حسن بك
مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها في مصر جزءان
في ١٩٢٦
- آدمس (تشارلز)
الإسلام والتجديد في مصر . ترجمة عباس محمود
جزءان في ١٩٢٦ القاهرة الطبعة الأولى
- اسماعيل سرهنك
حقائق الأخبار عن دول البحار الجزء الثاني طبعة ١٣١٢ هـ
- الجبرتي (الشيخ عبدالرحمن)
عجائب الآثار في التراجم والأخبار . أربعة أجزاء
القاهرة ١٣٢٢ هـ
- السعيد مصطفى السعيد
قانون العقوبات المصري ١٩٣٧
- الشدياق (أحمد فارس)
الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف الخبأ عن
فنون أوروبا . القسطنطينية ١٢٩٩ هـ
- أمين باشا سامي
تقويم النيل الجزءان الثاني والثالث ، القاهرة ١٩٢٨
و ١٩٢٦
- بلنت
التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر ، ترجمة البلاغ
الطبعة الأولى

- كرايبتس (بيير) إسماعيل المفترى عليه ، ترجمة صروف الطبعة الأولى
محمد مختار التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين
الافرنجية والقبطية طبعة ١٨٩٣
محمود رشيد رضا . تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (ثلاثة أجزاء)
مطبوعة المنار ١٣٤٢ هـ
محمود عزمى مبادئ الصحافة القاهرة ١٩٤١
مصطفى محمد الفلسكى النتيجة المستحسنة لحساب مائة سنة طبعة ١٨٩٥
ومحمد نجيب هانس ررنر مصر في عهد الاحتلال الانكليزي ، طبعة ١٨٩٧
يوسف محمد دسوقي في الصحافة مطبعة جريدة الصباح
ومحمد كامل دسوقي

٣ - مخطوطات

- السيد صالح مجدى بك حلية الزمن في وصف مناقب خادم الوطن
(مخطوط) بدار السكتب المصرية ١٣٩٠ هـ

مقالات في صحف ومجلات

- مجلة الشباب في سنة ١٩٢٦
مجلة الهلال العدد الأول من السنة الأولى - الجرائد العربية في العالم
مجلة الهلال العدد الثامن من السنة الثانية عشر - تاريخ النهضة الصحافية
في اللغة العربية
مجلة الأجيال في ٢٦ حزيران سنة ١٨٩٧ (الصحافة في القطر المصري)
مجلة المشرق السنة الثالثة ، العددان الرابع والسادس

Bibliographies ١ - كتب المراجع

- Cambridge Modern History. Vol. VIII. IX
Deny, J. Sommaire des Archives du Caire. Le Caire. 1930.
Hilmi, Ibrahim (Prince): The Literature of Egypt and the Sudan
from the earliest times. 2 Vols. London 1896.
Maunier, R. Bibliographie Economique, Juridique et Sociale de
L'Egypte Moderne (1798-1916) Le Caire, 1918.

٢ - رثائق مطبوعة

- Blue Books 1870-1914.
Correspondance de Napoléon Ier T. IV - V. Paris M D C C E L X
Despatches on Egypt By the Consul of the United States. Palais
d'Abdine.
Keller, A. Correspondance, Bulletins et Ordres du Jour de
Napoléon T. IV.
Législation Ottomane T. III. N 25/1 أوشيف الخارجية
Livres Jaunes 1870-1914
Sachot. A & M, Victor Duruy. L'Instruction Publique en
Egypte. 1868.
Parliamentary Debates 1806 - 1882 (Cobbet's and Hansard's
Parliamentary History of England)

٣ - رثائق لم تطبع

- Diplomatic Documents Concerning affairs of Egypt, Sc. Soc. T. 1
N 679. The Egyptian Library.

٤ - الكتب

- Baignières. L'Egypte Satirique, 1896.
Blunt, W.S. My Diaries. London. 1919-1920
Bowring. Report on Egypt and Candia. London 1840
Bréhier. L'Egypte de 1798 - 1900 Paris 1900
Charles. - Roux Bonaparte Gouverneur d'Egypte. paris 1936.

- Clot, A. B. Aperçu général sur l'Egypte, Paris 1840.
- Cromer. Modern Egypt. 2. Vol. 1908.
- De Freyçinet. La Question d'Egypte. Paris 2e Edition.
- De La Roque. Voyage au Liban et Syrie. Paris 1716.
- De Lesseps. F. Lettres, Journal et Documents pour servir à l'histoire
du Canal de Suez. 2 Vol. 1875
- Douin. Histoire du Règne du Khédivé Ismail. 6 V. 1933-1941.
- Douin. La Mission du Baron De Boislecomte. L'Egypte et la Syrie
en 1833.
- Galal. K. E. Entstehung Und Entwicklung der Tagespresse in
Agypten. Limburg 1939.
- Hartmann. M. The Arabic Press of Egypt 1899.
- Huart, C. La Littérature Arabe. Paris 1902
- Kyriacos Michael. Copts and Moslems Under British Control.
London 1911.
- Le Groupe D'Etudes de l'Is'am. L'Egypte Indépendante, Le Caire 1937
- Lloyd. Egypt Since Cromer. 2 Vol 1933.
- Mahmoud Fouad. Le Régime De La Presse En Egypte. Paris 1912
- Merruau L'Egypte Contemporaine Paris 1855.
- Munier : La Presse En Egypte (1799-1900) Notes et Souvenirs 1930
- Ninet, J. Arabi Pacha. Paris 1884.
- Ramadan, A M.S. Evolution De La Législation Sur La Presse en
Egypte Paris 1935.
- Rigault, G. Le Général Abdallah Menou et La Dernière Phase de
L'Expédition d'Egypte. Paris 1911.
- Rousseau. M F. Kléber et Ménou en Egypte depuis le depart de
Bonaparte (Août 1799-Septembre 1801) Paris 1900
- Sabry, M. La Genèse de l'Esprit National Egyptien. Paris 1934
- Weill, G. Le Journal, Origines. Evolution et Rôle de La Presse
Périodique. Paris 1934.
- Youug, G. Egypt. London 1937.

٥ — الدوريات

- Annuaire de La République Française l'AN. VII. Le Caire AN VIII.
La Décade Dgyptienne 1798—1801.
Le Courrier de l'Égypte. 1798—1801.
Le Progrès Egyptien. 1869—1878
L'Impartial d'Égypte 1868.
Le Journal Officiel. 1885—1942.
Le Moniteur Egyptien 1933.
Le Moniteur Egyptien 1874—1884.

٦ — مقالات في المجلات العلمية

- Artin, Y. Pacha. Etude Statistique sur La Presse Egyptienne. Bulletin de l'Institut Egyptien 1905.
Belin, M. Notice Nécrologique et Littéraire Sur N.J.J. Marcel
Journal Asiatique 5^e serie, Tome 111, 1854.
Bonola, F. Una Visita a Mohemmed Ali nel 1822. La prima Stamperia et il primo giornale. Revue internationale d'Égypte 11ⁿ° octobre 1905.
Canivet, R. C. L'Expédition d'Égypte. La Revue International. d'Égypte. 1906.
Canivet, R.C. L'Imprimerie de l'Expédition d'Égypte. Les Journaux et les Procès-Verbaux de l'Institut (1798 — 1800) Bulletin de l'Institut Egyptien 3^o série. Tome 111 Fasc. 1-2. 1909.
Geiss. M. A. Histoire de l'Imprimerie en Égypte. Bulletin de l'Institut Egyptien 5^o Série Tome 1. 1907.
Reinaud. De La Gazette Arabe Turque imprimée en Égypte. Journal Asiatique 2^o Serie Tome VIII 1831.

الصحف العربية التي صدرت أو أذن لها بالصدور
في القطر المصري

من سنة ١٨٠٠ - ١٨٨١

التنبيه ١٨٠٠ . جرنال الخديو حوالى ١٨٢٢ . الوقائع المصرية ١٨٢٨ . الجريدة
العسكرية ١٨٣٣ . الجريدة التجارية الزراعية (الجرنال الجمعى) ١٨٤٧ . جريدة
السلطنة العسكرية ١٨٥٧ . مجلة يعسوب الطب ١٨٦٥ . الجريدة العسكرية
المصرية ١٨٦٥ . وادى النيل ١٨٦٦ . نزهة الأفكار ١٨٦٩ . روضة المدارس ١٨٧٠ .
النحلة الحرة ١٨٧٠ . السكوكب الشرقى ١٨٧٢ . جريدة أركان حرب الجيش
المصرى ١٨٧٤ . روضة الأخبار ١٨٧٥ . الأهرام ١٨٧٥
١٨٧٦ شعاع السكوكب . صدى الأهرام . المنارة . صحف ١٨٧٧ مرآة الأحوال
الوقت . حقيقة الأخبار . أبونضارة . الوطن . مصر (العهد الأول) . صحف ١٨٧٨
اسكندرية . القاهرة الحرة . بستان الأخبار . التجارة . صحف ١٨٧٩ مصر القاهرة
(صدرت فى باريس) . مرآة الشرق . السكوكب المصرى . الميمون . صحف ١٨٨٠
المحروسة . العصر الجديد . صحف ١٨٨١ النجاح . الحجاز . المنتخب .
الاتحاد المصرى . المفيد . مصر (العهد الثانى) . التنكيت والتبكييت . النوادر .
توفيق . البرهان . الطائف

صحف القاهرة والأقاليم من سنة ١٨٧٢ - ١٩٣١

صحف ١٨٨٢ التيمس المصرى . الأحوال . الزمان . القسطنطينية . السفير
صحف ١٨٨٤ الأعلام . الزمان . البيان صحف ١٨٨٥ الفلاح . النشرة البريدية .
الفلاح . صحف ١٨٨٧ الآداب . الأحكام . الصحة صحف ١٨٨٨ الجريدة المصرية
النور التوفيقى . نشرة أسبوعية عن المواليد والوفيات . مكارم الأخلاق .
الرياضة المصرية المنارة . الآداب . الحقيقة . الراوى . صحف ١٨٨٩ الأمراض
المعدية . المقطم . المؤيد صحف ١٨٩٩ المحاكم . الشرق صحف ١٨٩١ صدى الشرق .

المنتخاس . القول الحق . المنار . الأسد . الشيطان . مصباح الشرق . المطالب
الحقة . المعتصم . جهينة . السودان المصرى أنيس التلهيز . الواسطة . الحروب .
الحامى . الصباح . شمس الحقيقة . المعارف الشهباء . النصيب . المرصاد .
الفلاحة المصرية . تسليمة الخواطر . اللجام . الجمعية الطبية المصرية . الرقيب .
الضياء . الموسوعات . الزمن . الفكاهة . النيل . الصادق . الانسانية . الأفكار .
الحقانية . الغزاة ، الصديق ، النشرة الادارية . شمس الحقيقة ، أبو نواس .
نبلة الفشر . صحف ١٨٩٩ سوق العصر ، البورصة المصرية ، أنين مظلوم .
الأساس : العلمى . الفوضى . الممتاز ، المستشار ، أبو الهدى ، إدريس ، روضة
البحرين ، غزل البنات ، العائلة . الآمال ، سلسلة الروايات ، الحكمة ، الشرقية .
الظهور ، المدارس ، الإرشاد ، الكوكب المصرى ، الجمعية الزراعية الخديوية ،
الواجبات ، النور ، التذكار الشهامة ، الأسد المرقسى ، مدرسة الزراعة ،
برهان الحق ، الكوكب الدرى ، الاعتدال ، الكوثر ، المرصاد ، الاخاء ، القانون
الأساسى ، الفوضى ، العرب ، الاسكندرية ، صحف ١٩٠٠ المجموعة الرسمية
للحاكم الأهلية : اللواء ، الغزاة ، الإنذار ، الانسانية ، العصر الجديد ، الخبير ،
الأسبوع ، الثمرات ، البوستة ، رائد النيل ، الدواء ، الأفكار ، العرب ، صدى
لبنان ، مكارم الأخلاق الاسلامية ، التمثيل ، المجلات العربية ، الصبوة ، نور
الاسلام ، النظارة ، المجلة المصرية . العلم العثمانى ، الخزانة ، سبيل الهدى ، النهضة
الأدبية ، الهوائى ، المصباح الجديد ، القلوبية ، البدر المنير ، القدس الشريف ،
السهم ، السعادة فى العائلة ، الصبا ، الانتقاد العام ، الخبير ، الرسول ، الدنيا
فى باريز . بوق الاصلاح ، صحف ١٩٠١ السناس ، أبو زيد . الخزان ، التهذيب ،
تحرير سوريا ، الصوت ، الصارخ . المدن ، المرأة فى الاسلام ، التعليم الابتدائى ،
شجرة الدر ، الكنيسة الأرثوذكسية ، النجاة ، المرأة ، عين شمس ، نقابة مزارعى
القطر المصرى . الابتسام . الحقيقة ، العاصمة ، الغازى ، الأمل ، الشوق المصور
صحف ١٩٠٢ السهم ، سوق العصر ، أبو زيد ، المصور ، العجائب ، العمران ،

الرشيد ، الصياد ، المقصود ، التيمس المصري ، الحقائق ، بريد الأحد . الاكسبريس
الكلمة الحرة ، الحوادث ، الفريق ، الحرية ، القول الحق ، المصور ، الطب
الحديث ، الرجاء ، الخطيب ، الشرق المصور ، طريقة المعاني ، الأمل ، العاصمة ،
الروايات الشهرية ، دليل الطلاب ، الاعلان . المأمون ، بوق القداسة صحف ١٩٠٣
الحميدى . الراوى ، الجوائب المصرية ، القاهرة . الامام . الاصلاح ، الباباغلو
المصرى ، الطغراء ، الخلاعة ، الطرائف ، ضد الخلاعة ، الخلاعة المصرية ،
الازبكية ، النيل ، السودان ، المجلة المدرسية ، الإخاء ، العلم الصناعي ، زهرة الشرق ،
عروس النيل ، صديقة الفكاكة ، السيدات والبنات ، المؤنس ، الفضيلة ، المرستان .
الواعظ ، العصر الجديد ، الجريدة الماسونية ، الظاهر ، الحوادث ، المصور ،
إحياء العلوم ، الرائد العثماني ، معين المتعلم ، المعاني ، الثبات ، جهينة ، الكلمة الحرة ،
المودة ، مسامرات النديم ، الأوقاف المصرية ، الكاروز المنير ، الزمار ، أبقراط
الطبية ، الحرية ، الصحة . صحف ١٩٠٤ . المنتزه . الفونوغراف . الانسانية ،
السياسة ، العائلة . الخافي . الاجابة ، المساواة ، المستقبل ، الواعظ ، الجاسوس ،
النادى ، الأمة الحرة ، الغرائب . سيف العدالة ، العصر العباسى ، المباحث ، الأمة
الشرقية ، المنهل ، البلاد ، نبراس المشاركة والمغاربة ، الحكمة ، الدنيا الجديدة ،
علم الشرق ، المرصاد ، الاعتدال المصري ، النافع ، لسان الأمم ، المفتخر ،
النفير ، الصعيد ، اهلوسة ، نفير الحرب ، النادى ، الهجرة ، السويسية ، الطالب ،
المنعم ، الكوكب ، الحوادث العمومية . صحف ١٩٠٥ . الارشاد ، الصحافة ،
التسكيت والتسكيت ، الحجاز ، السعيد ، المشكاة ، العالم الاسلامى ، الضحى ،
الفاروق ، الخلاعة الأصلية ، الأمير ، المفيد ، الكون ، العروة الوثقى ، الاعتدال
المصرى ، عفريت الحمار ، الحكومة ، الازبكية ، الرياضة ، المجموعة السنوية ،
الموقودة ، الدليل الصادق ، التربية . المعلم ، المعاني ، النور ، الهدى ، الجمهور ،
المساعد ، الأمة ، الكوكب ، الهداية ، الماسونية ، المجلة التعليمية ، الهدى ،
صحف ١٩٠٦ الصائح ، الراية العثمانية ، الأمة ، الخطيب ، الكلمة الحقة ، المعرض

المنير ، الأستانة ، الانتباه ، كشف الخفايا ، الحرمين ، حقائق الشرق ، الشورى ،
السكرتير المصرى ، الشتاء ، المجلة العثمانية ، المهمل الصافى ، الأفلام ، رجوع الصدى ،
سمير النديم . الحكومة . السكوثر . الجريدة الأسبوعية ، الحقيقة . النصائح .
الارشاد ، الإنسانية ، نهضة الإخاء . المقتبس . نزاع سيدنا يسوع . عفريت الخمار ،
العلوم ، صحف ١٩٠٧ البورصة ، الدنيا الجديدة ، الحق الصراح ، الشورى ،
الشرق ، هاهاها ، الجريدة ، التمساح ، الديك ، مرآة تركيا ، السبعة وذهبتها ، الأسد
الإسلامى ، خيال الظل ، الجامعة المصرية ، السياسة المصنوعة ، الدستور ،
سمير الشبان ، الأيمان ، الصدق العثماني ، الصراط ، الأزهر المعمور ، الانسان ،
ضياء الألعاب ، الحرمين ، الأظهار ، الصوت الصارخ ، طريق الحياة ، الهدية الوطنية ،
الجهاد ، صحف ١٩٠٨ ، النهضة ، الجريدة الأسبوعية ، الأستاذ ، ضياء الشرق ،
العزیز ، الأقدام ، عفريت المقاولين ، الحق الصراح ، البستان ، الحكومة ،
الانسانية ، القطر المصرى ، الجهاد ، المصباح ، المباحث السياسية ، الولاء ، الأحوال ،
الرعد ، عصر الحديد ، المباحث السياسية (مصورة) ، مجلة الأعمال اليدوية
للسيدات ، مصر الفتاة ، الطلبة ، الفضيلة . حامل النور . القضاء والبوايس المصرى ،
البستان الزاهر ، الشعب القبلى - صدق الاخاء - التذكرة - العرش الأبيض -
القرطاس - المنتقد - الحكومة - الفكاهات العصرية - اللباب - حدائق الظاهر -
الأسماء - الشعب المصرى - الزهرة - الكاشف - العزيز - النهضة - الأسد الاسلامى
الزار - الجسمانية - البلاغ المصرى - السلام الخطيب - البجمع - الراوى القبلى -
رسالة الشمس - نادى دار العلوم - العدل - الأحرار - الريحانة
صحف ١٩٠٩ الظهور - المقطم الأسبوعى - الاستقامة - البهلول - النظام -
الخطيب - حذام المسامير - الأقباط الكاثوليك - الآمال - اللواء - المصور -
الشجاعة - البشائر - المؤيد الوطنى - السامى - الولاء - العلم العثماني - البرنيسيس -
الرقى الاسلامى - الطلبة - الأعمال اليدوية للسيدات - الأستاذ - مرشد الأطفال -
الولاء - الساروخ - حديقة الروايات - نور المشرق - القبلة - السامى

صحف ١٩١٠ الآداب - الكائنات - العلم - الشعب - الاستقلال - السلام -
السيف - البلاغ المصرى ، مجلة الصحة . النصيحة ، الترقى ، العفاف ، الاخاء
صحف ١٩١١ الجوهر الساطع ، صحائف الحق ، أبو الهول . الشعب .
المعتدل . الارشاد . الرقيب . السكوكب

صحف ١٩١٢ الاحصائية الزراعية الاقتصادية . جمعية النهضة الأدبية .
إحصائية شهرية لمحصول القطن . الدلتا . صحف ١٩١٣ عكاظ . الاقدام .
الشرائع . صحف ١٩١٤ أقرانى . المجلة المصورة . الكشكول . النجمة المصرية .
المشرق . الثمرات . ملحق المقطم المصور . النصر . المحاكم الأهلية . النداء .
صحف ١٩١٥ اللطائف المصورة . الوطنية . السفور . صحف ١٩١٦ الاصلاح
صحف ١٩١٧ السكوكب . المرأة . الحال . الشرقيه . الصبوة . الصبا .

صحف ١٩١٨ الشباب . جريدة فلسطين . المنبر صحف ١٩١٩ الاخبار
(أسبوعى) . النظام . الافكار . الزراعة . مفتاح الاصلاح . الوفد المصرى .
اللسان . عصفور الليل . الحاوى . الرعد المصرى . البلابل . روضة البحرين .
المقص . المصارحات

صحف ١٩٢٠ المرزية . الطلبة . الخزوق . الاخبار . إسرائيل الزمان .
الصنف . النشرة الاقتصادية المصرية . الحقائق . النسر المصرى . أبو الهول .
الساعة . صحف ١٩٢١ النيل المصرى . الاخبار الماسونية . الوجديت . الصباح
المرصد . الضحك . الفضائل . سفينة الاخبار . المؤدب . الصحيفة . الساعة
(مصورة) . النيل . الديك . الاستقلال . البشير . الكشكول المصور . إياك .
السمير المصور . النهضة النسائية . الراوى : المعلقات . اللواء المصرى

صحف ١٩٢٢ قصر النيل . الرجاء . العالمين : القصص : شمس النيل : النشرة
المصورة : الصباح : الاحوال : مجلة الشرق الطبية الجديدة : النهضة المصرية :
السياسة : الدستور : المحاسن المصورة . الابتسام : الحركة التجارية . شجرة الدر

صحف ١٩٢٣ البرلمان : البلاغ : الاولاد : الفلك : الحضارة المصرية . عاصمة الشرق . البنات : الالعب الرياضية : الرشيد . السداد ، الجمهور سمير الافكار . الحوادث . المصورة . النفير . الكمال

صحف ١٩٢٤ السباق : بريد المحاكم : الصحيفة المدرسية : التمثيل : المقرعة : مجلة النهضة الاكاديمية : الاتحاد الاسرائيلي : الجرس . لسان الشعب . الزراعة الحديثة . الشرق الجديد . القاهرة : سمير فنية مصر الفتاة : التوفيق : مصر الجديدة العناية ، المنيا ، المنطق ، رحلة البحيره ، الحق المنتظر ، السلام ، خيال الظل ، السمر الفنون ، الناس ، ملحق البلاغ المصور ، المطرقة ، نشرة الأزهر ، المرأة الجديدة ، التضامن ، الجريدة المصورة . ميمون . أبو قردان . عظمة الشرق . البهيح ، كوكب الشرق . الشيوخ . الحوادث . الرشاد . النونو ، النوبة ، الشورى المصور . السودان المصري . الحياة الجديدة . العفريت . البغبغان : العصر الجديد . الوادي الفيوم : نهر النيل . السويس ، الثغر الشرقي

صحف ١٩٢٥ الوسيط ، الفجر ، العلم المصري ، الاتحاد ، الكناشة ، الأجيال ، تاريخ الحوادث ، الاخلاص ، العهد ، العروسة ، الاستقلال المصري ، الميكروسكوب ، الهادي ، الوطنية المصرية ، صحيفة الاعلانات ، الزغلول ، اللواء المصري والأخبار : قتي الشرق ، الطائف المصور ، الميكروسكوب المصور ، المرشد . الأمل ، كل شيء . : ١٠٠٠ صنف : الاطفال المصورة ، الحضارة المصرية ، المنصورة ، المحكمة ، المحمودية ، منبر الشرقية ، الوقت ، البريد

صحف ١٩٢٦ الألعاب . الغول . المنهاج . الدفاع الوطني . السياسة الأسبوعية العلم . الأسبوع . العالم . الفتح . الشيطان . المعرض . النواب . الصادرات والواردات التصوير النفسى - أبوشادوف - النذير - مسامرات الاطفال المصورة - الوجدان القلم - أولمبيا السينما توغرافية - البلاغ الأسبوعي - طنطا - الشعب المصري - الواجب - النسر الدهرى

صحف ١٩٢٧ كلية الآداب والعلوم - صدى الحق - الفلسفة - الأتوموبيل -
الفنان - المدفع - المخادنة - الأمانى القومية - الظاهر - الكشاف - النور - النجمة
الزهراء - المستقبل - الأحوال - الأفلام - المسامرات - مسامرات عزمى - شمس
الكمال - الأخلاق

صحف ١٩٢٨ الصور الاجتماعية - المستقبل الرياضى - الأقاليم - النجاة -
رياض الشرق - بنها - الوفاق - الأسعار - السمر
صحف ١٩٢٩ مانس - المحكمة - النشر القضائى - المحروسة المصورة - النظام -
الدنيا المصورة - الصرخة - ابن البلد - الثبات - الروضة - جريدة الأمين - المدنية .
صحف ١٩٣٠ الفضيلة - الرياضى - المجلة الفنية - لواء الشرق - روح العصر -
الحضارة المصرية - الوطن الشهرية - الوطن الأسبوعية - الفاروق - خربجى دار
العلوم - الأمواج العواصف - المجلة العلمية - الأمة - ديمون - المرشد المدرسى -
الكواكب - الأعلام - المسارح - المجلة الموسيقية - البحيرة - العزميات - النهضة
المصورة - السيف - الصفاء - الانسانية - لسان الشعب - أنا وانت - الطائر - الملاك -
الصلاح - المفكر - القطرين - الجنس - الصواعق - الأنوار - العجلة - المضمار
الرياضى - الثروة - البركان - النسر - الأهرام - العدل - الضحوك المصور - المجلة الاقتصادية المصرية -
صدى الأهرام - الاستقلال - العدل - الضحوك المصور - المجلة الاقتصادية المصرية -
الباحث - الانذار - عصفور النيل - العالم الروحى الجديد - الناصح - الأخبار
الماسونية - التيارات - انصاف العامل - البغبغان - الغربية - المعهد - شمس المعارف -
تاج المعارف - الحظ - الراعى الصالح - نور الإسلام - الجهاد الأدبى - الاخلاص .
الخبراء - النفس البريئة - لسان العرب - حرية الشعوب - أسيوط - الرشديات .
النبراس - الأمم - القرن العشرين - البوق القبلى - الرضا - الفنار - البلاج .
الملاكم - النادى - الاخلاص المصرى - المصلح - الغرف التجارية - المؤيد الجديد .
الضحى - المنبر - القليوبية - بنات النيل - المدن - المبتكر - النشرة الشهرية لشركة
القديس منصور دى بول - البصير - الميزان - رسالة القديسة تريزا الطفل يسوع .

المرقيب . الأنيس . العلوم الطبيعية . بحر يوسف . الأخبصار . الفيوم . المرأة .
نهضة الفكرية . الفلاح . بريد العاصمة . عنوان السلام . القاهرة المصورة .
المنزلة . أبو الهول الأسبوعي . على عيني . القصص . العفريت . التاج . البشري .
لواء السلام . بريد الصباح . الوادي . الأرياف . السحاب . روضة المعارف .
المصري . صوت مصر . التجديد . الهدير . حوش عيسى . الإدارة والبوليس
القضائي . مصر الاقتصادية . حنفي عامر . الجامعة . كوكب السينما . أنت وهو .
زقزوق وظريفة . نهضة مصر . مسامرات كامل . البورصة . العواطف .
الستار . الأرواح . الشعب . المدرسة والحياة . المجلة الكيميائية المصرية .
مسامرات انيس الجلوس . الشيخ . السندباد البري . الإبحارات . المصور الفني
الرياضي . الزمن . النهضة القومية

صحف ١٩٣١ الأحرار الدستوريون . الشمس المنيرة . الاستقلال العربي .
نشرة المعرض . الأمير . المعرفة . الراديو . الاعلانات المنزلية . نهضة مصر .
مفيس الجديدة . الفتح والنصر . الحقيقة . الجمهور المصري . الجورنال .
الزهور اليانعة . إسلامي دنيا . الشرائع . القانون والاقتصاد . الفردوس الزاهي .
الخواطر الحديثة . نقد التشريع والقضاء . النصوص . العائلة . المعلومات .
صديق الشعب . الدولة الاسبوعية . المسرح المصري . المختار . العزيبات .
البوليس السري . البهاء . الطب الحديث . الظريف . الاحد المصور .
الراوي الجديد . رسمي . رقي المعارف . الميزان . الدقهلية . المفيد . الطلبة .
التجارة . الفصول . القتال . عالم الطفولة . السمر . الكشافة الاسلامية .
العلم الاخضر . الرياضيين . الدولة . الملاهي المصورة . القادسية . الشفق .
النهضة . دليل الملاهي

الصحف التي صدرت أو أذن لها بالصدور في الاسكندرية

صحف ١٨٨٢ الاحوال . الاعتدال . روضة الاسكندرية . صحف ١٨٨٧

البيضاء صحف ١٨٨٨ المنارة . الحقيقة صحف ١٨٩٢ السرور صحف ١٨٩٣

فرصة الاوقات صحف ١٨٩٤ المتحف . لسان العرب . النور العباسي . المشير .
صحف ١٨٩٥ السباق . المغربي العثماني . حظ الحياة . في الطريق . أبو النواس .
المرسى . صحف ١٨٩٦ الرفيق . العباس . السكر باج والعفريت . الاعلانات .
فصل الخطاب . الادب . صحف ١٨٩٧ المأمون . البصير . التجارة . صحف
١٨٩٨ الرجاء . الرقيب . التاريخ القومي . الحقانية . مجلة النيل . العثماني .
السلام . الحشاش . الصادق . السعادة . صحف ١٨٩٩ صدى الاهرام .
أبو نواس . برهان الحق . الارشاد . الكوكب المصري . الكوكب الساري .
الاسكندرية . الآمال . صحف ١٩٠٠ الصباح . صحف ١٩٠١ نجم المشرق .
التجاة . صحف ١٩٠٢ المنصور . الاعلان . الرجاء . المصري . النصر صف
١٩٠٣ الجريدة الماسونية . المودة . الشرف . الزمار . صحف ١٩٠٤ الهلوسة .
الاكسبريس . صحف ١٩٠٥ المساعد . الجمهور . الغنطرة . صحف ١٩٠٨
وادي النيل - الشعب المصري - البعبع - صحف ١٩٠٩ أبو النواس - الطنبورة -
صحف ١٩١٠ كرافوز - الاهالي - صحف ١٩١١ الهدى - صحف ١٩١٢ الاقدام -
صحف ١٩١٤ جريدة الاعلانات القضائية والتجارة - الدليل - صحف ١٩١٥
السلام - الأمة - صحف ١٩١٦ النجاح - صحف ١٩١٧ التجارة - صحف ١٩١٨
الهوانم - صحف ١٩١٩ المسلة - صحف ١٩٢٠ الامة - صحف ١٩٢١ الجريدة
التجارية المصرية - صحف ١٩٢٢ الشبيبة - الشبيبة (غير السابقة) - النهضة
المصرية - صحف ١٩٢٣ الشعب المصري - البصير القضائي
صحف ١٩٢٤ حيران - المصباح - لسان الصادق - العمال - النشرة التجارية .
السفير - الجهاد - الاسكندرية - صحف ١٩٢٥ نهضة الشرق - الزهرة - البعث
الظريف - الثروة - المهذب - صحف ١٩٢٦ الاجيال - نفائس المدارس
صحف ١٩٢٧ الوجدان - السهام - الرياضة - معرض السينما - التنديم
صحف ١٩٢٨ الرياضة الاسبوعية - صحف ١٩٢٩ الاجيال - الجرس - الثغر
عالم السينما

الجرائد العربية المصرح باصدارها يومية في القاهرة في سنة ١٩٤٠

الأهرام - المصري - المقطم - البلاغ - الوفد المصري - الدستور - مصر
الوادي - العلم - الدفاع الوطني - المساء - أبو الهول اليومي - الاتحاد - مصر الفتاة -
الحال ومساهمات الشعب - الثغر - الآداب - الفنون - اللواء القومي - الأمة - المحروسة

بيان الصحف العربية المصرح باصدارها مرتين في الأسبوع في القاهرة

الأماني القومية - الأفكار - منبر الشرق - الصرخة - الظاهر - الأهالي -
شهر زاد - الألعاب الرياضية - السمير - المرشد .

الصحف العربية المصرح باصدارها أسبوعيا في القاهرة

المنير - الأخبار - الاستقلال - فتي النيل - الكفاح - الحقائق - طنطا -
الضحوك - المدينة - الساعة - الجامعة الاسلامية - لسان العرب - شبرا - شيخ الصحافة -
العلم المصري - المرصد - أنوار المدينة - (الصدوق) - المباحث القضائية - الشمس -
التاج المصري - حرية الشعوب - الصاعقة - الشعوب - السحاب - الشعاع - الضياء - الزعيم
ياهو - المصور - الاثنين - الصباح - آخر ساعة - روز اليوسف - الشعلة - العزيمة -
الفتاة - الراوي الجديد - الكشكول - زهرة الشرق - اللطائف المصورة -
الراديو المصري - الثقافة - الرسالة والرواية - السياسة الاسبوعية - الجامعة -
الرابطة العربية - مجلتي - المطرقة - الحوادث - المجلة الجديدة - أبو الهول الاسبوعي
أنا وأنت - التيمس المصري - الاسبوع - الشهداء - النيل - الحسان - مجلة المجلات
الراديو والبعكوكة - الشبان الوفديين - المصري أفندي - غريب - مصر العليا -
أسرار الكون - الفصول - الدعاية - روايات الجيب - مسامرات الجيب -
الروايات الجديدة - العشرين قصة - روايات الفتاة - بابا صادق - الصحف والقوه -
الرياضة البدنية - المنتخب - السيخ - النجم - الحديقة والمنزل - المجلة الموسيقية -
شيك - الثريا - رابطة الشباب - النوبة الحديثة - الأمين - متروجلدوين ناير - المصرية -
الحمامة - المحاماة الشرعية - القانون والاقتصاد - المحاكم - الرشيد القضائي -

كلية الحقوق - الحقوق القضائية - الأحكام - الجريدة القضائية - الإدارة والبوليس
القضائي - القضاء المصري - العدالة . الشرائع . الدوائر القضائية . الأسرار القضائية .
الكاتب - المحامي - التشريع الاسلامي

صحف دينية

الأزهر . الشبان المسلمين . الهداية الاسلامية . المنار . الاعتصام . نور
الاسلام . الهدى . التقوى . الاسلام . الوحدة الاسلامية . هدى الاسلام .
المدينة المنورة . الفتح . مكارم الأخلاق الاسلامية . نشرة الفضائل والآداب
الاسلامية . الكاشف . الفضيلة . النذير . الحديث . الهادي . النهار . المجلة الشرعية .
اليقظة . صهيون . الايمان . رسالة المحبة . رسالة الحياة . المنارة المصرية . النهضة .
رسالة الاسلام . الشرق والغرب . المرشد المدرس . المراعي الخضراء . كوكب الصبح
الهدى . نجم المشرق . المساعي . الصخرة . الصلاح . رسالة القديسة تريزا . التقدم

الصحف العربية الدورية

جبهة نما . اليوناني المتمصر . مصر الصناعية . المقتطف . الهلال . الأنصار .
الصدافة . الطلبة . الشرق . الصناعة . سلك حديد وتلغرافات الحكومة المصرية .
العارة . المكشافة . الرياضة البدنية المصرية . المجلة الطبية المصرية . المجلة الطبية
الشرعية . مجلة الشرق الطبية . مجلة غرفة القاهرة . النشرة الزراعية . العلامات
التجارية ، سمير التليد . الإسلام . العلوم . فن الحفر في مصر . الطيران المصري .
دائرة المعارف - العاصمة . مدرسة البوليس والإدارة . الموظف . التربية الحديثة
دار العلوم - مدرسة الهندسة التطبيقية . نشرة الاتحاد الدولي للرسم . الجمعية العلمية
بمدرسة الزراعة العليا رسالة العلم . المدرسة الخديوية . مدرسة الأميرة .
فوزية . مدارس النهضة . شبرا الثانوية . مدارس الأهرام . مدرسة حلوان .
الدليل المصري .

بيان الصحف العربية التي تصدر في الاسكندرية

البصير ، الاتحاد المصري ، المدافع الاسكندري ، الجريدة التجارية المصرية ،
البورصة ، التجارة ، السفير ، الرياضة ، البصير القضائي ، العهد الجديد ، العلم الأخضر ،
اتحاد الشرق ، الفارس ، طريق الحياة ، الراعي الصالح ، بوق الإنجيل ، مملكة النحل ،
غرفة الاسكندرية

صحف تصدر في المحافظات والمدريات

دمياط ، الصدق ، النبراس ، الكمال ، الفؤاد ، نهضة العمال ، الرعد ،
مصباح النيل ، الفضائل ، القاهرة ، الاخلاص ، الممتاز ، الحضارة المصرية ،
سفينة الأخبار ، بريد الصباح ، الأمير ، عنوان السلام ، المنصورة ، التوفيق ،
البيان ، الفنون ، اليراع ، الواجب ، الوفاق ، الوقت ، البشير ، الإصلاح ،
منبر الشرقية ، مدرسة الزقازيق الثانوية ، البشري ، شمس الكمال ، الجزيرة . البستان .
الخلود ، الفيوم ، بحر يوسف ، قارون ، المؤتمر ، مدرسة الفيوم الثانوية ، السلام ،
بني سويف . الضمير . الانذار ، الأقاليم ، مصر الجديدة . الائتلاف . المنتظر .
أسيوط . بوق القداسة . كلية أسيوط . النادي . المثال المسيحي ، الشقق ،
الصعيد الأقصى

الصحف الفرنجية التي صدرت أو أذن لها بالصدور في مصر

1798 Le Courrier de L'Egypte. La Décade Egyptienne. 1833 Le
Moniteur Egyptien. 1846 Lo Spettatore Egiziano. 1852 Manifeste.
1853 Manifesto giornaliero. 1857 Il Commercio. Il Progresso Di
Egitto. 1859 Le Courrier de la Gironde. La Presse Egyptienne Le
Sphinx Egyptien. Bulletin de l'Institut Egyptien. 1860 La Trombetta
1862 L'Eco D'Egitto Echo D'Europe. 1863 L'Egypte. 1865 L'Avenir
D'Egitto. 1866 Le Nil. 1867 Le Journal du Canal. Le Moniteur De
La Publicité En Egypte. 1868 Le Progrès Egyptien. 1869 L'Impartial
d'Egypte. 1870 The Egyptian Messenger. 1871 L'Indépendant
d'Egypte. Le Phare d'Alexandrie. L'Avenir Commercial de
Port-Said. 1872 Il Corriere Egiziano. L'Ezbekieh. HMPHEIA NEA. Le
Sport. 1873 La Finanza. Il Corriere Anglo-Italiano. 1874 Lo Stafille
L'Economiste. Le Commerce. Courrier de port-Said. Le Moniteur
Egyptien. 1875 La Farfalla. Gazette des Tribunaux. Bulletin de Ja
Socété K'Hédiviale de Geographie. 1876 Lloyd Egiziano. La
Jurisprudence. KEKPUX. Masr. L'Egypte Judiciaire. 1877 Le
Droit. Messagero Egiziano. Bulletin de Législation et de
Jurisprudence. 1880 Homonia. Bulletin mensuel de la Société
Egyptienne d'Agriculture. The Egyptian Gazette 1881 Le
Bosphore Egyptien. Le Darabouke. 1882 The Times of Egypt.
Bulletin du Comité agricole. 1884 Le Courrier d'Egypte. 1885 Meta-
rithmissis, 1887 Neos Syndesmos. Bulletin de Législation et de
Jurisprudence Egyptienne. 1889 Revue Egyptienne Littéraire et
Scientifique. Revista mensile. 1891 Le Progrès. 1893 Phos-Chronos
Le Progrès Egyptien. The Sphinx. Neos Syndesmos. 1894 Réveil
Egptien (organe bimensuel). L'Imparziale. Le Journal Egyptien.
L'Egypte (Revue industrielle et commerciale). Revue d'Egypte
1895 Revue Internationale de Législation et de Jurisprudence
Musulmanes. La Correspondance Egyptienne illustrée. 1897 Panession

1898 Le Courrier du Nil. La Verité. Bollettino mensile della camera italiana di Commercio. Le Journal du Caire, Courrier d'Orient. 1899 Bulletin de la Société medical du Caire. La Bourse Egyptienne. Journal of the Khedivial Society. Archalouyce. Bulletin Commercial. Bulletin de la Société Khedivial de Médecine. 1900 Bulletin de l'Union Syndicale des Agriculteurs d'Egypte. 1901 Le Lotus. 1902 Nouvelle Revue d'Egypte littéraire, Artistique et Sociale. 1902 Il Giornale. Université populaire libre d'Alexandrie. 1903 Eethiniki. Bulletin de la Chambre de Commerce internationale. Anagennissis 1904 Egypte. The Egyptian Morning News. Houssaper. 1905 Société Khediviale de Médecin. La Revue Internationale d'Egypte. 1906 Byzantion. Le Bosphore Egyptien. Cairo Scientific Journal. La Finance Egyptienne et Moniteur Commercial. Il Corriere Egisiano. 1907 Les Nouvelles Egyptiennes. Aegyptische Nachrichten. L'Etendard Egyptien. The Egyptian Standard. Risorgette. Annuaire de la Finance Egyptienne. 1908 Eon. The Egyptian Daily Post. Cairo Programme Union Delle Demoeſacia. 1909 Roma. Le Progrès Egyptien. Le Journal du Caire. Les Pyramides. La Bourse Egyptienne. L'Egypte Morning News. L'Imparziale. Kairon. Chronos. The Eg. Daily Post. Occident & Orient. Vosdoros. Le Courrier d'Egypte. The Eg. Gazette. La Reforme. Le Phare d'Alex. Les Nouvelles. Telegraphos. Omonia. Nilos. Messagero. La Verité. Le Moniteur International des Annonces ou L'Oasis d'Heliopolis. Panellian ou Osmodéos. Avel. Phos. Sphinx. Aegyptische Nachrichten. Eeon Ephiniki. Pharos Ecclesiasticos. Pantairos. Gosmos. Moniteur Commercial. Cairo Programme. Tachydromos. Byzantion. Ergassia Egptos. Archalouyse. Bulletin de La Législation et de Jurisprudence Eg. Neos Syndesmos. Dépêches Telegraphiques. La Gazette. Egyptischer Lloyd. Li Standard Tal Maltin, Les Coulisses. Le Monde Sportif ou La saison d'Egypte et l'Egypte Sportive, Ikaro. Nea ynéa (Simea). The Sphinx. Vox Veritatis. Le Voix d'Alexandrie. Sa Jeune Eg. Gazette de Renseignements. 1910 La Dépêche Eyp. Agence Teleg. Orientale. Bulletin Medical d'Egypte. Israël. L'Echo Sportif. The Eg. Observer. 1911 The Syse. Ephimeris. Ta Vima. Amyna. Union della Democrazia, Gazette des Tribunaux Mixtes. Monsieur. Anagcis. Promachos. Epitheorissis. Nea Ergassia. L'Unita Maltia. Le Phare de L'Erythrée. Delta. Le Nil. Revue Theatrale et Sportive. Le Journal de Helouan. La Santé. Mealessi L'Univers. L'Anthropismos. Hossanak. Miontioun. La Griffes. 1912 Le Courrier du Canal. Neve. Il Pensiero. L'Echo d'Egypte. Les Sports (Sporting News). Revue Israelite d'Egypte. Revue Egyptienne

Cairo Scientific Journal. The Egyptian Mail. Bulletin de l'Association Internationale de Propriétaires et Urbains en Egypte. La Renaissance Juive. La Vie Egyptienne. Y.M.C.A. Review. L'Avenir. Steno-Dactylo. Jl. Du Commerce et de la Marine. Nea Echo du P. Said. Les Affiches Egyptiennes. Cairo Sports. Bulletin de la Chambre Comm. Française du Caire. Dapline. Revue Medicale d'Egypte. 1913 La Finance Egyptienne. Lumen. Psit. Ana Mali. L'Etoile Egyptien. L'Egypte Contemporaine. L'Union. Cinegraphe. Journal. Ta Chroniha. Le Courrier. Le Reveil de l'Egypte ou Le Scorpion. El Afrita. La Griffie Egyptienne. Lisez Moi 1914 L'Echo Egyptien. Le Journal Illustré. L'Orient Nouveau. Kyrix. Eso Etmos. Neon Hellemon. Il Mattion Egiziano. Il Correre di Cairo Giornale d'Egitto. La Semaine Illustrée. Times of Egypt. Eg. Illust. Bully Sketches. 1915 Ta Nea. The Cairo Herald. Embros. Il piccolo della Dominisa. High Life Review. The Truth. Arev. The Camp. Courrier. Il Nilo. Les Feuilletés. The Eg. School Magazine 1916 Klio. Bulletin de la Société Eutomologique. Hevdomas. Phinicas. 1917 Phoni tis Cassou. Revue Sioniste. Papyrus. L'Ora-Lieta. 1918 Souvenez Vous. Le Lotus. L'Economiste Eg. 1919 Manifestes seditieux. The Egyptian Commercial and Shipping Review. Sports. 1920 Savarnah. Israel. Le Miroir Egyptien. The Eg. Advertiser Journal. L'Orient. Le Roseau. Feamma. Emporicos Chronographoo. Bulletin Pharmaceutique d'Egypte. Mardil Agha Revue Sociale. O. Pharos. Le Vie Nouvelle. L'Eclair. Revue Du Monde Egypt. Le Levant. Btn. Sté. Sultan Agriculture. Grammata. Les Nonvelles Maçoniques. 1921 Epitheorisis. Revue Hippique. Ishepsis. Le Moteur. Zizanioun Soussourada. Agon. Enquire within. La Liberté. Cambouris. The Sporting News. Variéats, Italia Tribuna. Egiziana Bar Poésia. La Publicité Fgypt. L'Intermediaire International. Arabesques. The Deocesan Magazine La Presse Medicale. Palestine News. Egipta Espirantisto. 1922C Yatros. L'Egypte Nouvelle. Revue Medicale de l'Orient. La Palestra 1923 Le Scarabée. Mois Pharmaceutique Medical. Valetta. Anatoli Papagallo. The Orient Trade Review. La Quarta Italia. L'Orient Musicale. Le Quotidien. Proscopihi Echo. Athletic News. L'Action-L'Aurore. Le Lloyd Egyptien. The Eyyptian Advertiser. Journal 1924 The Near East Trader. Mephie'ophides. Le Lotus. La Verdado Texph. Le Moniteur Commercial. Memphis. Panajios Taphos. Neos Romios. Jl. des Reclames. La Tribune breillustre. Eon. Eon Feuille d'Avis. L'Esploratore. Maalesche. Emporium Music. L'Egypte Industrielle. Palestine. 1925 Le Volant Egyptien. Le Phare Egyptien. Bisedimet Haygagan Cinema L'Independance Egypt. Arax. L'Egyptienne Il Mediterraneo. Sphinx To Yeoli.

Bulletin Commercial d'Aléxandrie. Kypatia. To Roudouni. Panorama du Canal. L'Independent. L'Intermediere. Revue Scientifique Isis. Sporting. La Dodecanese. Dansez. La Revue Hebdomadaire Le Dimanche Illustré. To Hellinopoulo. Pountch. L'Espoir. La Gazette. L'Information. Le Magazine Eg. Othoni. Le Jocky. Revue Egyptienne de Publicité. Le Courrier de Lettres et des Arts. La Vie Française. Bulletin et l'Union des Professeurs de Danse d'Egypte. L'Obelisque. Josy Journal. Journal des Enfants en Couleur. Le Stade Heamis. Le Pharaon. Le Phoenise. Le Reveil. Les Messages d'Orient. Le Scemo. Iglua Ke Dinamis. 1926 Nea zoi. Messenger du Canal de Suez. l'Kini Gnomi. Le Diable Enragé. Le Journal de Goha. Le Mercure Eg. Rad. Revue des Débats. La Vie Juive. l'Ami Kentri. La Semaine Eg. Le Petit Egyptien. La Semaine d'Alex. l'Orient Stenographique. La Settimana Sportiva. Tribune Libre d'Egypte. Philathlos. Abraeadabra. Hay Varjarn. Annales Judiciaires. Le Cinema d'Orient. Radio Programme Eg. La Vie Parlementaire Egyptienne. Hermes. Revue du Droit Egyptien. Mixte. Alexandria. Techni. Oasis. Panegyptia. La Pratique Medicale. Prudentia. El eftro Typos. Erevna. Le Turf. Record. Le Theatre Illustré. The A.U.C. Rev. Views & Reviews. 1927 Phanos. Le Soudeur Boupeur. Le Periscope. Lo Specchio. Excelsior. Il Papagallo. Aradamanthi. Courrier des Bourses. Antinea. La Marché. La Revue d'Egypte. Palestine. Nil Und Zeitung. C.E. Magazine. Standard. Le Moudaïu. La Danse. The Egyptian Trader. La Bourse Eg. d'Alex. Hreghen Sune. Le Crocodile. Corriere Egiziano. Massonie. Echo. The Lotus. La Caravache. Fantasio. Ana Ma'i. Le Sportsman. La Rigotade. La Cloche. Isis. Le Panache. Panorama. International Dentistry. l'Hygiène Pratique des Familles. 1928. Le Rayon. To Hamogeto. La Patrie. Il Quaderno. Il Quari. Malti. Viribus Unitis. Hippodrome. Le Therapie Medical. Le Courrier Juif. Numero. Bulletin de Khoronfish. La Piastrina. La Mascotte. La Stella. Le Eacre. Coeur. Aegyptos. l'Ilustration. Julve. Le Bouffon. Alexandria Nouvelle. La Rose de Eiseur. Eeftrés. Sport. Eoeiété de Comptabilité de France-Bulletin de la section d'Egypte. Revue du droit de la Femme. R.H.C.E. Natch. The Monthly Medical Review. Papoga'oo. The Front man in Egypt. Le Mercure Egyptien. 1929. Le Flambeau. Eediteranea. Journal du Combattant. Un peu de tout. Deuch. Aehptische. Rundschau. La Depêche. Le Petit Chose. l'Avenir. Vivre. Le Caire. Eelect.

La Rampe. Le Courrir. L'Obalisque. L'Egypte Française.
La Gazette Illustrée. Proini. Kytix. Tenui ex Valnere Salus.
Boite de Pandore. Bulletin Maritime et Commerciale. Automobiles.
J. L. des Tirages et de la Bourses ou La Commarciale. Courrier
Medical d'Egyte Bullentin L'Union des Agricultures d'Egyte.
L'Egypte Agricole. Gaizag. Tic Tac. The Bee Kingdom.
L'Informateur. Tip Top. Die Technik in Nahem Osten. La Jeun-
esse Illustrée. 1930 Los Spectacles. L'Action Sportive. Leboude.
Le Touriste Egypte. La Rumeur. Le Petit Egyp. Les Pyramides.
Scorpion. Le Tequin. La Comptabilité. Backchiche. Printemps
de Yie. La Revue. Nor Kir. Donnina. Un Effort. Kyriaki.
Leboude. Elegantia. Scaravéos. Bulletin Commercial. The Eg-
Statesman. Alexandria. Oesaha Pemoeda. L'Occasion. Salpgix
tou Evangilious. Nile. Il Giornale d'Oriente. L'Aurion. Ceres.
Mon Journal. The Sunday Chronicle. Karavani. Derby. L'Argus
Bull. de l'Agén. Eg. Econ. et Financ. L'Eclair. The Talkative
Le Sportif Egyp. Le Moniteur. 1931. Revue Ophthalmologique
d'Orient. I. Phoni. Zeppetine Panegyptia. Rassagna Cattolica.
Ciné Globe. Le Jeune Espoir. Vie. Un Effort. Marions Nous.
Athlitis. Le Merie Blanc. Le Navori. Athlitiki Ebdomas. Coton
& Capital. Pantio. Sports. La Nation Egyp. Emporica Chronica.
La Peloponnesse. L'Evolution Egyp.

الصحف الفرنجية التي تصدر في القطر المصري في سنة ١٩٤٠

صحف تصدر باللغة الانجليزية في القاهرة

The Egyp Gazette. The Egyp. Mail. The Egyp. Sunday
Mail. The Sphinx. Cairo Calling. Parade. Rotary Bulletin.
The Near East Trader. The Tewfikieh. E.R.S.E. Bulletin. The
Ibrahimieh Times. Campus Caravan.

(بالانجليزية والعربية)

The Diocesan Review. Egypt and the Sudan.

صحف تصدر باللغة الإنجليزية في الاسكندرية

Chamber of Commerce International Dentistry.

(بالانجليزية والعربية واليونانية) صحف تصدر باللغة الفرنسية في القاهرة

La Bourse Eyp. Le Journal du Caire. Le Progrès Eyp. Le Journal d'Eg. La Patrie. L'Egypte Nouvelle. La Bourse Eg. du Dimanche. La revue d'Egypte. La Presse Medicale d'Eyp. Le Rayon d'Eyp. Images. L'Aurore. Actualités. La Caravane. Proche Orient. La semaine Eyp. L'Egyptienne La Rose de Lisieux. Le Sacre Coeur L'Egypte Agricole. La Praique Medicale. Bullentin Mens. de Valeurs traités aux Bourses. Le Lion. Revue des Conferences. Française en Orient. La Revue du Caire. Bull. de la Chambre de Commerce Française de Caire. L'Egypte Contemporaine. Com - battants Françaises. Cahiers du Cercle Thomiste Bull. de Khoronfish

La Tribune

صحف تصدر باللغة فرنسية في بورسعيد

Journal d,Alex. et de la Bourse Eyp. Le Phare Eyp. La Réforme Journal du Commerce et de la Marne La Gazette d'Orient L'Economiste Eyp. La Réforme Illustrée Journal Suisse d'Eyp. L'Informateur Le Stade. Le Galop. Le Turf. Le Favori. Maaloché La Tribune Juive. La Semaine Einancière et Po'i-tique L'Echo Sportif. Sporting. Ma Revue. Le Dimanche Illustré. Journal des Tribunaux Mixtes. Gazette des Tribunaux Mixtes. Bull. du Services des Leprouk. Bull. de Legistation. Echos. Le Periscope. Reportoire Permanent de Legis. Egyptienne. Je de la Chambre de Commere Fran. d'Alex.

صحف تصدر باللاتينية

Kairon. Clio. Phos-Chronos. Kyrix. Sphinx. Cosmos Christopolitia. I. Aphiuissis. Panorama. Tachydromol-Omoia. Agyptos. Ephimeris. Anatoli. Stivos. Pantainos. Ecclesiasticos Pharos. Bull. de la Chambre Hellen. Nea Echo de Port-Said Necs Syndesmos. Phoni-tis Cassou. Chlax.

صحف تصدر باللغة الارمنية

Arov. Houssaper. Savarnak. Pountch. Avederan Tsein. Hrehghen Sune: Arax

Il Qari Malti

صحف تصدر باللغة المالطية

قاموس أهم الأعلام

١٠٢ : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٥٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٢	١
البارودي : ص ١٢٢ ، ١٢٩	ابراهيم باشا (المرعسكبر) ص ٣٦
الرضي (السيدر شيد) : ص ١٥٧	٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٥٤
١٥٨ ، ١١٠ ، ٢١١	ابن صنوع (أبو نظارة) ص ٩
السادات . ص ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩	٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
العقاد : ص ٢٠٧ ، ٢٠٩	٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩
الغياياتي : ص ١٩٧ ، ٢٥١ ، ٢٤٩	أبو السعود . ص ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤
المويلحي : ص ٦٥ ، ٨٩ ، ٢٤٢	٦٥ ، ٦٧
النديم . ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٤	أحمد . ص ٥٧ ، ٥٨ ، ١٧٧ ، ٢٢١
النقاش : ص ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٧	أديب . ص ٧٦ ، ٧٩ ، ٩٣ ، ١٠٢
أنسى . ص ٥٧ ، ٦٩	١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ١٢٤
ب	١٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٥
بطرس غالي : ص ١٨٣ ، ١٨٨	إسماعيل : ص ٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧
١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٤٥	٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥
بلنت : ص ١٣٨ ، ٢٢٦ ، ٢٤٨	٥٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٩
بونابرت : ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٥٢	٧٤ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٢
ت	٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣
تمرهان : ص ٤٨	١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٤٠ ، ٢١٤
تقلا (سليم . بشارة . جبرائيل) : ص	٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٤ ، ٩٥	٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠
١٠٢ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ٢٠٦	٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤
توفيق (الخدوي) : ص ٨٩ ، ١٠٥	الأفغاني : ص ٦٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠

ش

شريف: ص ۹۱: ۹۳: ۹۴: ۹۸

۱۰۳: ۱۰۴: ۱۰۵: ۱۱۰: ۱۱۱: ۱۲۱

۲۲۵: ۲۲۷: ۲۴۰: ۲۴۲

شزری: ص ۱۲۱

شینخو: ص ۶۶: ۶۸

صبری: ص ۹: ۲۲۶

صروف: ص ۱۳۱: ۱۴۹

ط

طه (حسین): ص ۲۰۶: ۲۰۹

۲۱۰

ع

عباس: ص ۴۲: ۴۳: ۱۷۰: ۱۷۱

۱۷۳: ۱۷۴: ۱۷۵: ۱۷۹: ۱۸۴

۲۰۳: ۲۵۴

عبد القادر: ص ۱۹۴: ۲۰۸: ۲۰۹

عثمان: ص ۲۳۳: ۲۳۴

عرابي: ص ۱۱۱: ۱۲۹: ۱۴۴

عززی: ص ۲۰۶: ۲۰۷: ۲۰۹

۲۵۰: ۲۵۱

علی: ص ۵۲: ۱۵۲: ۱۵۳: ۱۵۴

۱۵۵: ۱۵۸: ۱۶۳: ۱۶۶: ۱۶۷: ۱۶۸

۱۶۹: ۱۷۰: ۲۰۱: ۲۰۳: ۲۴۹

۱۰۶: ۱۰۷: ۱۰۹: ۱۱۶: ۱۲۰: ۱۲۵

۱۲۹: ۲۱۴: ۲۲۷: ۲۳۰: ۲۳۷: ۲۴۰

ج

جاویش ص ۱۸۴: ۱۸۶: ۱۸۷: ۱۹۲: ۱۹۳

جورست: ص ۱۷۸: ۱۷۹: ۱۸۱

۱۸۲: ۱۸۳: ۱۸۴: ۱۹۴: ۱۹۸

ح

حمزة: ۱۱۵: ۱۱۶: ۱۱۷: ۱۱۸

۱۲۵: ۱۲۹: ۲۰۷

د

دوبلینیار: ص ۸۳

دوفرین: ص ۱۳۴: ۱۳۵

دیاب: ص ۲۰۶: ۲۰۸

ر

رفاعة: ص ۳۲: ۳۴: ۵۲: ۵۷: ۶۴

ریاض: ص ۹۵: ۱۰۶: ۱۰۷

۱۰۹: ۱۱۰: ۱۲۳: ۱۲۴: ۱۵۲: ۱۷۴

۱۹۵: ۲۴۰

س

سعد (زغالول): ص ۲۰۶: ۲۰۷

سعید: ص ۱۸: ۴۳: ۵۹: ۶۰

۶۱: ۲۱۷: ۲۱۸: ۲۵۵: ۲۵۷: ۲۶۱

سلطان: ص ۱۱۰: ۱۲۷: ۱۲۸

٢٥٥ : ٢٥٤ : ٢٥٣ : ٢٥٢

محمد فرید . ص ١٤٧ : ١٥٠ : ١٨٧ ،

٢٤٧ : ٢٠٠ : ١٩٩ : ١٩٨ : ١٩٧ : ١٨٨

٢٤٩ : ٢٤٨

مصطفی . ص ١٤٨ : ١٥١ : ١٥٢ ،

١٥٣ : ١٦٠ : ١٥٩ : ١٥٦ : ١٥٥ : ١٦١ ،

١٧٨ : ١٧٦ : ١٧٥ : ١٧٤ : ١٦٥ : ١٦٢ ،

٢٣٠ : ٢٠٢ : ١٩١ : ١٨٣ : ١٨٠ : ١٧٩

٢٣٤ : ٢٣٢ : ٢٣١

ملتر . ص ١٣٧

منو . ص ٢٣ : ٢٤ : ٢٥٢

ن

نمر ص ١٣١ : ١٤٩

نوبار . ص ١٤١ : ١٤٣ : ١٤٦ ،

٢٤٧ : ٢٢٩ : ٢٢٢

هـ

هیکل . ص ٢٠٦

و

ویلسون . ص ٨١ : ٨٤ : ٨٥ ،

١٤٠ ، ٨٨ ، ٨٦

ک

کیتشتر : ص ٢٠٠

کرومر (بارنج) : ص ١١١ : ١٣٥ ،

١٤٩ : ١٤٥ : ١٤٣ : ١٣٨ : ١٣٧ : ١٣٦

١٧٤ : ١٧٣ : ١٧٠ : ١٦٦ : ١٥٧ : ١٥٢

٢٣١ : ١٧٩ : ١٧٥

ل

لوید . ص ١٤٠ : ١٧٨ : ١٨٤ : ٢٢٨

م

محمد عبده . ص ٥٤ : ٥٧ : ٦٧ ،

١٧٢ : ١٧١ : ١٥٨ : ١٢٧ : ١٠٧ : ٧٩

٢٤٤ : ٢٤٣ : ٢٤٢ : ٢٣٦ : ٢١٤

٢٤٧ : ٢٤٥

محمد علی (الباشا . الوالی : ولی النعم

الخدیو : الجناب العالی)

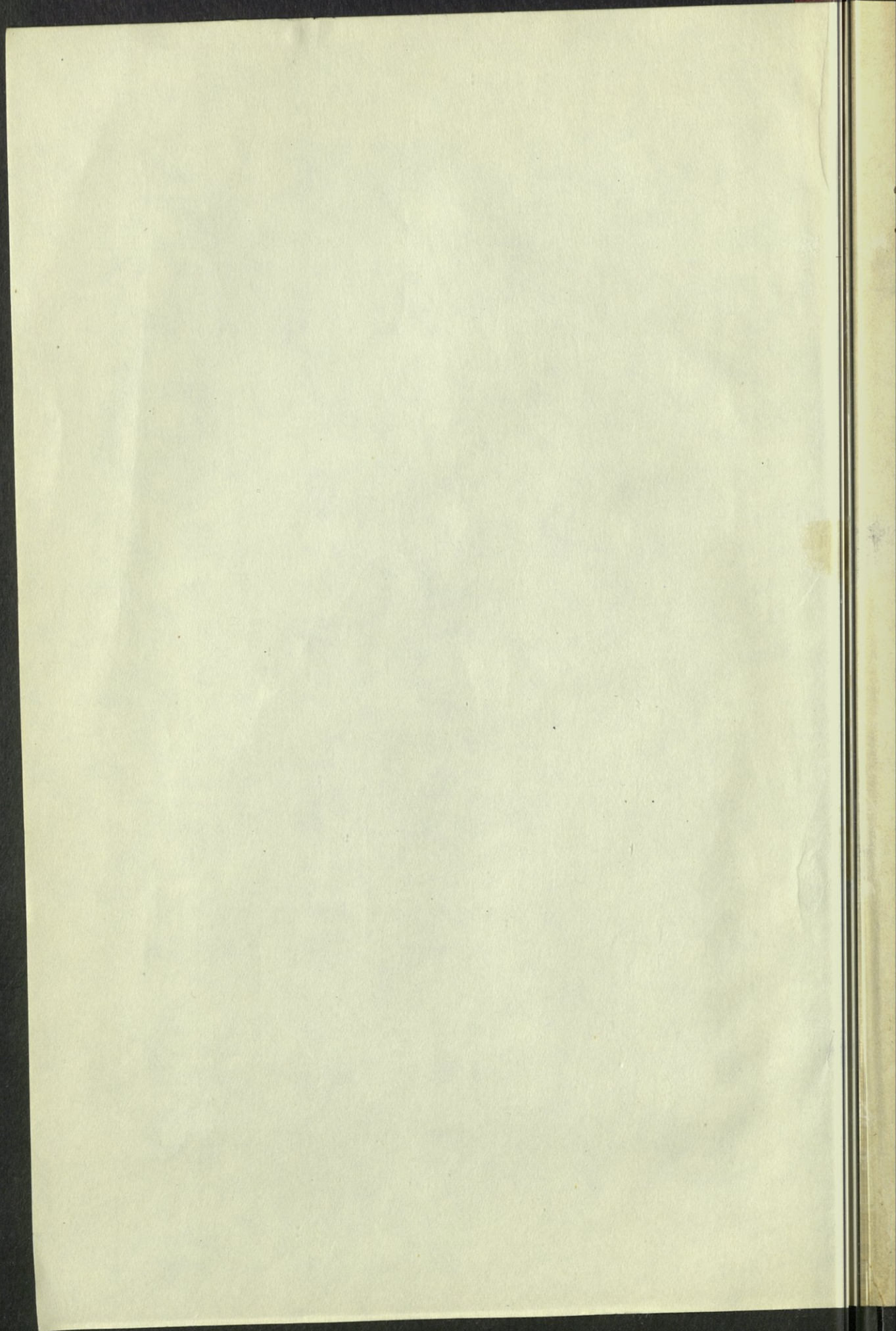
ص ٢٥ : ٢٦ : ٢٧ : ٢٨ : ٢٩ : ٣٠ ،

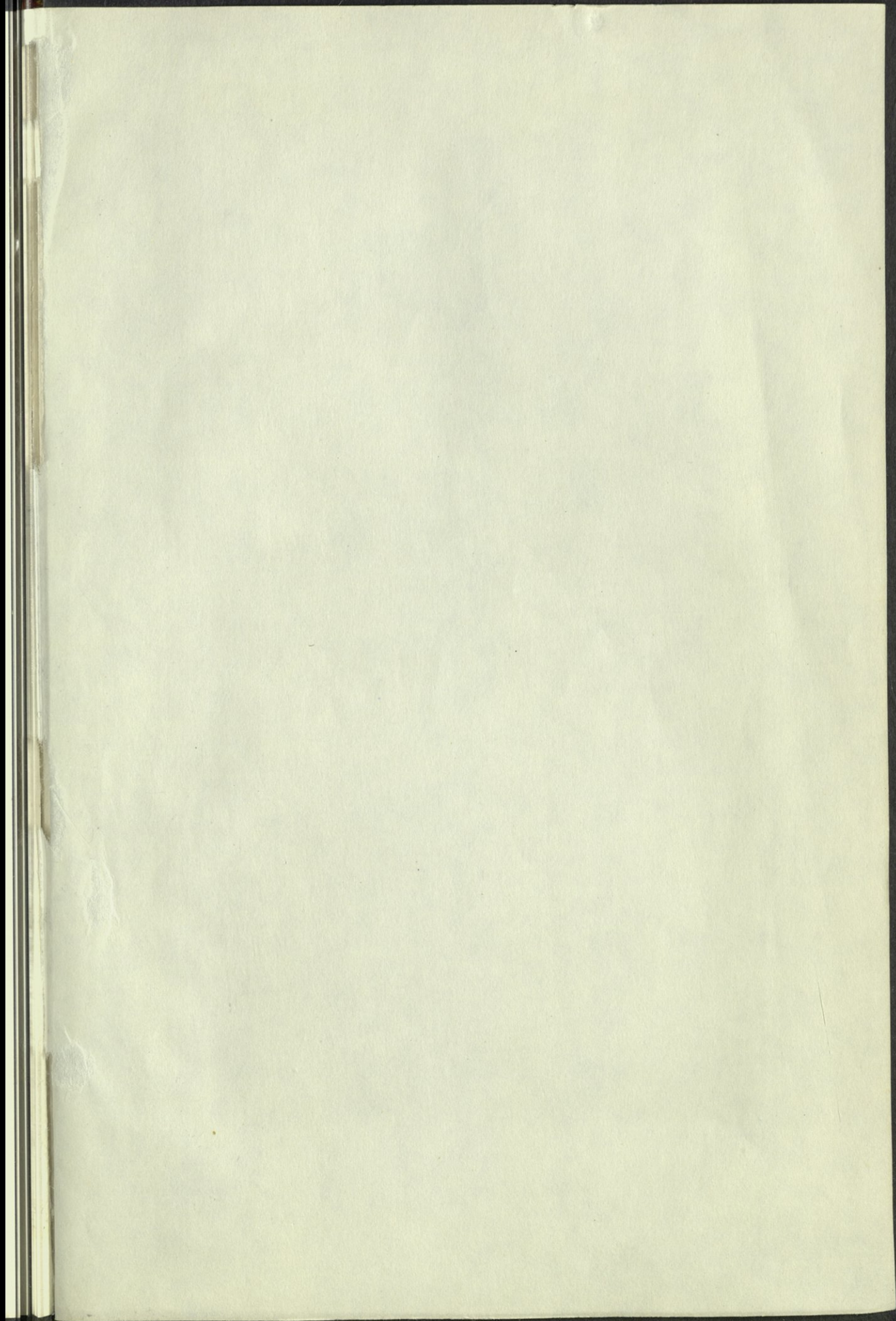
٣٧ : ٣٥ : : ٣٤ : ٣٣ : ٣٢ : ٣١

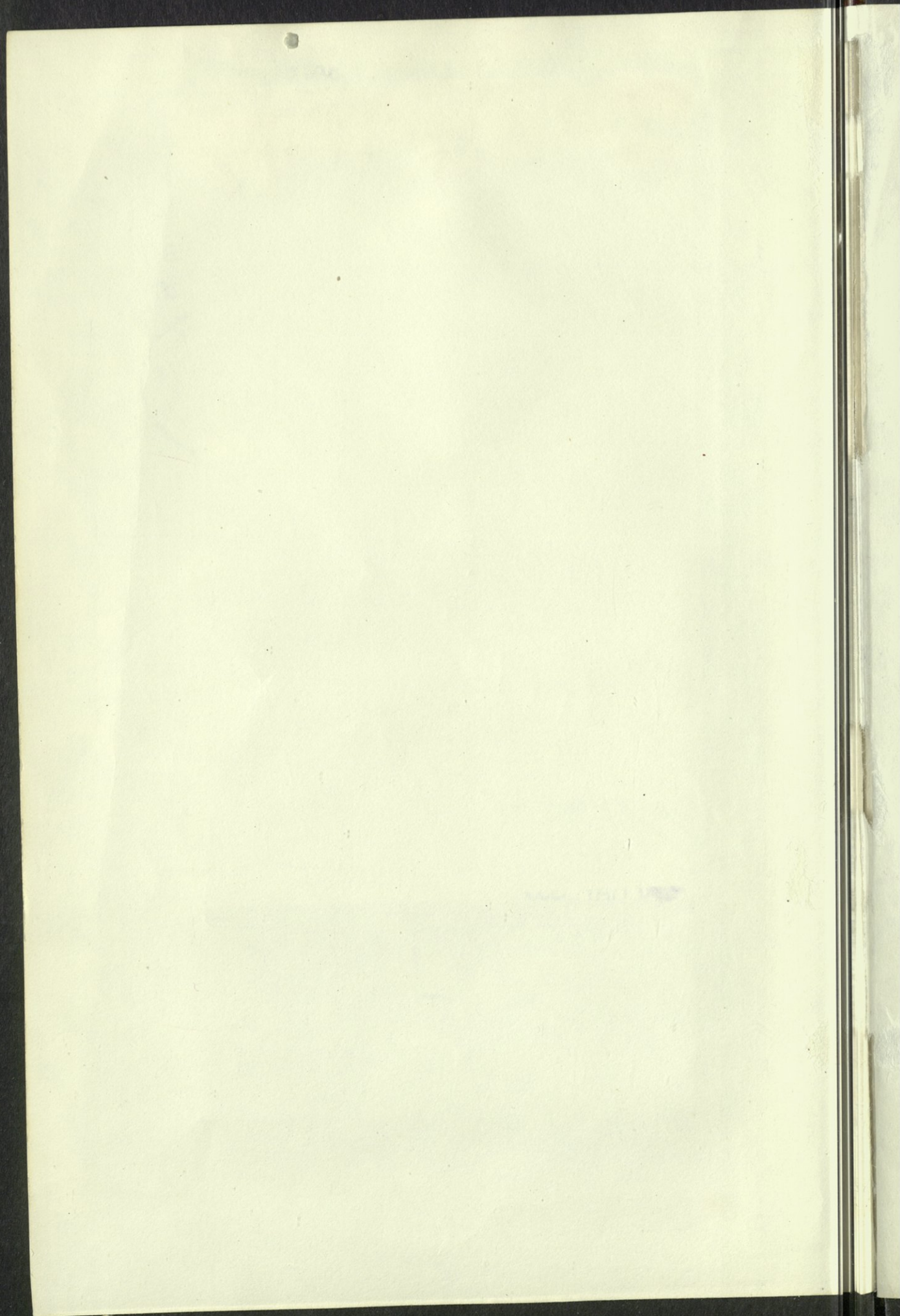
٥٦ : ٥٢ : ٤٩ : ٤٤ : ٤١ : ٣٩ : ٣٨

١٦٠ : ١٤٧ : ١٠٨ : ١٠٢ : ٧٤ : ٦٢

٢٣٤ : ٢٣٣ : ٢١٧ : ٢١٦ : ٢١٤ : ١٦١



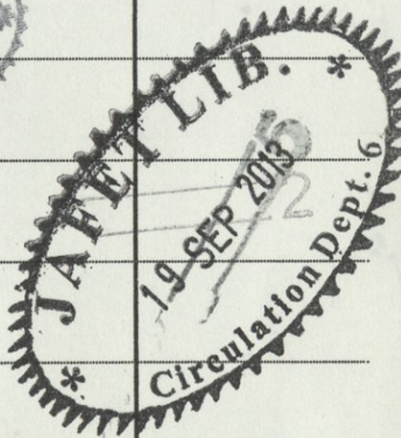
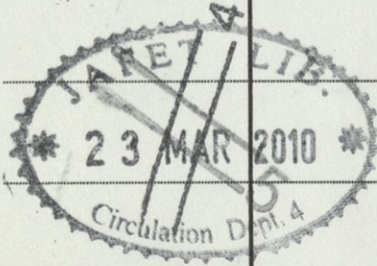
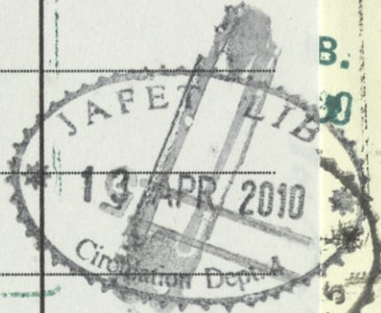




JAFET LIB.

30 APR 2015

DATE DUE



B.
30

079.62:A13tA:c.1

عبدہ، ابراہیم
تطور الصحافة المصرية واثرها في ال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000758

079.62
A13tA

1-62

2A

1